384

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

إبداعات عالمية

تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

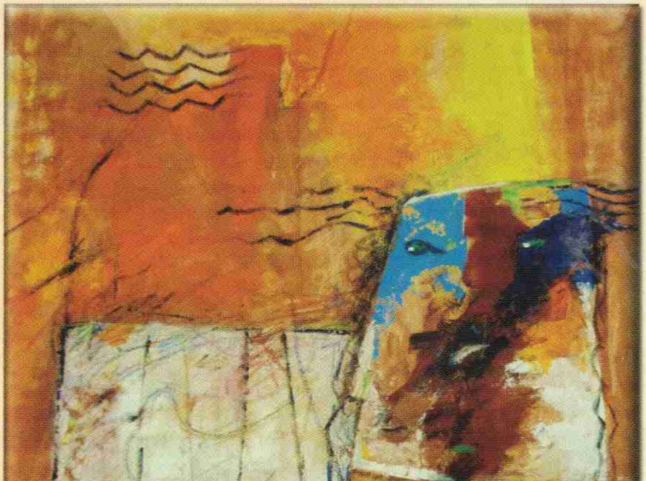

المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي

(الجزء الثاني)

ترجمة وتقديم: د. موسى الحالول

مراجعة: د. إسماعيل صافية

صدر هذا العدد بمناسبة
مرور ٥٠ عام على رحيل
الكاتب إرنست همنغواي

يونيو 2010

المجلس
الوطني
للثقافة
والفنون
والآداب

المجموعة القصصية الكاملة
لإرنست همنغواي
(الجزء الثاني)

تــــألــــيــــف: إيرنست همنغواي
ترجمـــة وتقــديم: د. موسى الحالول
مـــراجـــعـــة: د. إسماعيل صافية

العدد 384 يونيو 2010 1

• المجموعة القصصية الكاملة
لإرنست همنغواي

العنوان الأصلي:

The Complete Short Stories of
of: ERNEST HEMINGWAY

Scribner Paperack Fiction

Published by simon &Schuster 1987

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2010م

إبداعات عالمية - العدد 384

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1990 - 1923)

كلمة المترجم

تمثل القصص المنشورة في هذا المجلد الثاني من «الأعمال القصصية الكاملة لإيرنست همنغواي» الجزء الثاني مما يُعرف بمجموعة القصص التسع والأربعين التي جمعها همنغواي ونشرها العام ١٩٣٨. يستمد همنغواي موضوعات قصصه هذه، كما في كل كتاباته، من تجاربه الشخصية ومشاهداته وأسفاره الكثيرة وقراءاته. لذلك تتنوع الأماكن والأزمنة التي تدور فيها أحداث هذه القصص، كما تتلون بنكهات محلية، كالتطعيم بلغات أخرى غير الإنجليزية، ما يساعد على وضع القارئ في أجواء القصة بصورة واقعية. كما يُغَلِّب همنغواي الجمل البرقية القصيرة في سرده القصصي، مع بعض الاستثناءات القليلة في القصص ذات الطبيعة الفلسفية التأملية. وهناك ميزة أخرى في معظم قصص همنغواي، وهي غلبة الطابع الدرامي على قصصه، حيث يطغى الحوار على الوصف والسرد. وهذا ما سهَّل في تحويل قصصه ورواياته إلى أفلام سينمائية.

أما مسرحية «اليوم هو الجمعة» المدرجة في هذا المجلد القصصي فلا تمثل استثناء من هذه الناحية فقط، بل هي أيضا العمل الوحيد في مجموعة التسع والأربعين الذي لا علاقة لأحداثه بالتاريخ المعاصر، بل هي مشهد متخيَّل لثلاثة من الجنود الرومان وهم يشربون الخمر لدى خمّار يهودي في فلسطين التاريخية يومَ صُلب المسيح عليه السلام وفق المعتقد المسيحي. ولكن اللافت أن همنغواي يجعل أحد الجنود الرومان يتكلم عن الخمار اليهودي (الذي يُعطيه همنغواي اسما عصريا هو جورج) بمفردات دارجة في اللهجة الأمريكية المعاصرة! لا شك في أن هذه مفارقة تاريخية مقصودة من جانب همنغواي.

إن هذا النسف للفواصل الزمنية والمكانية يوازيه تداخل الأجناس الأدبية في هذه المسرحية/القصة أيضا (وهذا ما سيصبح لاحقا من أبرز سمات أدب ما بعد الحداثة في الغرب). إذ يبدو أن همنغواي لم يكن يكترث كثيرا للمواصفات الجوهرية التي تفرق بين الأجناس الأدبية. وهذا أمر نلحظه أيضا في قصة «التاريخ الطبيعي للأموات» التي لا تختلف في مقدمتها الطويلة نسبيا

ولا في عنوانها عن أي مقالة فلسفية تأملية. ومما يعزز ظننا أنها مقالة أكثر منها قصة هو أن همنغواي هجر جُمَله البرقية القصيرة التي عودنا عليها في قصصه الأخرى، وأصبحت علامة أسلوبية بارزة في كتاباته، فعمد إلى استخدام جمل طويلة، ويستشهد بأعمال روائية وغير روائية، فيرد على هذا الكاتب أو يدحض رأي ذاك، وكأن همنغواي تقمص دور الباحث والناقد لا الكاتب القصصي.

ليس في قصص همنغواي أبطال بالمعنى التقليدي، بل أناس عاديون فيهم من العيوب الشخصية والأخلاقية والفكرية ما فيهم. فمنهم الملاكم البخيل الفاقد للثقة بنفسه، ولاعب القمار المسكون بشبح الهزيمة والجبن، والضابط الذي يتحرش بمرؤوسه، والمومس الكاذبة التي تعيش على الأوهام، والعشيقة الخائنة، والجندي المشرف على الانهيار العصبي، والمكروب الأرق، والفلاح الجاهل، والعجوز الأطرش الذي يجد عزاء لوحدته في الشراب، والزوجة الغريرة التي لا تفهم لماذا يُصاب زوجها بداء الزُّهري، والأمريكي المهرج الذي يتصرف ببلاهة خارج بلاده لتسلية نفسه ومداواة جراحه،

والمغامر الانتهازي الباحث عن الثراء بين أشلاء الأموات في حطام سفينة غارقة، والطبيب الفاشل الذي يسبب كارثة طبية، والشاب المفتون بسحر الفاشية، وزير النساء مدمن المخدرات، والمهاجر الذي يكسب عيشه من تصنيع الخمور المحظورة، والأب المتأرجح بين حاضر ابنه وذكرى أبيه. وإذا كانت هناك من بطولة في سلوكيات هؤلاء، فتتجلى في مثابرتهم بإخلاص لتجاوز ما هم فيه من المحن والكروب، وفي محاولات بعضهم الحثيثة لصياغة حياة ذات معنى وهدف، أو في استسلام بعضهم الآخر وقبولهم العدمي لمصائرهم. ومن المؤكد أن همنغواي ينظر إلى شخوصه على أنهم أنماط بشرية تعيش بين ظهرانينا، لا فرق جوهريا في ذلك بين إسباني وأمريكي، بين مقامر مكسيكي وملاكم إيرلندي، بين زوجة أمريكية وعشيقة هندية، بين خمّار يهودي قديم في فلسطين وخمار فرنسي حديث في ولاية وايومنغ. ولهذا لا يقف همنغواي من هذه الأنماط موقف الواعظ الشاجب، بل نظرة عالم الاجتماع الذي يُقِرُّ بوجودها، ويرصد سلوكياتها بعين المحلل النفسي، ويرسم محاولاتها في الانعتاق من حاضرها المؤلم بريشة فنان.

ولكن في المقابل ألا يوجد أوغاد في قصص همنغواي؟ بلى، إنهم الفاشيون ومثيرو الحروب. فهؤلاء هم أعداء الإنسانية الذين يتصدى لهم همنغواي بلا محاباة أو مواربة. وما عدا ذلك، فكل الناس جزء من نسيج الإنسانية المتعدد الأطياف.

د. موسى الحالول
الطائف ٢٠١٠/٥/٨

القاتلان
[١٩٢٧]

انفتح باب مطعم هنري فدخل رجلان، وجلسا إلى المنضدة[١].

«ما طلبكما؟» سألهما جورج.

«لا أعرف»، قال أحد الرجلين. «ماذا تريد أن تأكل، يا آل؟».

«لا أعرف ماذا أريد أن آكل»، قال الرجل.

كان الظلام يحل في الخارج. أضاء مصباح الشارع خارج النافذة. قرأ الرجلان الجالسان إلى المنضدة قائمة المأكولات. كان نك آدمز يراقبهما من الطرف الآخر للمنضدة، وكان يتحدث إلى جورج عندما دخلا.

«أريد شريحة من اللحم المشوي مع صلصة التفاح والبطاطا المهروسة»، قال الرجل الأول.

«لم تجهز هذه بعد».

«ولماذا بحق الجحيم تضعها في القائمة إذن؟».

«هذه للعشاء»، قال جورج شارحاً. «يمكنك أن تطلب ذلك في السادسة».

نظر جورج إلى الساعة المعلقة على الجدار خلف المنضدة.

«والآن الساعة الخامسة».

«تشير الساعة إلى الخامسة وعشرين دقيقة»، قال الرجل الثاني.

---

(١) عندما تحولت هذه القصة العام ١٩٤٦ إلى فيلم سينمائي، جعل المخرج روبرت سيودماك الأحداث تدور في بلدة برنتوود في ولاية نيوجيرسي [المترجم].

«إنها متقدمة مدة عشرين دقيقة».

«إذن، لتذهب الساعة إلى الجحيم»، قال الرجل الأول. «ماذا يمكنك أن تقدم لنا من مأكولات؟».

«لدي كل أنواع الشطائر»، قال جورج. «يمكنني أن أقدم لكما شرائح من اللحم المقدد مع البيض، أو الكبد مع اللحم المقدد، أو الستيك».

«أريد كفتة دجاج مع بازلاء خضراء مع القشطة والبطاطا المهروسة».

«هذه وجبة العشاء».

«هكذا إذن؟ كل ما نطلبه من وجبات العشاء. أهكذا تُسيّرون الأمور هنا؟».

«يمكنني أن أقدم لكما شرائح من اللحم مع البيض، أو شرائح من اللحم المقدد مع البيض، أو الكبد ...».

«هات لي شرائح من اللحم مع البيض»، قال الرجل الذي يُدعى آل. كان يرتدي قبعة مستديرة ومعطفاً أسود مُزَرَراً عند الصدر. كان له وجه صغير أبيض وشفتان مزمومتان. وكان يرتدي لِفاعاً حريرياً وقفازين.

«وهات لي شرائح من اللحم المقدد مع البيض»، قال الرجل الآخر. كان من حيث الحجم يماثل آل تقريباً. كان لكل منهما وجه مختلف، بيد أنهما من حيث الملبس كالتَّوْأم. كان كل منهما يرتدي معطفاً ضيقاً، وكانا يجلسان ومرافقهما على المنضدة وينحنيان نحو الأمام.

«هل لديك مشروب؟» سأل آل.

«لدينا شراب، الزنجبيل»، قال جورج.

«أقصد هل لديك مشروب؟».

«فقط ما ذكرت لك».

«هذه بلدة بائسة»، قال الآخر. «ماذا تُدعى؟».

«صَمِتْ».

«هل سمعت بها من قبل؟» سأل آل صديقه.

«لا»، ردَّ الصديق.

«ماذا تفعلون هنا في الأماسي؟» سأل آل.

«يتناولـــون العشـــاء»، قال صديقه. «إنهم يأتـــون هنا جميعاً ويتناولون العشاء الكبير».

«هذا صحيح»، قال جورج.

«إذن أنت تعتقد أن هذا صحيح؟» ردَّ آل.

«طبعاً».

«أنت ولد ذكي، أليس كذلك؟».

«طبعاً».

«في الحقيقة، أنت لســـت ذكياً»، قال الرجل الآخر الصغير. «هل هو ذكي، يا آل؟».

«إنه غبي»، قال آل، ثم التفت إلى نِك. «ما اسمك؟».

«آدمز».

«ولد ذكي آخر»، قال آل. «أليس ولداً ذكياً، يا ماكس؟».

«هذه بلدة مليئة بالأولاد الأذكياء»، قال ماكس.

وضع جورج على المنضدة طبقين، طبق فيه شرائح من اللحم مع البيض، وطبق فيه شـــرائح مـــن اللحـم المقـدد مع البـيض.

ثم وضع إلى جانب الطبقين طبقين من البطاطا المقلية، ثم أغلق البُوَيب المؤدي إلى المطبخ.

«أيها لك؟» سأل ماكس آل.

«ألا تذكر؟».

«شرائح اللحم مع بيض».

«إنه مجـرد ولد ذكي»، قال ماكس. مال إلـى الأمام وتناول شرائح اللحم والبيض. كانا يأكلان وهما يرتديان قفازيهما. كان جورج يراقبهما وهما يأكلان.

«إلام تنظر؟» قال ماكس وهو ينظر إلى جورج.

«لا شيء».

«بل كنت تنظر! كنت تنظر إليّ».

«ربما قصد الولد من ذلك مزحة، يا ماكس»، قال آل.

ضحك جورج.

«لا ينبغي لك أن تضحك»، قال له ماكس. «لا ينبغي لك أنت بالذات أن تضحك إطلاقاً. مفهوم؟».

«لا بأس»، قال جورج.

«إذن، فهـو يعتـقـد أن لا بأس في الأمـر»، قـال ماكس وهـو يلتـفت إلى آل. «إنه يعـتقـد أن لا بأس في الأمر. هذا جميل».

«أوه، إنه مفكر»، قال آل. ثم تابعا الأكل.

«ما اسم الولد الذكي عند المنضدة؟» سأل آل ماكس.

«اسـمع، أيها الولـد الذكي»، قال ماكس لنِـك. «اذهب أنت وصديقك إلى الطرف الآخر من المنضدة».

«ما الغرض من ذلك؟» سأله نك.

«لا يوجد غرض».

«مـــن الأفضل أن تفعل ما قيل لك، أيها الذكي»، قال آل. راح نك وراء المنضدة.

«ما الغرض؟» سأل جورج.

«هذا ليس من شغلك»، قال آل. «مَنْ في المطبخ؟».

«الزنجي».

«ماذا تقصد؟».

«الطباخ الزنجي».

«نادِ عليه إلى هنا».

«ما الغرض؟».

«نادِ عليه إلى هنا».

«أين تظنان نفسيكما؟».

«نحـــن نعلم تماماً أين نحن»، قال الرجل الذي يدعى ماكس. «هل نبدو تافهين؟».

«إنك تتحدث حديثاً تافهاً»، رد عليه آل. «قل لي بحق الجحيم لماذا تتجادل مع هذا الولد؟» قال جورج، «اسمع، نادِ على الزنجي إلى هنا».

«ماذا ستفعلان به؟».

«لا شـــيء. اســـتخدم ذكاءك أيها الولد الذكـــي. ماذا تظننا فاعلين بزنجي؟».

فتح جورج البويب الذي ينفتح على المطبخ ونادى، «سام، تعال إلى هنا».

انفتح باب المطبخ وخرج الزنجي، وسأل، «ما الأمر؟» نظر إليه الرجلان الجالسان إلى المنضدة.

«لا بأس، أيها الزنجي. قف حيث أنت»، قال آل.

وقف الزنجي سام بمئزره ينظر إلى الرجلين الجالسين إلى المنضدة، وقال، «أمرك، يا سيدي». ترجَّل آل عن كرسيه، وقال:

«أنا ذاهب مع الزنجي والولد الذكي. هيّا عُد إلى المطبخ، أيها الزنجي، وأنت، أيها الولد الذكي، اذهب معه». تبع الرجل الصغير نك والطباخ سام إلى المطبخ. انغلق الباب وراءهم. ظل الرجل الذي يدعى ماكس جالساً إلى المنضدة قبالة جورج. لم ينظر إلى جورج، بل في المرآة الممتدة على الجدار خلف المنضدة. لقد كان مطعم هنري في الأصل صالوناً.

نظر ماكس في المرآة وقال، «حسنٌ، أيها الولد الذكي، لماذا لا تقول شيئاً؟».

«ما معنى ما تفعلان؟».

«آل، يريد الولد الذكي أن يعرف معنى ما نفعل»، قال ماكس.

«لماذا لا تخبره؟» جاءه صوت آل من المطبخ.

«وأنت، ماذا تظن معنى ما نفعل؟».

«لا أعلم».

«ماذا تظن؟».

لم ينقطع ماكس عن مراقبة المرآة وهو يتحدث.

«لن أقول».

«آل، لن يقول الولد الذكي ما يظن حول مغزى ما نفعل».

«بإمكاني أن أسـمعكما بوضوح»، قال آل من المطبخ. كان آل قد استخدم زجاجة كَاتْشَب ليُبقِي الفتحة التي تمر منها الصحون إلى المطبخ مفتوحة. «اسمع، أيها الولد الذكي»، نادى من المطبخ على جورج. «ابتعد قليلاً بمحاذاة البار، وأنت يا ماكس تحرك قليلاً نحو اليسار». كان مثل مصور يهيئ لصورة جماعية.

«حَدثني، أيها الولد الذكي»، قال ماكس. «ماذا تظن سيحدث؟».

لم يقل جورج شيئاً.

«أنا سأقول لك»، قال ماكس. «سنقتل سويدياً. هل تعرف سويدياً كبيراً يُدعى أوليه أندرسن؟».

«أجل».

«ألا يأتي إلى هنا كل ليلة لتناول العشاء؟».

«إنه يأتي في بعض الأحيان».

«ألا يأتي إلى هنا في السادسة؟».

«إذا جاء».

«نعلم كل هذا، أيها الولد الذكي»، قال ماكس. «تحدث عن شيء آخر. هل تذهب إلى السينما؟».

«قليلاً».

«عليك أن ترتادها أكثر. فالسينما مفيدة لولد ذكي مثلك».

«لماذا تريدان قتل أوليه أندرسن؟ ما الذي فعله لكما؟».

«لم تُتَح له الفرصة كي يفعل أي شيء لنا. بل إنه لم يرنا قط».

«ولن يرانا إلا مرةً واحدةً»، قال آل من المطبخ.

«إذن، لماذا تريدان قتله؟» سأل جورج.

«سـنقتله من أجل صديق. فقـط لإرضاء صديق، أيها الولد الذكي».

«اخرس،» قال آل من المطبخ. «أنت تُثَرْثِر كثيراً».

«حسـن، لكن عليَّ أن أسـلّي الولد الذكي. أليس كذلك، أيها الولد الذكي؟».

«إنك تُثَرْثِـر كثيراً»، قـال آل. «الزنـجي والولـد الذكـي هـنا لا يحتاجان إلى من يُسَـلّيهِما. لقـد قيدتهما مثل صديقتين في دير الراهبات».

«أظن أنك كنت في دير الراهبات؟».

«ربما».

«لقد كنت في دير للراهبات اليهوديات. أنا واثق من ذلك».

نظر جورج إلى الساعة.

«إن جـاء أحدهم قل له إن الطباخ في إجازة، وإن أصر فقل إنك سـتتولى أمر الطبخ بنفسـك. هل هذا مفهـوم، أيها الولد الذكي؟».

«لا بـأس»، قال جـورج. «ولكن ما الذي سـتفعلانه بنا بعد ذلك؟».

«هذا يعتمد على الظروف»، قال ماكس. «فهذا أمر لا يمكنك التنبؤ به في حينه».

نظر جورج إلى السـاعة. كانت تشـير إلى السادسة والربع. انفتـح باب المطعم من جهة الشـارع، ودخل سـائق عربة ترام، وقال:

«مرحباً، يا جورج. هل لي بعشاء؟».

«سام غير موجود»، قال جورج. «وسيعود بعد نحو نصف ساعة».

«إذن، من الأفضل لي أن أبحث عن مطعم آخر»، قال سائق الترام. نظر جورج إلى الساعة، وكانت تشير إلى السادسة وعشرين دقيقة.

«أحسنت، أيها الولد الذكي»، قال ماكس. «أنت سيد لطيف وصغير ولا غبار عليك».

«بل كان يعلم أنني سأطيح برأسه برصاصة»، قال آل من المطبخ.

«لا» قال ماكس. «ليس الأمر كذلك. بل إن الولد الذكي لطيف. إنه ولد لطيف، وأنا أحبه».

في السادسة وخمسٍ وخمسين دقيقة قال جورج، «إنه لن يأتي».

كان قد دخل المطعم رجلان آخران. في إحدى المرتين راح جورج إلى المطبخ وأعد شطيرة من شرائح اللحم مع البيض كان الرجل يريد أن يأخذها معه. رأى آل في المطبخ يعتمر قبعته المشدودة إلى الوراء ويجلس على كرسي بجانب البويب وفوهة مسدسه المشطوف متكئة على إفريز البويب. كان نك والطباخ يدير كلٌّ منهما ظهره للآخر في زاوية، وكان كلٌّ منهما مُكَمَّماً فَمُه بمنشفة. أعد جورج الشطيرة، ثم لفها بورق زيتي، ووضعها في كيس، وناولها للرجل الذي دفع ثمنها وخرج.

«يبدو أن الولد الذكي ماهر في كل شيء»، قال ماكس. «باستطاعته أن يطبخ ويفعل كل شيء. اسمع أيها الولد الذكي، ستكون زوجة صالحة لأي فتاة».

«حقاً؟» قال جورج. «إن صديقك أوليه أندرسن لن يأتي».

«سنمهله عشر دقائق»، قال ماكس.

كان ماكس يراقب المرآة والساعة. كانت عقارب الساعة تشير إلى السابعة وخمس دقائق.

«هيا، يا آل»، قال ماكس. «من الأفضل لنا أن نذهب. إنه لن يأتي».

«لِنُمْهِلْه خمس دقائق»، قال آل من المطبخ.

في أثناء الدقائق الخمس هذه جاء رجل، فادّعى جورج أن الطباخ مريض.

«ولماذا بحق الجحيم لا تستخدم طباخاً آخر؟» سأله الرجل. «ألست تدير مطعماً هنا؟» أضاف وهو يخرج.

«هيّا بنا يا آل»، قال ماكس.

«وماذا سنفعل بالولدين الذكيين والزنجي؟».

«لا خوف منهم».

«أتظن ذلك؟».

«بالتأكيد. لقد أنهينا مهمتنا».

«لا يعجبني ما حدث»، قال آل. «إنه عمل غير متقن. إنك تفرط في الحديث».

«وأين الضرر من هذا؟» قال ماكس. «ألا يحق لنا أن نتسلّى؟».

«أقول لــك إنك تفرط في الحديث من غير فائدة»، قال آل.
خرج من المطبخ، وكان مسدســه ذو الماسورتين المشطوفتين يبرز قليلاً من تحت معطفه الضيق. ســوّى معطفــه بيديه وهما في قفازيهما.

«وداعــاً، أيها الولد الذكي»، قال لجورج. «إنك ولد محظوظ جداً».

«هــذا هو القول الحق»، قال ماكس. «عليك أن تشــارك في السباقات، أيها الولد الذكي».

خــرج الرجلان من الباب. راقبهمــا جورج من خلال النافذة وهما يمــران تحت عمود النــور المقوَّس ويعبران الشــارع. كانا يبدوان كفريق من المهرجــين في معطفيهما الضيقين وقبعتيهما المستديرتين. اتجه جورج إلى المطبخ عبر الباب الدوار وفك قيد نك والطباخ.

«لا أريد شــيئاً من هذا القبيل بعد اليوم»، قال الطباخ سام. «لا أريد شيئاً من هذا القبيل بعد اليوم».

نهض نك. لم يســبق له أن كُمِّمَ فمُه بمنشفة، لكن قال وكأنه يريد التبجح، «وماذا في ذلك؟».

«كانا يريدان قتل أوليه أندرسن»، قال جورج. «كانا سيطلقان عليه النار عندما يدخل المطعم لتناول عشائه».

«أوليه أندرسن؟».

«لا أحد غيره!».

تحسس الطباخ شِدْقيه بإبهاميه، وسأل، «هل ذهبا؟».

«نعم»، قال جورج. «لقد ذهبا».

«لا يعجبني هذا الأمر»، قال الطباخ. «لا يعجبني هذا بتاتاً».

«اسمع»، قال جورج لنك. «من الأفضل أن تذهب لرؤية أوليه أندرسن».

«حسنٌ».

«بل الأجدر بكما أن تنأيا بنفسيكما عن هذا الأمر»، قال الطباخ سام. «ابتعدا عن هذا الأمر قدر المستطاع».

«لا تذهب إن لم تكن راغباً بذلك»، قال جورج.

«لا فائدةَ من التورط في هذا الأمر»، قال الطباخ. «لذا عليكما أن تظلا بعيدين».

«سأذهب لرؤيته»، قال نك لجورج. «أين يسكن؟».

أشاح الطباخ بناظريه عنهما، وقال، «الأولاد الصغار دائماً يعرفون ما يريدون فعله».

«إنه يسكن في نُزل هيرش»، قال جورج لنك.

«سأذهب إليه».

كان النور في الخارج يسطع من عمود مُقَوَّس فيتخلل من بين أغصان شجرة جرداء. سار نك في الشارع محاذياً سكة العربات وعند عمود النور التالي انعطف نحو شارع فرعي. كان نُزل هيرش يقع بعد ثلاثة منازل في هذا الشارع. صعد نك الدرجتين ثم ضغط على الجرس، فجاءت امرأة إلى الباب.

«هل أوليه أندرسن موجود؟».

«هل تريد أن تراه؟».

«نعم، إن كان موجوداً».

تبع نك المرأة على الدرج ثم إلى نهاية الممر. طرقت الباب.

«من في الباب؟».

«شخصٌ يريد مقابلتك، يا سيد أندرسن»، قالت المرأة.

«أنا نك آدمز».

«تفضل».

فتح نك الباب ودخل الغرفة. كان أوليه أندرسن يستلقي على السرير بكامل ملابسه. كان في يوم من الأيام ملاكماً من الوزن الثقيل، وكان أطول من السرير(٢)، كان يضع وسادتين تحت رأسه. لم ينظر إلى نك، بل اكتفى بالسؤال:

«ما الأمر؟».

«كنت في مطعم هنري»، قال نك، «فجاء رجلان وقيداني والطباخ، وقالا إنهما سيقتلانك».

بدا الأمر سخيفاً عندما تَفَوَّه به. لم ينبس أوليه أندرسن ببنت شفة.

«أخرجانا إلى المطبخ»، قال نك مواصلاً حديثه. «وكانا ينويان أن يطلقا عليك النار عندما تأتي لتناول العشاء».

نظر أوليه أندرسن إلى الجدار ولم يقل شيئاً.

«أوصاني جورج بأن آتي إليك لأخبرك».

«ليس في يدي حيلة إزاء هذا»، قال أوليه أندرسن.

«سأخبرك عن أوصافهما».

«لا أريد أن أعرف شيئاً عن أوصافهما»، قال أوليه أندرسن.

---

(٢) هذه شخصية من نسج الخيال ولا يوجد ملاكم حقيقي بهذا الاسم. في الفيلم السينمائي الثاني الذي اقتُبست فكرته من هذه القصة أيضاً، وأخرجه دون سيغل العام ١٩٦٤، نجد أن أول مباراة خاضها أندرسن كانت العام ١٩٢٨، في حين أن قصة همنغواي نُشرت العام ١٩٢٧ [المترجم].

وراح ينظر إلى الجدار. «أشكر لك مجيئك لإخباري بهذا».

«لا عليك».

نظر نك إلى الرجل الهائل المستلقي على سريره.

«ألا تريدني أن أذهب لإخبار الشرطة؟».

«لا»، قال أوليه أندرسن. «لا فائدة من ذلك».

«ألا يمكنني أن أفعل شيئاً؟».

«لا. لا يوجد شيء إطلاقاً».

«ربما كان الأمر مجرد خدعة».

«لا. ليس في الأمر خدعة».

انقلب أوليه أندرسن نحو الجدار، وقال مُصَوِّباً حديثه نحوه:

«كل ما هنالك هو أنني لا أستطيع أن أحزم أمري على الخروج. لقد بقيت هنا طوال اليوم».

«ألا يمكنك أن تخرج من هذه البلدة؟».

«لا»، قال أوليه أندرسن. «لقد فرغت من كل ذلك التجوال». قال وهو ينظر إلى الجدار، «لم يعد لديَّ الآن ما أفعله».

«ألا يمكنك أن تصلح ما انكسر؟».

«لا. لقد دخلت مُدْخلاً خاطئاً». كان يتحدث بذات الصوت الخفيض. «لم يعد بالإمكان فعل أي شيء. بعد مدة سأُرْغَم على الخروج».

«يجدر بي أن أرجع لرؤية جورج»، قال نك.

«وداعاً»، قال أوليه أندرسن. «أشكر لك قدومك». خرج نك. وعندما أغلق الباب شاهد أوليه أندرسن بكامل ثيابه يستلقي على السرير ويمعن النظر في الجدار.

«لقد لزم غرفته طوال اليوم»، قالت صاحبة النزل. «أظن أنه مريض. لقد قلت له: سيد أندرسن، عليك أن تخرج وتتمشى في هذا اليوم الخريفي الجميل، لكنه لم يشعر بالرغبة في ذلك».

«إنه لا يريد الخروج».

«أشعر بالأسى لمرضه،» قالت المرأة. «إنه رجل شديد اللطف. لقد كان ملاكِماً، كما تعلم».

«نعم، أعلم ذلك».

«إنك لا تعلم ذلك إلا من وجهه»، قالت المرأة. كانا يقفان ويتحدثان عند الباب الخارجي للنزل. «إنه لطيف جداً».

«حسنٌ، طابت ليلتك، يا سيدة هيرش»، قال نك.

«أنا لست السيدة هيرش»، قالت المرأة. «هي صاحبة النزل وأنا مديرته. أنا السيدة بِل».

«حسنٌ، طابت ليلتكِ، يا سيدة بل»، قال نك.

«طابت ليلتكَ»، قالت المرأة.

عاد نك أدراجه في الشارع المظلم إلى الزاوية عند عمود النور، ثم بمحاذاة سكة العربات إلى مطعم هنري. كان جورج داخل المطعم ويقف وراء المنضدة.

«هل رأيت أوليه؟».

«نعم»، قال نك. «إنه يلزم غرفته ولن يغادرها».

فتح الطباخ باب المطبخ عندما سمع صوت نك.

«لا أريد حتى أن أستمع»، قال ذلك وأغلق الباب.

«هل أخبرته؟» سأل جورج.

«بالتأكيد. أخبرته، وهو يعلم كل ما يجري».

«وماذا سيفعل؟».

«لا شيء».

«سيقتلانه».

«أظنهما سيفعلان».

«لا بد أنه تورط في أمرٍ ما في شيكاغو».

«أظن ذلك»، قال نك.

«يا لها من ورطة!».

«ورطة كبيرة»، قال نك.

لم يقولا شيئاً. تناول جورج منشفة ومسح بها المنضدة.

«تُرى، ماذا فعل؟» تساءل نك.

«غدر بأحدهم. وهذا سبب وجيه للقتل».

«سأغادر هذه البلدة»، قال نك.

«نعم»، قال جورج. «خيرٌ ما تفعل».

«لا أحتمل أن أفكر به وهو ينتظر أن يُقتل في غرفته وهو يعلم. إنه أمر مرعب».

«حسنٌ»، قال جورج، «لذلك يجدر بك ألا تفكر في أمره».

ماذا يقول لك الوطن؟ (٣)
[١٩٢٧]

كان طريق الشِّعب في الصباح الباكر قاسياً أملس لم يتحول إلى ترابي بعد. تحت الشِّعب كانت هناك تلال مغطاة بأشجار السنديان والكستناء، وتحت التلال في البعيد كان البحر. وعلى الطرف الآخر كانت جبالٌ مكلّلةٌ بالثلوج.

نزلنا من الشِّعب عبر أرض ريفية حراجية. كانت أكياس الفحم تتكدس بجانب الطريق، وكنا نرى أكواخ الفحّامين من خلال الأشجار. كان ذلك يوم أحد، وكان الطريق يعلو ويهبط لكنه دوما في انحدار دائم من ارتفاع الشِّعب، ويمر عبر غابات خفيضة الأشجار وعبر القرى.

خارج القرى كانت هناك حقول الكرمة. كانت الحقول داكنة اللون وكانت الكرمة كثيفة بلا تشذيب. كانت البيوت بيضاء وكان الرجال يلعبون لعبة البولنغ في الشوارع بملابس يوم الأحد. كانت هناك أشجار إجاص قبالة بعض البيوت، وكانت أغصانها تتدلى كأنها شمعدانات خلفها جدران بيضاء. كانت أشجار الإجاص قد رُشَّت بمادة فاصطبغت جدران البيوت برذاذ أخضر معدني مائل إلى الزرقة. كانت هناك مساحات صغيرة خالية من الأشجار تحيط بالقرى وتنمو فيها الكرمة، ثم تمتد الغابات وراء ذلك.

---

(٣) اختار همنغواي عنوان قصته هذه بالإيطالية ?Che Ti Dice La Patria، ويُعْتَقَد أنه قولٌ مُقتبسٌ من موسوليني الذي التقاه همنغواي العام ١٩٢٢، عندما كان هذا الأخير يعمل مراسلاً صحافياً، وقال عنه، «إنه أكبر نصّاب في أوروبا» [المترجم].

في إحدى القرى المطلة فوق سبيزيا(٤)، وتبعد عنها عشرين كيلو متراً، احتشد جمع غفير من الناس في الساحة، فتقدم من سيارتنا شاب يحمل حقيبة أمتعة وطلب منا أن نأخذه إلى سبيزيا.

«ليس لدينا سوى مكانين، وهما مشغولان»، قلت له. كانت سيارتنا كوبيه قديمة من طراز فورد.

«لا أريد الركوب داخل السيارة».

«لن يكون هذا مريحاً».

«لا بأس في ذلك، فعليَّ أن أذهب إلى سبيزيا».

«هل نأخذه؟» سألتُ غاي.

«يبدو أنه ذاهب في كل الأحوال»، قال غاي. ناولنا الشاب رزمةً عبر النافذة، وقال:

«أوصيكما بهذه». ربط رجلان حقيبته في الخلف فوق حقائبنا. صافح الجميع، وقال إنه لا يجد مشقة في سفر كهذا، فهو فاشيّ ورجلٌ أَلِفَ الأسفار كثيراً، ثم تسلق العتبة اليسرى للسيارة، ثم أنفذ ذراعه اليمنى عبر النافذة المفتوحة ليتمسك بداخل السيارة.

«بإمكانكما أن تنطلقا»، قال لنا. لوح له الجمهور، فلّوح لهم بيده الحرة.

«ماذا قال؟» سألني غاي.

«بإمكاننا أن ننطلق».

«أَلَيْس هذا شاباً لطيفاً؟»، قال غاي(٥).

---

(٤) تقع مدينة سبيزيا على الساحل الغربي لإيطاليا على البحر المتوسط [المترجم].

(٥) هذا سؤالٌ استنكاري يُقصَد به السخرية لا الاستفهام [المترجم].

كان الطريق بمحاذاة نهـــر، وفي الجهة الأخرى من النهر كانت هناك جبال. كانت الشمس تُذيب الصقيع من الحشائش. كان الطقـــس صافياً وبارداً وكان الهواء يتســـلل عبر الزجاج الأمامي المفتوح.

«ترى، ما هو شـــعور مسافرنا الآن؟» سأل غاي وهو ينظر إلـــى الطريق أمامـــه. كان ضيفنا يعيق رؤيـــة غاي من الجهة اليسرى للسيارة. كان الشاب ناتئاً من جهة السيارة كأنه تمثال في مقدم سفينة. كان قد رفع قَبَّة معطفه إلى الأعلى وسحب قبعته نحو الأسفل وبدا البرد واضحاً على أنفه في الريح.

«لعله سينال ما يكفيه»، قال غاي. «إن هذا الصعلوك بمنزلة عجلة احتياط».

«إنـــه لن يتردد في مغادرتنا إن انفجـــرت إحدى العجلات»، قلت لغاي. «لن يدع ثياب سفره تتسخ».

«لا مأخذ لي عليه ســـوى أنه يترنـــح عمداً عند المنعطفات»، قال غاي.

ولَّـــت الغابات، وغادر الطريـــقُ النهرَ وراح يصعد، وبدأ مُبَرِّد السيارة يغلي، وبدا الشاب منزعجاً وتساوره الشكوك حول البخار المنبعث والماء الصدئ. كان محرك السيارة يَهدُر، وكانت قدما غاي كلاهما في حركة دائبة بين الغيارات إلى أن اســـتقرت الســـرعة عند مستوى معين. توقف الهدير، وما إن حلَّ هذا الهدوء الطارئ حتى ســـمعنا هديراً هائلاً ينطلق من مُبَرد السيارة. كنا في قمة آخر سلســـلة جبلية تطل فوق سبيزيا والبحر. كان الطريق يهبط في منعطفات قصيرة شـــبيهة بالحـــادة. كان ضيفنا يتمايل عند

المنعطفات حتى كاد يقلب السيارة برغم ثقلها.

«لا يمكنك أن تمنعه»، قلت لغاي. «فهذا مفهومه عن حفظ الذات».

«ذلك المفهوم الإيطالي العظيم».

«بل المفهوم الإيطالي الأعظم».

هبطنا منعطفات نشق طريقنا عبر تراب عميق تكتسي به أشجار الزيتون. كانت سبيزيا تمتد بمحاذاة البحر. انبسط الطريق خارج البلدة. مدّ ضيفنا رأسه من النافذة، وقال:

«أريد أن أتوقف».

«توقف»، قلت لغاي.

تمهلنا على جانب الطريق. ترجّل الشاب واستدار إلى خلف السيارة وأنزل حقيبته.

«سأتوقف هنا لكي لا أسبب لكما الإحراج بسبب ركوبي معكما»، قال لنا.

ناولته الرزمة، فمد يده إلى جيبه.

«بكم أدين لكما؟».

«لا شيء».

«لم لا؟».

«لا أعرف»، قلت له.

«إذن، شكراً»، قال لنا الشاب. لم يقل «شكراً لكما»، أو «شكراً جزيلاً لكما»، أو «شكراً لكما ألف مرة»، من قبيل ما كنت تقوله في السابق في إيطاليا لأي رجل يعطيك جدول مواعيد أو يدلك على وجهة ما. لقد تَفَوَّه الشاب بأخس أنواع الشكر، وراح يراقبنا

بريبة ونحن نشـــغّل الســـيارة. لوحت له بيـــدي، لكنه أبى أن يرد عليها، عزةً وإباءً. دخلنا سپيزيا.

«ذاك شاب أمامه مسيرة طويلة في إيطاليا»، قلت لغاي.

«ونحن نقلناه مسافة عشرين كيلو متراً منها»، قال غاي.

غداء في سپيزيا

دخلنا سپيزيا نبحث عن مكان نأكل فيه. كان الشارع عريضاً، وكانت البيوت عالية وصفراء. تبعنا سكة الترام إلى مركز البلدة. كانت جدران المنازل تعج بصور مُرسومة لموسوليني وكلمة vivas [يعيش] مكتوبة بخط اليد، وكان كلٌّ من حرفي v مطبوعاً بطلاء أسود تسيل منه بعض القطرات على الجدران. كانت الشوارع الفرعية تؤدي إلى الميناء. كان الطقس صحواً وكان الناس جميعاً يحتفلون بالخروج في يوم الأحد. كان الرصيف الحجري مرشوشاً بالماء، وكانت هناك بعض البقع الرطبة من الغبار. التصقنا بحافة الرصيف لتفادي الاصطدام بعربة ترام.

«دعنا نبحث عن مطعم بسيط»، قال غاي.

توقفنا قبالة إشارتين إلى مطعمين. كنا نقف على الطرف الآخر من الشارع وكنت أشتري الصحف. كان المطعمان جنباً إلى جنب. كانت تقف في مدخل أحدهما امرأة، فابتسمت لنا، فعبرنا الشارع، ودخلنا.

كان داخل المطعم مظلماً، وكانت ثلاث فتيات يتحلقن حول طاولة مع امرأة عجوز في صدر المطعم. كان يجلس قُبالتنا على طاولة أخرى أحد البحارة. لم يكن يشرب أو يأكل. وخلفه كان شاب يرتدي طقماً أزرق ويكتب على طاولة. كان شعره مدهوناً يبرق، وكان شديد التأنق، حسن المظهر.

تسلل الضوء من المدخل وعبر النافذة حيث كانت الخضار والفاكهة والمشويات تصطف في نافذة العرض. جاءت فتاة

وأخـــذت طَلَبنَا بينما وقفت أخرى في المدخل. لفت انتباهنا أنها لم تكن ترتدي شيئاً تحت ثوبها المنزلي. طوقت الفتاة التي أخذت طلبنا رقبة غاي بذراعها بينما كنا ننظر في قائمة المأكولات. كان مجموع الفتيات ثلاثاً وكن جميعاً يتناوبن على الذهاب والوقوف فـــي المدخل. تحدثت إليهن العجوز الجالســـة في صدر المطعم، فذهبن وجلسن معها مرة أخرى.

لم يكن في المطعم سوى ممر واحد يؤدي إلى المطبخ، وكانت تنسدل عليه ســـتارة. عادت الفتاة التي أخذت طلبنا من المطبخ حاملةً طبق سباغيتي. وضعته على الطاولة ثم أحضرت زجاجة من المشروب الأحمر وجلست معنا.

«حسنٌ»، قلت لغاي، «لقد أردت أن تأكل في مطعم بسيط».

«هذا ليس مطعماً بسيطاً، بل معقد».

«ماذا تقولان؟ هل أنتما ألمانيان؟»، سألت الفتاة.

«من الألمان الجنوبيين»، قلت لها. «إن الألمان الجنوبيين شعبٌ لطيفٌ ومحبوب». «لا أفهم»، قالت الفتاة.

«ما هي أصول التعامل في هذا المكان؟»، ســـألني غاي. «هل عليَّ أن أدعها تطوق رقبتي بذراعها؟».

«بالتأكيـــد»، قلت له. «لقد ألغى موســـوليني دُورَ البِغاء. أما هذا فمطعم».

كانت الفتاة ترتدي ثوباً مـــن قطعة واحدة. مالت إلى الأمام علـــى الطاولة، ثم وضعت يديها على صدرها وابتســـمت. كانت ابتسامتها على أحد الجانبين أفضل من ابتسامتها على الجانب الآخـــر، فأدارت لنا الجانب الحســـن. ومما زاد في ســـحر هذا

الجانب الحســـن أن حادثة ما صقلت الطرف الآخر لأنفها، كما يُصقل الشـــمع الساخن، فجعلته متســـاوقاً. بيد أن أنفها لم يَبْدُ كأنه شمع ساخن. بل كان بارداً ومتماسكاً جداً. كل ما هنالك هو أنه كان متساوقاً. «هل أُعجِبُك؟» سألتْ غاي.

«إنه مُتَيَّمٌ بك»، قلت لها، «لكنه لا يتحدث الإيطالية».

«إيش شپريشـــه دويتش [أنا أتحـــدث الألمانية]»، قالت وهي تداعب شعر غاي.

«حَدِّث السيدة، يا غاي، بلغتك الأم».

«من أين أنتما؟» سألت السيدة.

«پوتسدام»(٦).

«وهل ستمكثان هنا بعض الوقت؟».

«في سپيزيا هذه العزيزة علينا؟».

«قل لهـــا إنا ذاهبان»، قال غاي. «قل لهـــا إننا نعاني مرضاً وإفلاساً شديدين».

«إن صديقي كاره للنســـاء»، قلت لها. «إنه ألماني عتيد ويكره النساء».

«قل له إني أحبه».

فقلت له.

«هلا صمـــتَّ وأخرجتنا من هنا؟» قال غاي. في هذه الأثناء كانت الســـيدة قد طوقته بذراعها الأخرى. «قل له إنه لي»، قالت لي، فقلت له.

«هلاّ أخرجتنا من هنا؟».

---

(٦) تقع مدينة پوتسدام إلى الجنوب الغربي من برلين [المترجم].

«أنتما تتخاصمان»، قالت السيدة. «إنكما لا يحب كل منكما الآخر».

«نحن ألمان»، قلت لها باعتزاز، «بل من عُتاة الألمان الجنوبيين».

«قل له إنه صبي وسيم»، قالت السيدة. كان غاي في الثامنة والثلاثين من عمره، وكان يعتز بظن الناس أنه بائع متجول في فرنسا. «أنت صبي وسيم»، قلت له.

«من الذي يقول ذلك؟» سألني غاي. «أنت أم هي؟».

«بل هي. فما أنا إلا مترجمك. أليست هذه هي الصفة التي أتيت بي من أجلها إلى هذه الرحلة؟».

«أنا سعيد أنها هي التي قالت ذلك»، قال غاي. «إذ لم أكن راغباً في تركك أيضاً هنا».

«لا أعرف. سبيزيا مكان رائع».

«سبيزيا»، قالت السيدة. «أنتما تتحدثان عن سبيزيا».

«مكان رائع»، قلت لها.

«إنها بلدتي»، قالت لنا. «سبيزيا موطني وإيطاليا بلادي».

«تقول إن إيطاليا هي بلادها».

«قل لها إنها تبدو كذلك»، قال غاي.

«ماذا لديك من حلوى؟» سألتها.

«فاكهة»، قالت. «لدينا موز».

«لا بأس بالموز»، قال غاي. «فهو له قشرة».

«حسنٌ، سيتناول الموز، قالت السيدة وعانقت غاي.

«ماذا قالت؟» سألني غاي، وهو يحاول أن يبعد وجهه عنها.

«إنها مسرورة لأنك ستتناول الموز».

«قل لها إنني لا أريد موزاً».

«لا يريد السينيور موزاً».

«آه»، قالت السيدة، كسيرةَ الخاطر. «إنه لا يأكل الموز».

«قل لها إنني آخذ حماماً بارداً كل صباح».

«لا أفهم»، قالت السيدة.

لم يتزحزح «البحار» الجالس قبالتنا من مكانه. لم يعره أحدٌ في المطعم أي اهتمام.

«نريد الحساب»، قلت لها.

«أوه، لا. عليكما أن تمكثا».

«اسـمعي»، قال الشاب المتأنق من الطاولة التي يكتب عليها. «دعيهما يذهبان. إنهما لا يساويان شيئاً».

أخذتني السيدة من يدي وقالت، «ألن تبقيا؟ ألن تطلب منه أن يبقى؟»

«علينا أن نذهب»، قلت لها. «علينا أن نصل إلى بيزا، وإن أمكن، إلى فيرنزي، هذه الليلة. يمكننا أن نروّح عن أنفسنا في هاتين المدينتين في نهاية النهار. والآن لا يزال الوقت نهاراً، وفي النهار علينا أن نقطع المسافات».

«جميلٌ أن تمكثا هنا قليلاً».

«وضروريٌ أن نسافر في ضوء النهار».

«اسمعي»، قال الشاب المتأنق. «لا ترهقي نفسك بالحديث مع هذين الاثنين. قلت لك إنهما لا يساويان شيئاً، وأنا واثق بذلك».

«هات لنا الحساب»، قلت لها. أحضرت فاتورة الحساب من العجوز ثم عادت وجلست إلى الطاولة. خرجت فتاة أخرى من المطبخ. سارت على طول الغرفة ووقفت في المدخل.

«لا تنشغلي مع هذين»، قال الشاب المتأنق بنبرة فيها ضيق. «تعالي وكُلي. إنهما لا يساويان شيئاً».

دفعنا الحساب ونهضنا. تحلقت الفتيات الثلاث والعجوز والشاب المتأنق حول الطاولة. أما «البحار» فجلس ورأسه بين يديه. لم يتحدث إليه أحدٌ طوال وجودنا في المطعم. أحضرت لنا الفتاة بقية الحساب الذي عَدّته لها العجوز، ثم عادت لتأخذ مكانها على الطاولة. تركنا إكرامية على الطاولة ثم خرجنا. عندما اتخذنا مقاعدنا في السيارة استعداداً للانطلاق، خرجت الفتاة ووقفت بالباب. انطلقت بنا السيارة، فلوَّحتُ لها بيدي. لم تلوّح لي، بل ظلت واقفة في مكانها وعيناها ترصداننا.

بعد المطر

كان المطر يهطل بغزارة عندما مررنا بضواحي جنوا، وبرغم أننا كنا نسير ببطء شـــديد خلف عربات الترام والشاحنات، كان الوحـــل الســـائل يتطاير على الأرصفـــة، مما دفع الناس للاحتماء في المداخل عندمـــا رأونا مقبلين. في أثناء مرورنا عبر ســـان پيير دارينا، وهي ضاحية صناعية خارج جنوا، كنا نسير وسط الشارع العريض ذي السكتين لكيلا نرشق الناس العائدين إلى بيوتهم من العمل بالوحل. كان البحر المتوســـط على يســـارنا. كان بحراً كبيراً هائجاً، وكانت الأمواج تتكسر، وكانت الريح ترشق سيارتنا بالرذاذ. عندما قدمنا إلى إيطاليا من قبل كان هناك نهر عريض صخري وجاف، أما الآن فأصبح عَكِر اللون ويفيض حتـــى ضفتيه. خالط ماءُ النهر العكر ماءَ البحر، فَبَهُت لون هذا الأخير، وتضاءلت الأمواج حتى تلاشت عند انكســـارها، وكان النور يتخلل من المـــاء الأصفر، وكانت أعالي الموج التي فصلتها الريح تهب على الطريق.

مرت بنا ســـيارة كبيرة مســـرعة، فارتفعت موجة من الماء الموحل، فرشـــقت زجاج ســـيارتنا الأمامي والمبـــرّد. تحركت ماسحة الزجاج الأوتوماتيكية ذهاباً وإياباً، ناشرةً طبقة الوحل الرقيقة على الزجاج كله. توقفنا لتناول طعام الغداء في مطعم سِســـتري. لم تكن في المطعم تدفئة، فاضطررنا إلى ألا نخلع قبعاتنا ومعاطفنا. كنا نرى الســـيارة مركونة في الخارج عبر النافـــذة. كانت مجللة بالوحل ومركونة بجانب بعض القوارب

التي سُحبت بعيداً عن الأمواج. كنت ترى أنفاسك في هذا المطعم.

كانت أكلة الپاستا أسيوتا(٧) طيبة، أما المشروب فكان له طعم كطعم الشَّب، فاضطررنا لمزجه بالماء. بعد ذلك أحضر النادل شرائح من لحم البقر المشوي والبطاطا المقلية. في الطرف البعيد من المطعم كان يجلس رجل وامرأة. كان في منتصف العمر، أما هي فشابة وترتدي الأسود. كانت طوال الوجبة تنفث أنفاسها في الهواء الرطب البارد. وكان الرجل ينظر إلى تلك الأنفاس ويهز رأسه. كانا يأكلان بصمت، وكان الرجل يمسك بيدها تحت الطاولة. كانت مليحة المظهر، والحزن بادٍ على كليهما. كانت معهما حقيبة سفر.

اشترينا الصحف وقرأت لغاي بصوت عالٍ عن القتال في شنغهاي. بعد الوجبة غادر غاي مع النادل بحثاً عن مكان غير موجود في المطعم، بينما أخذت أنا خرقة ونظفت بها الزجاج الأمامي والمصابيح ولوحة السيارة. عاد غاي وانطلقنا بالسيارة. كان النادل قد أخذه إلى الطرف الآخر من الطريق ودخلا منزلاً قديماً. ساورت أهلَ المنزل بعضُ الشكوك، فاضطر النادل للبقاء مع غاي لكي لا يسرق شيئاً.

«برغم أنني لست عامل تمديدات صحية، لا أعرف لماذا كانوا يتوقعون أنني سأسرق أي شيء»، قال غاي.

وبينما نحن نقترب من رأس بريّ داخل في البحر خارج المدينة، ضربت الريح السيارة وكادت تقلبها.

(٧) أكلة الپاستا أسيوتا تتألف من البطاطا والمعكرونة والبصل والثوم والجبنة [المترجم].

«لا بـــأس بهذه الريح ما دامت تهـــب علينا من جهة البحر»، قال غاي.

«لكن شِلي غرق هنا في بعض هذه النواحي»، قلت له[٨].

«حدث هذا بالقرب من ڤياريجيو»، قال غاي[٩] «هل تذكر لماذا جئنا إلى هذه البلاد؟»

«أجل»، قلت له. «لكننا لم نحصل على بغيتنا».

«سنخرج من هذه البلاد الليلة».

«إن استطعنا أن نتجاوز ڤِنْتيمِغْلِيا»[١٠].

«ســنرى. فأنا لا أحب أن أقود الســيارة بمحاذاة الســاحل ليلاً». كان الوقت بُعَيْدَ الظهيرة، وكانت الشــمس مشــرقة. كان البحــر الأزرق تحتنا، وكان الموج المزبد يجري نحو ســاڤونا[١١]. وخلفنا، وراء الرأس، كان الماء العكر يخالط الماء الأزرق. وأمامنا كانت سفينة شحن تجوب الشواطئ.

«هل لا تزال قادراً على رؤية جنوا؟» سألني غاي.

«طبعاً».

«لا بد أن الرأس الكبير القادم سيحجبها عن الرؤية».

«بل ســنظل نراها لوقت طويل. لا أزال أســتطيع رؤية رأس پورتوفينو وراءها»[١٢].

---

(٨) الإشــارة هنا إلى الشاعر الرومانســي الإنجليزي پيرسي شِلي الذي غرق في المتوسط العام ١٨٢٢ [المترجم].

(٩) تقــع مدينة ڤياريجيو على الســاحل الغربي لإيطاليا على المتوســط، وهي إلى الجنوب من مدينة لاسپيزيا [المترجم].

(١٠) تقــع ڤِنْتيمِغْلِيا في أقصــى الجنوب الغربي من إيطاليا وهي قريبــة من الحدود مع إمارة موناكو [المترجم].

(١١) تقع مدينة ساڤونا إلى الغرب من مدينة جنوا في الشمال الغربي من إيطاليا [المترجم].

(١٢) يقع رأس پورتوفينو على البحر المتوسط وإلى الجنوب الشرقي من جنوا [المترجم].

وأخيراً لم نعد نرى جنوا. التفتُّ ورائي، فلم أر سوى البحر وزوارق الصيد على طول الشريط الساحلي للخليج تحتنا. وفوقنا رأيت مدينة تقبع على سفح رابية، وعدداً من الرؤوس البحرية على طول الشاطئ البعيد.

«لقد اختفت الآن»، قلت لغاي.

«بل اختفت منذ زمن طويل».

«لكننا لم نتيقن حتى ابتعدنا كثيراً».

رأينا إشارة تحمل صورة منعطف على شكل حرف S وعبارة «مُنعَطَف خَطِر» [بالإيطالية]. انعطف الطريق حول الرأس البري وكانت الريح تتسلل إلينا من الخرق الموجود في الزجاج الأمامي. كانت تمتد تحت الرأس رقعة منبسطة بجانب البحر. كانت الريح قد جففت الوحل فراحت العجلات تثير شيئاً من الغبار. ونحن نسير على الطريق المنبسط، مررنا بفاشيٍّ يركب دراجة هوائية ويحمل مسدساً ثقيلاً في قراب على ظهره. كان يسير في منتصف الطريق، فابتعدنا قليلاً من أجله، وعندما مررنا به تطلعّ إلينا. كان أمامنا تقاطع سكة حديد، وبينما نحن نقترب منه أُنزلت الحواجز.

وبينما نحن ننتظر، لحق بنا الفاشي على دراجته. مر القطار وأدارَ غاي المحرك.

«انتظرا»، صاح راكب الدراجة من خلف السيارة. «إن لوحتكما متسخة».

أخرجت خرقة وترجلت. كنت قد نظَّفت اللوحة عند الغداء.

«يمكنك أن تقرأ الرقم»، قلت له.
«أتظن ذلك؟»
«اقرأه».
«لا أستطيع. إنه متسخ».
نظفته بالخرقة وقلت له، «والآن، ما رأيك؟».
«خمس وعشرون ليرة».
«ماذا؟ كان بإمكانك قراءته. لقد اتسخت اللوحة بسبب حال الطرقات!».
«ألا تعجبك الطرق الإيطالية؟».
«إنها قذرة».
«خمسون ليرة»، قال وهو يبصق على الطريق. «إن سيارتك قذرة وأنت قذر كذلك».
«لا بأس. أعطني مخالفة واكتب اسمك عليها».
أخرج دفتر مخالفات مزدوجاً ومُخَرَّماً بحيث يُعطى قسم للزبون المخالف، ويُملأ القسمُ الآخر ويُحتَفظ به لدى الشرطة. لم يكن هناك ورق كربون لنسخ المعلومات على قسيمة الزبون.
«أعطني خمسين ليرة».
كتب بقلم رصاص لا يُمحى، ثم قصّ القسيمة وناولني إياها. قرأتها.
«هذه مخالفة بقيمة خمس وعشرين ليرة».
«مجرد خطأ»، قال ثم غيَّر الرقم من خمس وعشرين إلى خمسين.
«والآن اكتب خمسين في القسيمة التي تحتفظ بها».

ابتسم ابتسامة إيطالية جميلة وكتب شيئاً على أرومة القسيمة، وكان يمسكها بطريقة تحجب عني رؤية ما يكتب.

«هيّا انطلقا قبل أن تتسخ اللوحة ثانية»، قال لنا.

سرنا ساعتين بعد حلول الظلام ونمنا ليلتنا في منتوني. بدت البلدة مرحة ونظيفة ومعقولة ورائعة. لقد ارتحلنا بالسيارة من ڤنتيمغليا إلى پيزا وفلورنسا عبر إقليم الرومانا إلى ريميني ثم عدنا مروراً بفورلي، وإيمولا، وبولونا، وپارما، وپياسنزا، وجنوا، وڤنتيمغليا مرة أخرى(١٣) استغرقت الرحلة بكاملها عشرة أيام. وبطبيعة الحال، وبسبب قصر الرحلة، لم يتسن لنا أن نعرف كيف تسير أمور البلاد والعباد.

---

(١٣) هذا يعني أنهما سافرا من أقصى نقطة في الغرب الإيطالي على المتوسط، ثم اتّجها إلى الشمال الشرقي حتى مدينة جنوا، ثم اتجها جنوباً على طوال الساحل الغربي حتى مدينة پيزا، حيث انعطفا يساراً حتى مدينة رِميني على شاطئ البحر الأدرياتيكي في الشرق، ومنها نحو الشمال الغربي حتى مدينة پياسِنْزا إلى الشمال الشرقي من مدينة جنوا، ثم عادا إلى ڤنتيمِغليا التي انطلقا منها [المترجم].

خمسون ألف دولار
[١٩٢٧]

«كيف حالك أنت، يا جاك؟» سألتُه.

«هل رأيت والكوت هذا؟».

«في الجيمانزيوم فقط».

«سأكون في حاجة إلى حظ عظيم لمواجهة هذا الصبي»، قال جاك.

«لن يتمكن من إصابتك، يا جاك»، قال سولجر.

«أتمنى ذلك من كل قلبي».

«لن يتمكن من إصابتك ولو بحفنة من الخُرْدُق».

«لا بأس بالخردق»، قال جاك. «لست أمانع الخردق على الإطلاق».

«يبدو أنه فريسة سهلة»، قلتُ له.

«بالتأكيد»، قال جاك. «لن يدوم طويلا. لن يدوم مثلي ومثلك، يا جيري. لكنه الآن لديه كل شيء».

«ستسقيه كأسَ المنون من يُسراك».

«ربما»، قال جاك. «ومن المؤكد أن أمامي فرصة».

«افعل به ما فعلت بكِدّ لويس»[١٤].

«ذاك الصبي لويس»، قال جاك. «ذلك الكايك!»[١٥].

---

(١٤) تد لويس (١٨٩٤ - ١٩٧٠): ملاكم يهودي من مواليد لندن، اسمه الحقيقي غيرشن مندلوف، ويلقب «كِد» أيضا [المترجم].

(١٥) الكايك هو تعبير قدح وذم يستخدمه الأمريكيون للإشارة إلى أي شخص يهودي، وغالبا ما يرتبط هذا اللقب بفكرة البُخل [المترجم].

كنـــا نحن الثلاثة، جاك برينَن[١٦]، وســـولجر بارتْلِت، وأنا في مطعم هانلي، وكانت تجلس إلى طاولــة بجانبنا امرأتان، وكانتا تتناولان المشروب.

«ماذا تقصد بكايك؟» ســألت إحدى المرأتــين. «ماذا تقصد بكايك، أيها المتسكع الإيرلندي السمين؟».

«فقط ما قلت، لا زيادة ولا نقصان»، قال لها جاك.

«كايــك»، تابعــت المرأة. «دائمــا يتحدث هــؤلاء الإيرلنديون السمان عن الكايك. ماذا تقصد بكايك؟».

«هيا بنا. دعنا نخرج من هنا».

«كايك»، تابعت المرأة. «قل لي: من رآك يوما تشتري مشروبا؟ إن زوجتــك تخيــط لك جيوبــك كل صباح. ســئمت من هؤلاء الإيرلنديــين ومن تصوراتهم عن الكايك. إن بإمكان تِد لويس أن يهزمك أيضا».

«من دون شــك»، قــال جاك. «أما أنت فامرأة مُحْسِــنة تهب كثيرا مما عندها، أليس كذلك؟».

خرجنا. هكــذا هو جاك. دائما يقول ما يحلو له حينما يحلو له ذلك.

بدأ جاك تدريبه في مُنتَجَع داني هوغن الصحي في جيرزي[١٧]. لم يستسغها جاك على حسناتها. لم يكن يريد الابتعاد عن زوجته وأولاده، لذلــك كنت تراه ممرورا، متجهمــا في معظم الأحيان.

---

(١٦) لا يوجــد ملاكم أمريكي باســم جاك برينَن ولا باســم والكوت، مما يقودنــا إلى الاعتقاد بأن همنغواي رســم هاتين الشــخصيتين على شــاكلة ملاكمين حقيقيين بعد أن غير اســمَيْهِما [المترجم].

(١٧) تقع جيرزي ستي في الشمال الشرقي من ولاية نيو جيرزي، وهي قريبة من شاطئ المحيط الأطلسي [المترجم].

لكنــه أحبني وســارت الأمور بيننا على خير مــا يرام، كما أحب هوغن أيضا، لكنه بعد مدة بدأ يتضايق من ســولجر بارتلت. إن وجود مَزّاح في معسكر يتحول إلى نقمة، لاسيما إذا صار مزاحه من النوع الثقيل. كان سولجر لا يكف عن ممازحة جاك، ولم يكن مزاحه مضحكا ولا جيدا، فأصبح جاك يتضايق منه. كان مزاحه من هذه النوعيــة. كان جاك ينهي تمرينه برفع الأثقال وملاكمة الكيس وهو يرتدي قفازيه.

«هل تريد أن تتمرَّن؟» كان يقول لسولجر.

«بالتأكيد. لكن كيف تريدني أن أتمرن؟» كان ســولجر يسأله. «هل تريدني أن أقسو عليك مثل والكوت؟ أم تريدني أن أطرحك أرضا عدة مرات؟».

«كفــى»، كان جــاك يقول لــه. ولم يكن يحب ما يســمعه من سولجر.

ذات صباح كنا جميعا نسير على أحد الدروب. كنا قد قطعنا مســافة، وكناً نُقْفِلُ عائدين. كنا نسير بسرعة لمدة ثلاث دقائق، ثم نمشي ببطء دقيقة واحدة، ثم نعاود الكرَّة مرة أخرى. لم يكن جاك ممن يمكنك أن تسميهم بالعدّائين على الإطلاق. فهو قادر على التحرك بســرعة إن اضطر إلــى ذلك، لكنه على الدرب لم يكن كذلك. وطوال مسيرنا كان سولجر يمازحه. صعدنا الرابية وبلغنا المنزل، فقال جاك:

«يجدر بك أن تعود إلى المدينة، يا سولجر».

«ماذا تقصد؟».

«يجدر بك أن تعود إلى المدينة وتبقى فيها».

«لماذا؟».

«لأني سئمت سماع حديثك».

«حقا؟» سأله سولجر.

«حقا!» قال جاك.

«ستزداد سأما على سأم عندما ينتهي منك والكوت».

«ربمـــا»، قال جـــاك. «لكن ما أعلمـــه علم اليقـــين هو أنني سئمتك».

وهكذا ارتحل ســـولجر بالقطار إلى المدينـــة في صباح ذلك اليوم. ذهبت معه إلى المحطة، وكان يَتَصَعَّد غيظا.

«لقـــد كنت أمازحـــه ليس إلا»، قـــال لي ونحـــن ننتظر على الرصيف. «لا يمكنه أن يعاملني بتلك الطريقة، يا جيري».

«إنه متوتر الأعصاب ومتعكر المزاج»، قلت له. «لكنه شـــخص طيب، يا سولجر».

«وأي طيـــب فيـــه؟ إذا كان في الجحيم شـــخصٌ طيب، فهو طيب».

«على أي حال، وداعا»، قلت له.

وصل القطار، فصعد مع حقيبته.

«وداعـــا، يا جيري»، قال لي. «هل ســـتأتي إلـــى المدينة قبل المباراة؟».

«لا أظن ذلك».

«إلى اللقاء في ذلك الحين».

دخـــل إلى القطار، فقفز الجابي وتابـــع القطار رحلته. عدت إلى المُنتَجَع الصحي راكبا عربة. كان جاك في رواق المنزل يكتب

رسالة إلى زوجته. كان البريد قد وصل، فأخذتُ الصحف واتجهت نحو الطرف الآخر من الرواق وجلست للقراءة. طلع هوغن من الباب قاصدا إياي.

«هل حصل شِجار بينه وبين سولجر؟».

«لم يكن شجارا. كل ما هنالك أن جاك طلب منه أن يعود إلى المدينة».

«كنت أتوقع ذلك»، قال هوغن. «لم يستسغ سولجر كثيرا».

«لم يكن يستسيغ كثيرا من الناس».

«إنه شخص بارد العواطف»، قال هوغن.

«في الحقيقة أنا لم أر منه سوءا».

«ولا أنا»، قال هوغن. «لست من أنصاره، لكنه يظل شخصا بارد العواطف».

دخل هوغن من الباب المُنْخُلي وبقيت جالسا في الرواق وقرأت الصحف. كان الطقس قد بدأ يميل إلى الخريفي وكانت المروج في جيرزي جميلة، لا سيما في التلال، وبعدما فرغت من قراءة الجريدة كاملة، رحت أراقب المروج والطريق التي بينها وبين الغابات والسيارات تسلكه مثيرة وراءها زوابع من الغبار. كان الطقس جميلا والمروج رائعة المنظر. جاء هوغن إلى الباب، فقلت له، «قل لي، يا هوغن، أليس لديك صيدٌ هنا؟».

«نعم»، قال هوغن. «لا شيء سوى العصافير».

«هل رأيت الجريدة؟» سألتُ هوغن.

«ماذا فيها؟».

«لقد طرد ساندّ ثلاثة منهم يوم أمس».

«لقد علمت بالأمر هاتفيا ليلة أمس».

«هل تتبع أخبارهم عن كثب، يا هوغن؟» سألته.

«بل أبقى على اتصال معهم»، قال هوغن.

«وماذا عن جاك؟» قلت له. «هل لا يزال يشترك في تلك المباريات؟».

«جاك؟» قال هوغن. «وهل تظنه يستطيع ذلك؟».

في تلك اللحظة بالذات جاء جاك من عند الزاوية حاملا الرسالة في يده. كان يرتدي كنزة وبنطالا قديما وحذاء ملاكمة.

«هل لديك طابع، يا هوغن؟» سأل جاك.

«أعطني الرسالة»، قال له هوغن. «سأضعها لك في البريد».

«قل لي، يا جاك، ألم تكن تشترك في سباقات الخيول؟» سألته.

«بالتأكيد».

«كنت أعلم ذلك. لقد كنت أراك في شيبزهِد»(١٨).

«لماذا لم تعد تشترك فيها؟» سأله هوغن.

«خسرت الأموال».

جلس جاك في الرواق بجانبي، واتكأ على عمود خلفه. أغمض عينيه في الشمس.

«هل تريد كرسيا؟» سأله هوغن.

«لا. لا بأس بهذا»، قال جاك.

---

(١٨) شيبزهِد خليجٌ صغير قريب من مدينة نيويورك [المترجم].

«إنه يوم جميل»، قلت له. «إنه شـــيء جميل أن يكون المرء في الريف».

«إني أفضّل أن أكون في المدينة مع زوجتي».

«على أي حال، لم يتبق لك سوى أسبوعٍ واحد».

«أجل»، قال جاك. «هو كذلك».

بقينا جالسين في الرواق، وكان هوغن قد دخل المكتب.

«ما رأيك في هذه الهيئة التي أنا عليها؟» سألني جاك.

«في الحقيقة، لا يبدو عليك ما يلفت الانتباه»، قلت له. «ثم إن لديك أسبوعا بكامله لتبدو على ما يرام».

«لا تُراوِغ».

«حسنٌ، لستَ على ما يرام»، قلت له.

«لست أنام»، قال جاك.

«ستكون على ما يرام في غضون يومين».

«لا»، قال جاك. «لقد أصابني الأرق».

«ما الذي يشغل بالك؟».

«إني أفتقد زوجتي».

«دعها توافيك هنا».

«لا. لقد كبرت على هذه الأمور».

«ســـنذهب معك في مشوار طويل ســـيرا على الأقدام، وحين تعود ستكون قد تعبت تماما».

«تعبت تماما!» قال جاك. «أنا دائما متعب».

ظل على هذه الشاكلة طوال الأسبوع. كان يأرق ليلا، وينهض صباحا وهو يشعر كأنه لا يقوى ولو على تحريك يديه.

«لقد فقد نكهته كأنه قطعة حلوى في بيت فقير»، قال هوغن.

«لقد أصبح أثرا بعد عين».

«لم أر والكوت قط»، قلت لهوغن.

«سيقتله والكوت»، قال هوغن. «سيشطُرُه نصفين».

«لا بد من الهزيمة، إن عاجلا أو آجلا»، قلت له.

«ليس بهذه الطريقة»، قال هوغن. «سيظن الناس أنه لم يتدرب قط، وهذا سيشكل صفعة موجعة لسمعة المُنتَجَع».

«هل سمعت ما قاله عنه الصحافيون؟».

«طبعا، قالوا إن وضعه يُرثى له، وقالوا إنه يجب أن يُمنع من دخول المباراة».

«ولكنهم دائما يخطئون، أليس كذلك؟» قلت له.

«أجل»، قال هوغن. «ولكنهم مُحِقّون هذه المرة».

«وما الذي بحق الجحيم يعرفونه عما إذا كان المرء على ما يرام أو لا؟».

«لكنهم ليسوا أغبياء كما تظن»، قال هوغن.

«كل ما فعلوه هو أنهم اصطادوا وِلَرد في توليدو. اسأل لاردْنَر، هذا الذي ظهرت عليه الحكمة فجأة، متى اصطاد وِلَرد في توليدو»[19].

«في الحقيقة إنه لم يخرج قط»، قال هوغن. «إنه لا يكتب إلا عن المباريات الكبرى».

---

(١٩) جِس وِلَرد (١٨٨٣ - ١٩٦٨): ملاكم أمريكي وبطل العالم للوزن الثقيل (١٩١٥ - ١٩١٩)؛ توليدو مدينة في ولاية أوهايو الأمريكية؛ أما لاردنر فقد يكون المقصود رِنْغ لاردنَر (١٨٨٥ - ١٩٣٣) وهو صحافي أمريكي فُكاهي، وكاتب قصة قصيرة [المترجم].

«لا يهمنـــي من يكونون»، قلـــت له. «ما الـــذي يعرفونه بحق الجحيم؟ ربما يســـتطيعون أن يكتبوا، لكن ما الذي يعرفونه بحق الجحيم؟».

«وأنت، ألا تظن أن جاك غير مؤهَّل؟» سألني هوغن.

«بلـــى. لقد انتهـــى. كل ما يحتاج إليه هـــو أن يختاره كوربيت للفوز ثم ينتهي كل شيء»[٢٠].

«وهذا ما سيفعله كوربيت بالضبط»، قال هوغن.

«بالطبع سينتقيه».

أمضـــى جاك ليلته تلك ولم يغمض له جفن أيضا. كان صباح اليوم التالي اليومَ الأخير قبـــل المباراة. بعد الإفطار خرجنا إلى الرواق مرة أخرى، فسألته:

«ما الذي تفكر فيه عندما تأرق؟».

«إنـــي كثيـــر القلـــق»، قال جـــاك. «أقلـــق علـــى أملاكي في برونكـــس[٢١]، وأقلق على أملاكي في فلوريدا. أقلق على أولادي. أقلـــق على زوجتي. وفي بعض الأحيان أفكر في المباريات. أفكر فـــي ذلك الكايك تِد لويس فأكاد أنفجر من الغيـــظ. أقلق على ما لدي من أسهم تجارية. ما الذي بقي لي لا أفكر فيه؟».

«لا بأس»، قلت له. «سينتهي كل شيء ليلة الغد».

«بالتأكيد»، قال جاك. «هذا ما يجلب إلي الطمأنينة. إن هذا يُصْلِح ما يُفْسِده عليّ القلق، على ما أظن. بالتأكيد».

ظل مغتاظا ســـحابةَ يومه. لم نتمرن على الإطلاق. قام جاك

(٢٠) جيمـــس كوربيـــت (١٨٦٦ - ١٩٣٣): ملاكـــم أمريكي وبطل العالم للـــوزن الثقيل (١٨٩٢ - ١٨٩٧) [المترجم].

(٢١) برونكس: اسم أحد أحياء مدينة نيويورك [المترجم].

ببعض الحركات البسيطة للتخلص من التوتر، ولاكَمَ الظل عدة مرات. وحتى في هذه لم يُبْلِ بلاء حسنا. قام بنط الحبل قليلا، لكنه لم يتعرَّق.

«يجدر به ألا يتدرب اليوم على الإطلاق»، قال هوغن. «كنا نقف نراقبه وهو ينط الحبل».

«ألم يعد قادرا على التعرق؟».

«لا يستطيع ذلك».

«أتظن أن لديه ما يلزمه من الثقة؟ لا يبدو أنه يواجه مشكلة في اكتساب الوزن، أليس كذلك؟».

«لا، ليس لديه ما يلزم من الثقة. لقد أصبح خاويا ذاويا من الداخل».

«عليه أن يتصبب عرقا».

أقبل جاك علينا وهو ينط الحبل. كان يرتفع ويهبط أمامنا، مُصالِبا ذراعيه عند النطة الثالثة.

«فيم تتحدثان، أيها الأحمقان؟» قال جاك.

«أظن أنه يتعين عليك أن تكف عن التمرين»، قال له هوغن. «ستفقد نكهتك».

«يا للهول!» قال جاك وراح ينط مبتعدا عنا، وكان يضرب الحبل على الأرض ضربا شديدا.

في عصر ذلك اليوم حضر إلى المزرعة جون كولينز. كان جاك في غرفته في الأعلى. حضر جون في سيارة من المدينة. كان يرافقه صديقان له. توقفت السيارة، فترجّلوا جميعا.

«أين جاك؟» سألني جون.

«يستلقي في غرفته».

«يستلقي في غرفته؟».

«نعم»، قلت له.

«كيف حاله؟».

تطلعت في الشخصين اللذين جاءا مع جون.

«إنهما من أصدقائه»، قال جون.

«إنه في وضع يُرثى له»، قلت له.

«ما مشكلته؟».

«إنه لا ينام».

«تبا له»، قال جون. «لم يستطع ذلك الإيرلندي أن ينام».

«إنه ليس على ما يرام»، قلت له.

«تبا له»، قال جون. «لم يكن قَط على ما يرام. لقد عرفته مدة عشر سنوات، ولم يكن قط على ما يرام».

ضحك رفيقاه اللذان أتيا معه.

«أريد أن أقدم لك السيد مورغَن والسيد ستاينْفِلْت»، قال جون، ثم قدمني لهما قائلا، «هذا هو السيد دُوَيْل، مدرب جاك».

«سُررت بلقائكما»، قلت لهما.

«دعونا نذهب لرؤية الصبي»، قال الذي يُدعى مورغن.

«دعونا نلقِ نظرة عليه»، قال ستاينفلت.

صعدنا الدرج جميعا.

«أين هوغن؟» سألني جون.

«لقد خرج إلى المنتجع مع اثنين من زبائنه»، قلت له.

«هل يأتيه كثير من الناس هنا؟» سألني جون.

«اثنان فقط».

«مكان هادئ جدا، أليس كذلك؟» قال مورغن.

«نعم، إنه كذلك»، قلت له.

وقفنا عند باب غرفة جاك، فطرقه جون. لم نسمع جوابا.

«قد يكون نائما»، قلت له.

«ولماذا بحق الجحيم ينام نهارا؟».

أدار جون مقبض الباب، ودخلنا جميعا. كان جاك يرقد نائما في فراشــه. كان مُكِبّا على وجهه. كان وجهه يغوص في الوسادة التي يطوقها بذراعيه.

ناداه جون باسمه.

تحرك رأس جاك على الوســادة قليلا. مال عليه جون وناداه باســمه ثانية. فما كان من جــاك إلا أن غاص أعمق فأعمق في الوسادة. ربَّت جون على كتفه برفق. اعتدل جاك ونظر إلينا. كان غير حليق ويرتدي كنزة عتيقة.

«لماذا لا تتركوني أنام، بحق الله؟».

«لا تكن مغتاظا»، قال جون. «لم أقصد إيقاظك».

«طبعا، طبعا، لم تقصد إيقاظي»، قال جاك.

«أنت تعرف مورغن وستاينفلت»، قال له جون.

«سُررت برؤيتكما»، قال جاك.

«كيف حالك، يا جاك؟» سأله مورغن.

«بخيــر»، قال جــاك. «قل لــي بحق الجحيم كيف ســتكون حالي؟».

«تبدو بخير»، قال ستاينفلت.

«فعــلا»، قال جــاك، ثم توجه بحديثه إلى جــون، «أنت تدير أموري، وتحصل على مرتب ضخم. لكن قل لي بحق الجحيم لماذا لا تأتــي إلى هنا عندما يأتــي الصحافيون؟ أتريدني أن أتحدث إليهم أنا وجيري؟».

«كنت أرافق لو في مباراته في فيلادلفيا»، قال جون.

«ومــاذا بحق الجحيم يهمني من كل هــذا؟» قال جاك. «أنت تدير شــؤوني، وتحصــل على مرتب ضخم، أليــس كذلك؟ وهل كســبتُ أنا من ذهابك إلــى فيلادلفيا أي فلس؟ قــل لي بحـق الجـحيم لماذا لا أجدك معي حين أريدك؟».

«ألم يكن هوغن معك؟».

«هوغن؟» تساءل جاك. «أنا وهو متساويان في الغباء!».

«ألم يكن ســولجر بارتلت يعمل معك هنا بعض الوقت؟» قال ستاينفلت محاولا تغيير الموضوع.

«نعم، لقد كان هنا»، قال جاك. «لقد كان هنا من غير شك».

«هــلا ذهبت، يا جيري، إلــى هوغن وقلت له إنا نريد أن نراه بعد نصف ساعة؟» قال لي جون.

«بالتأكيد»، قلت له».

«ولمــاذا بحق الجحيم لا يبقى إلى جانبــي؟» قال جاك. «ابق بجانبي، يا جيري».

نظر كلٌ من مورغن وستاينفلت أحدهما إلى الآخر.

«اهدأ، يا جاك»، قال له جون.

«يجدر بي أن أذهب للبحث عن هوغن»، قلت له.

«لا بــأس في ذلك إن كان هذا ما تريده»، قال جاك. «لا يحق

لأي من هؤلاء أن يطردك».

«سأذهب للبحث عن هوغن»، قلت له.

كان هوغـــن في الجيمانزيوم في المنتجع. كان يدرب اثنين من مرضى منتجعه وهما يرتديان قفازيهما. لم يكن أيٌّ منهما راغبا في لكم الآخر، خشية أن يرد الآخر على اللكمة بمثلها.

«هـــذا يكفي»، قال هوغـــن عندما رآني مقبـــلا. «أوقفا هذه المذبحة. استحمّا أيها السيدان، وسيقوم بروس بتدليككما».

تسللا نازلين من بين الحبال، وأقبل هوغن نحوي، فقلت له:

«لقد جاء جون كولنز مع اثنين من أصدقائه لرؤية جاك».

«لقد رأيتهما يأتيان في السيارة».

«من هذان الشخصان اللذان حضرا مع جون؟».

«إنهما ممن يُســـمون بالصبيان الشُّــطّار»، قـــال هوغن. «ألا تعرفهما؟».

«لا»، قلت له.

«واحد اسمه هاپي ستاينفلت والآخر لو مورغن. لديهما صالة ألعاب بلياردو».

«لقد غبتُ طويلا»، قلت له.

«بالتأكيد»، قال هوغن. «هاپي ستاينفلت داهيةٌ كبير».

«لقد سمعت باسمه من قبل»، قلت له.

«إنه ولد بارع جدا»، قال هوغن. «إنهما قنّاصان ماهران».

«على أي حال، هم يريدون رؤيتنا بعد نصف ساعة».

«أنت تقصد أنهم لا يريدون رؤيتنا قبل نصف ساعة؟».

«أجل، هذا قصدي».

«هيّـــا بنا إلى المكتب»، قال هوغـــن. «ليذهب ذانِكَ القناصان إلى الجحيم».

بعـــد نحو ثلاثين دقيقة صعدنا الدرج أنا وهوغن. قرعنا باب جاك. كانوا يتحدثون داخل الغرفة.

«لحظة»، قال أحدهم.

«تبا لكم!» قال هوغن. «إن أردتم رؤيتي فأنا موجود في مكتبي في الأسفل».

سمعنا قِفْل الباب ينفتح، وكان ستاينفلت هو الذي فتحه.

«تفضـــل، يا هوغـــن»، قـــال ســـتاينفلت. «ســـنتناول جميعا المشروب».

«اقتراحٌ لا بأس به»، قال هوغن.

دخلنا، فوجدنا جاك يجلس على ســـريره. كان جون ومورغن يجلسان على كرسيين، بينما كان ستاينفلت واقفا.

«أنتم أولاد تتعاملون بكثير من الألغاز»، قال هوغن.

«مرحبا، يا داني»، قال جون.

«مرحبا، يا داني»، قال مورغن وصافحه.

ظل جاك صامتا، جالســـا على سريره. لم يكن مع من حوله. بل مع نفســـه وحدها. كان يرتدي ســـترة زرقاء عتيقة، وبنطالا وحذاء ملاكمة. كانت ذقنه في حاجة إلى حلاقة. كان ستاينفلت ومورغن متأنقين في لباســـهما، وكذلك كان جون. أما جاك فقد كان إيرلنديا خشنا.

أخرج ســـتاينفلت زجاجة مشـــروب، وأحضـــر هوغن بعض الكـــؤوس، فتنـــاول كل واحد جرعـــة واحدة. اكتفينـــا أنا وجاك

بجرعة واحدة، لكن الآخرين تناولوا جرعتين أو ثلاثا.

«يجدر بكم أن توفروا شيئا لرحلة العودة»، قال هوغن.

«لا تقلق، فلدينا كثير»، قال مورغن.

لم يتناول جاك أي شيء منذ تلك الجرعة. نهض ونظر إليهم جميعا. حل مورغن محل جاك على السرير.

«هيا، خذ جرعة أخرى، يا جاك»، قال له جون وناوله الكأس والزجاجة.

«لا»، قال جاك. «لم أكن مغرما قط بالذهاب إلى مجالس السهر عند جثث الأموات»[٢٢].

ضحكوا جميعا ما عدا جاك.

كانوا جميعا في معنويات جيدة عندما غادروا. وقف جاك في الرواق عندما ركبوا السيارة. لوحوا له، فقال لهم: «وداعا».

تناولنا العشاء ولم يقل جاك شيئا سوى: «هلا ناولتني هذه؟» أو «هلا ناولتني تلك؟» تناول العشاء معنا على المائدة نفسها مريضا المُنتَجَع الصحي. كانا شخصين رائعين. بعد أن انتهينا من الطعام خرجنا إلى الرواق، وكان الظلام قد حلَّ باكرا.

«هل تحب أن تتمشى، يا جيري؟» سألني جاك.

«بالتأكيد»، قلت له.

ارتدى كلٌّ منا معطفه وانطلقنا. كانت تفصلنا عن الطريق الرئيسي مسافة لا بأس بها، ثم مشينا على الطريق مسافة ميل ونصف الميل. كانت السيارات تمر بنا باستمرار وكنا نضطر إلى الابتعاد عنها حتى تتجاوزنا. ظل جاك صامتا. ولم نكد ندخل

---

(٢٢) يسهر أهل الميت وأصدقاؤه في إيرلندا طوال الليل عند جثته قبل دفنها، ويرافق ذلك إسرافٌ في تناول المشروبات الروحية [المترجم].

بين الأحراج لندع سـيارة كبيرة تمر، حتـى قال جاك، «تبا لهذا المسير. هيا بنا نَعُد إلى منزل هوغن».

سـلكنا طريقا فرعيا يمر فوق الرابيـة ويخترق الحقول نحو منزل هوغن. عندما بلغنا قمة الرابية شاهدنا أنوار المنزل. عرَّجنا على المدخل الأمامي للمنزل فرأينا هوغن واقفا في الممر.

«كيف كان المشوار؟».

«لا بـأس»، قـال جـاك. «قل لي، يـا هوغن، هـل لديك أي مشروب؟».

«بالتأكيد»، قال هوغن. «لكن لماذا؟».

«ابعث به إلى غرفتي»، قال له جاك. «أريد أن أنام الليلة».

«أنت الطبيب»، قال هوغن.

«تعال معي إلى الغرفة، يا جيري»، قال جاك.

جلـس جاك في غرفته على السـرير وأمسـك رأسـه بكلتا يديه.

«أي حياة هذه؟» قال جاك.

جاء هوغن بربعية مشروب وكأسين.

«هل تريد شراب الزنجبيل؟».

«وهل تظن أنني أريد أن أمرض؟».

«كان مجرد سؤال»، قال هوغن.

«هل تريد أن تشرب؟» سأله جاك.

«لا، شكرا»، قال هوغن، ثم خرج.

«وأنت، يا جيري؟».

«سأتناول جرعة واحدة معك»، قلت له.

صب جاك جرعتين من المشروب، ثم قال، «والآن أريد أن أتناول مشروبي على مهل».

«أضِف إليه بعض الماء»، قلت له.

«أجل»، قال جاك. «أعتقد أنه يجدر بي أن أفعل».

تناولنا جرعتين من المشروب بصمت، ثم راح جاك يصب لي جرعة أخرى.

«لا»، قلت له. «لقد اكتفيت».

«لا بأس»، قال جاك ثم صبَّ لنفسه جرعة أخرى كبيرة وأضاف إليها بعض الماء. راحت أساريره تنفرج قليلا.

«كانت تلك زمرة ممتازة التي زارتنا عصر هذا اليوم»، قال جاك. «إنهما لا يجازفان إطلاقا».

ثم بعد هُنيهة أضاف: «لا بأس بهما. قل لي بحق الجحيم أي نفع في المجازفة؟».

«ألا تريد جرعة أخرى، يا جيري؟» سألني. «هيّا، اشرب معي»(٢٣).

«لست في حاجة إليه، يا جاك»، قلت له. «أنا بخير».

«فقط جرعة أخرى»، قال جاك. بدا رقيقا مع المشروب.

«لا بأس، إذن»، قلت له.

صب جاك جرعة لي وواحدة أخرى كبيرة لنفسه.

«هل تعلم أنني مغرم بالشراب؟» قال جاك. «لولا الملاكمة لشربت كثيرا».

«بالتأكيد»، قلت له.

---

(٢٣) من عادة همنغواي في بعض الأحيان أن يقطع حديث إحدى شخصياته ليستأنفه في فقرة جديدة، كما في هذه الفقرة والتي تسبقها [المترجم].

«وهل تعلم أنه فاتني كثير بسبب الملاكمة؟».

«لكنك جنيت مالا كثيرا».

«بالتأكيد»، فهذا ما أسعى إليه. لقد فاتني كثير، يا جيري».

«ماذا تقصد؟».

«إني أفتقد زوجتي، على سبيل المثال. كما أن البعد عن البيت كثيرا يحزُّ في نفسي. ليس هذا في مصلحة بناتي. ماذا يقلن لأبناء المجتمع الراقي عندما يسألونهن عن أبيهن؟ إن أبانا هو جاك برينَن؟ هذا لن يجديهن نفعا».

«ويلك»، قلت له. «إن كل ما يهم هو إن كان لديهن المال».

«في هذا لم أقصر معهن»، قال جاك.

صبّ جرعة أخرى. كادت الزجاجة تفرغ.

«أضف إليه بعض الماء»، قلت له، ففعل.

«إنك لا تعلم كم أشتاق إلى زوجتي»، قال لي.

«بالتأكيد».

«ليس لديك أدنى فكرة. لا يمكنك أن تتصور هذا الشوق».

«كان من المفروض أن تكون حالك في الريف خيرا منها في المدينة».

«لم يعد يهمني أين أنا، ولا يعرف الشوقَ إلا مَنْ يُكابِده».

«خذ جرعة أخرى».

«هل رحت ألهو؟ هل بدأت أهذر؟».

«حتى الآن لا بأس عليك».

«لا يمكنك أن تتصور كم أقاسي. بل لا يمكن لأي مخلوق أن يتصور ما أنا فيه».

«ما عدا زوجتك»، قلت له.

«أجـل، فهي بحالي عليمةٌ»، قال جاك. «نعم، إنها تعلم جيدا، ولا غبار على ذلك».

«أضف بعض الماء إلى ذاك»، قلت له.

«جيري»، قال جاك. «لا يمكنك أن تتصور ما أنا فيه».

لقد لها صاحبي لهوا لا مراء فيه. كان يسـدد نظراته نحوي، وكانت عيناه تنظران إليَّ بثبات لا يريم.

«ستنام نوما عميقا الليلة»، قلت له.

«قـل لي، يا جيـري»، قال جاك، «ألا تريد أن تكسـب بعض المال؟ أقصد أن تراهن على والكوت؟».

«عفوا؟».

«اسـمع، يا جيري»، قال جاك وهو يضع الكأس من يده. «أنا لسـت ثملا الآن. هل تعـرف بكم راهنتُ عليه؟ بخمسـين ألف دولار».

«هذا مالٌ كثير».

«خمسـون ألف دولار»، قال جاك، «بنسـبة واحد إلى اثنين. سـأحصل على خمس وعشـرين ألف دولار. راهن عليه واكسب بعض المال، يا جيري».

«لا بأس»، قلت له.

«كيـف يمكنني أن أهزمه؟» سـألني جـاك. «ليس في الأمر تَلاعُـب. كيـف يمكننـي أن أهزمه؟ ولمـاذا لا نجنـي المال من ذلك؟».

«أضف بعض الماء إلى ذلك»، قلت له.

«ســأعتزل بعد هذه المباراة»، قال جاك. «سأعتزل. وعليَّ أن أُهْزَم. ولم لا أجني المال من ذلك؟».

«طبعا».

«لم أعرف طعم النوم منذ أسبوع»، قال جاك. «أظل مستيقظا طــوال الليل حتى يكاد ينفجر رأســي من القلق. لا أســتطيع أن أنــام يا جيري. لا يمكنك أن تتصور مــا تؤول إليه حالك عندما تأرق».

«هذا أكيد».

«لا أستطيع أن أنام. هذا كل ما في الأمر. ببساطة لا أستطيع أن أنــام. تظــل تعتــني بنفســك عددا من السنين، وفي النـهاية لا تستطيع أن تنام، فتذهب عنايتك هباء منثورا».

«إنه أمرٌ سيئ».

«لا يمكنــك أن تتصور، يا جيري، مــا تؤول إليه حالك عندما تأرق».

«أضف شيئا من الماء إلى ذلك»، قلت له.

فــي حوالي الحادية عشــرة غاب جاك عــن الوعي، فحملته إلى ســريره. ظل يشرب حتى لم يعد قادرا على مقاومة النعاس. ساعدته على خلع ملابسه ووضعته في سريره.

«ستنام نوما عميقا، يا جاك»، قلت له.

«بالتأكيد، سأنام الآن».

«تصبح على خير، يا جاك»، قلت له.

«تصبــح على خيــر، يا جيــري»، قــال لي. «أنــت صديقي الوحيد».

«كفى، كفى»، قلت له.

«أنت صديقي الوحيد»، قال جاك، «صديقي الوحيد».

«نَم، نم»، قلت له.

«سأنام»، قال جاك.

كان هوغن يجلس في مكتبه في الأسفل ويقرأ الصحف. نظر إلي وقال: «هل أسلمت صاحبك للنوم؟».

«إنه يغرق فيه».

«هذا خير له من الأرق»، قال هوغن.

«بالتأكيد».

«لكنك ستلقى عَنَتا شديدا في تفسير ذلك للصحافيين»، قال هوغن.

«وأنا أيضا ذاهب إلى النوم»، قلت له.

«تصبح على خير»، قال لي هوغن.

في الصباح نزلت إلى الطابق الأسفل نحو الثامنة وتناولت شيئا من الإفطار. كان هوغن قد أخرج زبونيه إلى المنتجع لإجراء بعض التمارين. خرجت ورحت أراقبهم.

«واحد! اثنان! ثلاثة! أربعة!» كان هوغن يعد لهم. «مرحبا، يا جيري»، قال هوغن. «هل استيقظ جاك؟».

«لا. لا يزال نائما».

عدت إلى غرفتي وحزمت أمتعتي استعدادا للنزول إلى المدينة. في حوالي التاسعة والنصف سمعت جاك يستيقظ في الغرفة المجاورة. وعندما سمعته يهبط الدرج لحقت به. كان جاك يجلس إلى مائدة الإفطار. كان هوغن قد جاء، وها هو الآن

يقف بجانب المائدة.

«كيف حالك يا جاك؟» سألته.

«لا بأس».

«هل نمت جيدا؟» سأله هوغن.

«بــلا منغصات»، قال جاك. «لقد ثقل لســاني لكني لا أحس برأسي».

«جيد»، قال هوغن. «كان ذلك مشروبا جيدا».

«سجله على الحساب»، قال جاك.

«متى تريد أن تذهب إلى المدينة؟» سأله هوغن.

«قبل الغداء»، قال جاك. «في قطار الحادية عشرة».

«اجلس، يا جيري»، طلب مني جاك، فخرج هوغن.

جلســت إلى المائدة. كان جاك يأكل الجريب فروت. كان كلما وجد بذرة بصقها في الملعقة ثم قذفها في الطبق.

«أعتقد أنني كنت ثملا جدا ليلة أمس»، قال مُفاتِحا.

«لقد شربتَ كثيرا».

«أعتقد أنني تَفَوَّهت بكثير من الحماقات».

«حاشاك من هذه».

«أين ذهب هوغن؟» سألني. كان قد فرغ من الجريب فروت.

«إنه في المكتب».

«ماذا قلت لك بشأن الرهان على المباراة؟» سألني جاك. كان يمسك بالملعقة وكأنه يريد أن يطعن الجريب فروت بها.

أحضرت الفتاة شــرائح من اللحــم والبيض وأخذتْ الجريب فروت.

«هاتي لي كأسا أخرى من الحليب»، قال لها جاك، وذهبت.

«قلت إنك راهنت بخمسين ألف دولار على والكوت»، قلت له.

«هذا صحيح»، قال جاك.

«هذا مبلغ كبير».

«لست مسرورا لهذا»، قال جاك.

«لا تعرف ماذا يحدث».

«لا»، قال جاك. «إنه يَتَحرَّق لنيل اللقب. وستجدهم يلكمون معه من دون شك».

«لا سبيل إلى معرفة هذا».

«بل يوجد. فهو يريد اللقب، وهذا بالنسبة إليه يستحق مالا كثيرا».

«إن مبلغ خمسين ألف دولار مبلغ هائل»، قلت له.

«هكذا هي التجارة»، قال جاك. «لا أستطيع أن أفوز. أنت تعرف أنني لا أستطيع أن أفوز بأي حال من الأحوال».

«ما دمت في الحلبة فلديك فرصة».

«لا»، قال جاك. «لقد اعتزلت. إنها تجارة فقط».

«كيف تشعر؟».

«على خير ما يرام»، قال جاك. «ما كنت في حاجة إليه هو النوم».

«قد تُبلي بلاء حسنا».

«سأريهم ما يسرُّهم»، قال جاك.

بعد الإفطار اتصل جاك بزوجته بوساطة المقسم الخارجي.

كان يتحدث مع زوجته من حُجَيْرة الهاتف.

«هـــذه أول مرة يتحدث فيها مـــع زوجته منذ قدومه إلى هذا المكان»، قال هوغن.

«إنه يراسلها كل يوم».

«بالتأكيد»، قال هوغن. «فالرسالة لا تكلفه سوى سِنْتين».

ودَّعَنـــا هوغن ونقلَنا بـــروس، المدلك الزنجـــي، بالعربة إلى محطة القطار.

«وداعا، يا ســـيد بريـــنَن»، قال بروس عند محطـــة القطار. «أتمنى من كل قلبي أن تطيح برأس منافسك».

«وداعـــا، يا بروس»، قال جاك وناوله دولارين. كان بروس قد عمل في تدليكه كثيرا. بدت على وجهه ملامح الخيبة والانكسار. رآني جاك أنظر إلى بروس وهو يمسك بالدولارين وقال:

«كله في الحساب. لقد حاسبني هوغن حتى على التدليك».

ظـــل جاك صامتا في القطار الذي أقلَّنـــا إلى المدينة. انزوى فـــي ركن مقعده، واضعا تذكرته تحت نطاق قبعته، وراح يســـرح بنظراته خارج النافذة. في إحدى المرات التفت وخاطبني:

«قلت لزوجتي ســـأنزل في فندق شِلْبي هذه الليلة. فهو قريب من ملعب الغاردن. سأذهب إلى البيت في صباح الغد»[٢٤].

«هـــذه فكرة صائبة»، قلت له. «هـــل رأتك زوجتك يوما وأنت تلاكم، يا جاك؟».

«لا»، قال جاك. «لم ترني وأنا ألاكم».

قلت في نفسي لا بد أنه يتوقع هزيمة نكراء إذا لم يكن يرغب

---

(٢٤) يقع فندق شِلبي في مدينة نيويورك، وكذلك ملعب الغاردن الذي هو حلبة ملاكمة مشهورة [المترجم].

في الذهاب إلى بيته مباشـــرة بعد المباراة. عندما وصلنا المدينة أخذنا ســـيارة أجرة نقلتنا إلى فندق شِـــلْبي. خرج شـــاب وأخذ حقائبنا وتوجهنا إلى الاستقبال.

«ما هي أسعار الغرف؟» سأل جاك.

«ليس لدينا ســـوى غرف مزدوجة»، قال الموظف. «لدي غرفة مزدوجة ممتازة بعشرة دولارات».

«هذا كثير».

«لدي غرفة أخرى بسبعة دولارات».

«فيها حمام ؟».

«طبعا».

«الأجدر بك أن تبيت معي، يا جيري»، قال جاك.

«لا عليك»، قلت له. «سأبيت عند صِهري».

«لم أقصد أنني سأجعلك تدفع»، قال جاك، «كل ما هنالك هو أنني لا أريد أن تذهب فلوسي سُدى».

«هلا دَوَّنتما اســـميكما، من فضلكما؟» قال الموظف. نظر إلى اسمينا وقال، «رقم ٢٣٨، يا سيد بريِنَن».

صعدنا في المصعد. كانت الغرفة جميلة وكبيرة وفيها سريران وباب ينفتح على حمام.

«هذه غرفة جيدة جدا»، قال جاك.

رفـــع الصبي الذي صعد معنا الســـتائر، وأدخل حقائبنا إلى الغرفـــة. لم يتزحزح جـــاك، لذلك أعطيت الصبـــي ربع دولار. استحم كلٌ منا، ثم قال جاك: علينا أن نذهب لتناول الطعام.

تناولنا طعـــام الغداء في مطعم جيمي هانلي. كان في المطعم

كثير من الفتيان. وبينما نحن نأكل جاء جون وانضم إلى مائدتنا. لم يتحدث جاك كثيرا.

«مـــا أخبار وزنك يا جاك؟» ســـأله جون الذي رأى أمام جاك طعاما كثيرا.

«ليس لدي مشكلة حتى لو وزنوني بثيابي»، قال جاك. لم يجد قط ما يدعوه للقلق بشأن وزنه. كان بطبيعته من الوزن الخفيف ولم يســـمن. حيـــث كان قد فقد بعض الوزن فـــي مُنتَجَع هوغن الصحي.

«في الحقيقـــة، هذا أمر لم تجد موجبا للقلق بشـــأنه»، قال جون.

«ولكنه أمرٌ وحيد»، ردّ جاك.

ذهبنا إلى ملعب الغاردن كي يزن جاك نفسه بعد الغداء. حُدد الوزن المطلوب للمباراة بمائة وســـبعة وأربعين رطلا عند الثالثة عصرا[٢٥]. صعد جاك إلى الميزان وهو يلف منشفة حول جذعه. لـــم يتحرك مقياس الوزن. كان والكـــوت قد فرغ لتوه من الوزن، وكان يقف مع جمع كثير حوله.

«دعنـــا نَرَ كم وزنك، يـــا جاك»، قال فريدمَـــن، مدير أعمال والكوت.

«لا بأس في ذلك، لكن زِنْهُ بعدي»، قال جاك وهو يشير برأسه نحو والكوت بحركة عصبية.

«انزع المنشفة»، قال فريدمن.

«ماذا لديكم؟» قال جاك للمشرفين على الميزان.

---

(٢٥) أي نحو ٦٧ كغ [المترجم].

«مائــة وثلاثــة وأربعون رطــلا»، قال الرجل الســمين خلف الميزان.

«لقد نزل وزنك بشكل ممتاز، يا جاك»، قال فريدمن.

«زِنْهُ»، قال جاك.

أقبل والكوت نحو الميزان. كان رجلا أشــقر، عريضَ المنكبين، وذراعاه كذراعي ملاكم من الوزن الثقيل. أما ساقاه فلا تستحقان الذكر. كان جاك أطول منه بنحو نصف الرأس.

«مرحبــا، يا جاك»، قال والكــوت. كان وجهه يحمل علاماتِ قتالٍ كثيرة.

«مرحبا»، قال جاك. «كيف حالك؟».

«بخير»، قال والكوت. نزع المنشــفة عن خاصرته وصعد إلى الميزان. كان منكباه وظهره أعرض ما يمكن أن يراه إنسان.

«مائة وستة وأربعون رطلا واثنتا عشرة أونصة».

نزل والكوت عن الميزان ورمق جاك مُكَشرا.

«لقد تفوق عليك جاك بنحو أربعة أرطال»، قال له جون.

«بل بأكثر مــن ذلك حين أعود، يا بُنيّ»، قــال والكوت. «إني ذاهبٌ الآن لتناول الغداء».

عدنا وارتدى جاك ملابســه. «يبدو أنه وَلَدٌ خشن جدا»، قال لي جاك.

«ويبدو أنه تعرض للضرب مرارا».

«نعم، طبعا»، قال جاك. «ليس ضربه بالأمر العسير».

«إلــى أين وِجهتك الآن؟» ســأله جون عندمــا فرغ جاك من ارتداء ملابسه.

«نعود إلى الفندق»، قال جاك. «هل رتَّبتَ كل شيء؟».

«نعم»، قال جون. «كل شيء جاهز».

«أنا ذاهبٌ لأستلقي قليلا»، قال جاك.

«سآتي إليك في حوالي السابعة إلا ربعا لنذهب للعشاء».

«لا بأس».

في الفندق خلع جاك حذاءه ومعطفه واستلقى قليلا. كتبتُ رسالة. نظرت مرتين إلى جاك فوجدته لا يزال مستيقظا. كان يستلقي بلا حراك، لكنه كان يفتح عينيه بين الفينة والأخرى. وأخيرا اعتدل في سريره.

«هل تريد أن تلعب الكرِبج، يا جيري؟» قال لي(٢٦).

«بالتأكيد»، قلت له.

ذهب إلى حقيبته وأخرج الورق ولوحة الكرِبج. لعبنا الكرِبج ففاز بثلاثة دولارات مني. طرق جون الباب ودخل.

«هل تريد أن تلعب الكرِبج، يا جون»، سأله جاك.

وضع جون قبعته على الطاولة، وكانت مُبَلَّلة تماما وكذلك كان معطفه.

«هل تمطر؟» سأله جاك.

«بل تنهمر! لقد عَلِقَت سيارة الأجرة التي أخذتها في أزمة السير، فتركتها وجئت سيرا على الأقدام».

«هيّا، دعنا نلعب الكرِبج»، قال له جاك.

«عليك أن تأكل».

«لا»، قال جاك. «لا أريد أن آكل الآن».

---

(٢٦) الكرِبج نوع من ألعاب الورق [المترجم].

وهكذا لعبا الكرِبج لمدة نصف ساعة تقريبا، ففاز جاك بدولار ونصف الدولار من جون.

«أعتقد أنه حان وقت العشــاء»، قال جاك. ذهب إلى النافذة ونظر من خلالها.

«لا يزال المطر يهطل؟».

«نعم».

«دعنا نأكل في الفندق»، قال جون.

«لا بــأس»، قال جاك. «ولكن ســألاعبك مرة أخرى لنرى من سيدفع ثمن العشاء».

بعد هنيهة نهض جاك وقال: «أنت الذي سيدفع، يا جون». ثم نزلنا الدرج وتناولنا طعام العشاء في صالة الطعام الكبيرة.

بعد العشــاء صعدنا الدرج، ولعب جاك الكرِبج مع جون مرة أخرى، فربــح دولارين ونصف الدولار منه. كانت معنويات جاك ترتفــع. كان لدى جون حقيبة يضع فيهــا كل أمتعته. خلع جاك قميصه ولفحة عنقه، وارتدى ســترة وكنزة كي لا يتعرض للفحة برد عند خروجه، ثم وضع ملابس الحلبة والحمام في حقيبة.

«هل أنت جاهز تماما؟» سأله جون. «سأتصل بهم كي يطلبوا لنا سيارة أجرة».

لم يمض ســوى وقــت قصير حتى رن الهاتــف وقالوا لنا إن السيارة بانتظارنا.

نزلنا بالمصعد، وعبرنا ردهة الفندق، وركبنا السيارة إلى ملعب الغاردن. كان المطر يهطل بغزارة، لكن الشوارع كانت تغص بالناس. كان ملعب الغاردن يغص بالمتفرجين. وبينما كنا نشق طريقنا إلى

غرفة الملابس، رأيت كيف امتلأ الملعب إلى آخره. بدت المسافة بيننا وبين الحلبة كأنها نصف ميل. كان الظلام يحيط بكل شيء ما عدا الحلبة التي كانت الأنوار مُسَلَّطة عليها.

«لقد أحسنوا صنعا، والمطر هكذا، في عدم تنظيم هذه المباراة في حديقة الباليه»، قال جون.

«لقد اجتذبوا جمهورا هائلا»، قال جاك.

«هذه مباراة تجتذب أكثر مما يتسع له ملعب الغاردن».

«لكنك لا تستطيع التنبؤ بالطقس»، قال جاك.

أقبل جون على غرفة الملابس ودس رأسه في الباب. كان جاك يجلس مرتديا ملابس الحمام، وذراعاه متصالبتان، وعيناه مسددتان نحو الأرض. حضر مع جون مدربا ملاكمة. وقفا عند منكبيه، فرفع جاك ناظريه إليهما.

«هل دخل؟» سأل جاك.

«لقد نزل من فوره»، قال له جون.

انطلقنا نحو الحلبة التي كان والكوت يدخلها في تلك الأثناء. صفق له الجمهور تصفيقا حادا. تسلل من بين الحبال، ثم ضم قبضتيه وابتسم، ثم هز قبضتيه ملوحا للجمهور ذات اليمين وذات الشمال، وبعدها جلس. صفق الجمهور تصفيقا حادا لجاك وهو يشق طريقه بينهم. جاك إيرلندي، والإيرلنديون دائما يلقون تصفيقا حادا. لا يجتذب الإيرلندي الجماهير في نيويورك كما يجتذبهم اليهودي أو الإيطالي، لكنه دوما يلقى تصفيقا حادا. تسلق جاك ثم انحنى ليمر من بين الحبال، فأقبل والكوت من ركنه وداس على الحبل كي يمر جاك. لقيت هذه

البادرة استحسانا عند الجمهور. وضع والكوت يده على كتف جاك ووقفا وجها لوجه لمدة ثانية.

«إذن، تريد أن تكون واحدا من هؤلاء الأبطال المحبوبين من الجماهير»، قال له جاك. «أبعِد يدك اللعينة عن كتفي».

«كما تشاء»، قال له والكوت.

كل هذا لقي استحسانا عظيما لدى الجمهور. ما أشدَّ تهذيب الولدين قبل المباراة وهما يتمنيان التوفيق أحدهما للآخر!

أقبل سولي فريدمن نحونا، بينما كان جاك يُدعم يديه بالضمادات، وجون في ركن والكوت. أخرج جاك إبهامه من شِق الضمادة ثم لفها حول يده لفّا متقنا سلسا. ثم قمت أنا بتثبيتها بشريط لاصق حول المعصم ومرتين حول أصابعه.

«اسمع»، قال فريدمن. «من أين لك كل هذا الشريط اللاصق؟».

«تحسَّسه»، قال جاك. «إنه ناعم، أليس كذلك؟ لا تكن كالريفي الأخرق».

ظل فريدمن واقفا في مكانه بينما كان جاك يضمد يده الأخرى. جاء أحد مدربيه بالقفازين، فوضعتهما على يديه وسوّيت أمرهما.

«قل لي، يا فريدمن»، قال جاك، «ما هو أصل والكوت هذا؟».

«لا أعرف»، قال سولي. «أعتقد أنه دنماركي».

«بل من بوهيميا»، قال المدرب الذي أحضر قُفّازَي جاك.

دعاهما الحَكَم إلى وسط الحلبة، فأقبل عليه جاك، وأقبل

والكوت باسما. تقابل الاثنان ووضع الحكم ذراعه على كل منهما.

«مرحبا بحبيب الجماهير»، قال جاك لوالكوت.

«قل ما تشاء».

«لماذا تدعو نفسك والكوت؟» قال جاك. «ألم تكن تعلم أنه زنجي؟».

«استمع» قال لهما الحكم، ثم كرر عليهما لازمته المعهودة. قاطعه والكوت في إحدى المرات. أمسك بذراع جاك وقال: «هل يمكنني أن أضربه عندما يعاملني هكذا؟».

«أبعِد يديك عني»، قال له جاك. «فهذه مباراة وليست سينما».

ذهب كلٌّ إلى زاويته. خلعتُ رداء الحمام عن جاك، فمال على الحبال، وثنا ركبتيه مرتين، ثم جرجر خُفّيه في مادة راتنجية لاصقة. رن الجرس، فالتفت جاك بسرعة، وانطلق. أقبل والكوت نحوه، فالتحما بالقفازين، ولم يكد والكوت يرخي يديه حتى عاجله جاك بلطمتين من يسراه على وجهه. لم يوجد في الدنيا كلها ملاكم أفضل من جاك. كان والكوت يطارده ويهجم عليه وذقنه دائما على صدره. كان كصنارة صيد وهو يُسّبلِ يديه. كان كل ما يبغيه هو الاقتراب من خصمه ولَكْمِهِ. لكنه كلما اقترب من جاك، عاجله هذا بلطمة من يسراه في وجهه. لقد بدا الأمر برمته كأنه فعلُ آلة. يرفع جاك يسراه فتحط على وجه والكوت. حاول جاك بيمناه ثلاث مرات أو أربعا، فكانت إما تحط على كتف والكوت أو تحلق فوق رأسه. إنه واحد من هؤلاء المحترفين.

وكان كل ما يخشـــاه هو ملاكمة محترف آخر. كان يحمي كل ما يمكن أن يصيبه بأذى. أما اللكمات العسراء فلم يكن يبالي بها.

بعـــد نحو أربع جــولات جعله جاك ينزف نزفـــا ومزّق وجهه تمزيقا. لكنه كلما اقترب منه والكوت كان هذا يلكمه لكما شديدا يسبب له كدمات حمراء كبيرة تحت أضلاعه. وكلما دنا والكوت، قيّـــده جاك، ثم يحرر إحدى يديـــه ويلكمه من تحت، لكن عندما يحـــرر والكوت كلتـــا يديه كان يضرب جاك على جســـده ضربا يسمعه المارة في الشارع. كان ملاكما رهيبا.

وتستمر الحال على هذا المنوال ثلاث جولات أخرى. يتلاكمان بلا هوادة، لكن بصمت. كنا ندلك جسد جاك كثيرا بين كل جولة وأخرى. كان في أبـــأس حال، لكنه لم يقم بأي عمل في الحلبة. لم يكن يتحرك كثيرا، أما يده اليســـرى فكانـــت كالذراع الآلية. كانت كأنها موصولة بوجه والكوت، فما كان على جاك ســـوى أن يطلـــب ويتمنى ذلك كل مرة. كان جاك دائما يحافظ على هدوئه في القتال القريب ولا يهدر طاقته. كان يعرف كل شـــاردة وواردة عن القتال القريب، وكان يقوم بكثير مما هو غير مسموح. عندما كانـــا في زاويتنا، رأيته يقيد يدي والكوت، ثم حرر يمناه وأدارها وسدد من تحت لكمة إلى أنف والكوت أصابته بكعب القفاز. راح والكوت ينزف نزيفا شديدا، فمال هذا بأنفه على كتف جاك كي يقاســـمه النزيف، ولكن جاك رفع كتفه بِحِدَّة، فلطمه على أنفه، ثم سدد إليه لكمة أخرى بيمناه، فزاد أنفه نزفا على نزف.

صـــار والكوت يتصعَّـــد غيظا كالجحيم. وفـــي نهاية الجولة الخامسة أصبح كرهه لجاك بلا حدود. أما جاك فلم يكن حانقا،

أي أنه لم يكن أكثر حنقا مما هو عليه دائما. كان من دون شك يجعل كل من يلاكمه يكره الملاكمة. ولهذا السبب كان يُكِنّ لِكِد لويس حقدا شديدا، إذ لم يتمكن من إغاظة كدِ. كان كدِ دائما يتفوق على جاك بالقذارة في القتال. كان جاك يشعر بالأمان ما دام في الحلبة وقويا. كان بلا شك يتعامل مع والكوت بغِلْظة. والمضحك في الأمر أن جاك بدا كأنه ملاكم تقليدي مكشوف. والحقيقة أنه كان يتمتع بتلك الصفة أيضا.

بعد الجولة السابعة، قال جاك: «بدأت أشعر بالخَدَر في يسراي». من بعدها، بدأ جاك يتخاذل. لم يبدُ عليه الوهن في البداية. لكن بدلا من أن يكون هو المسيطر على المباراة صار والكوت هو المسيطر، وبدلا من أن يكون في مأمن دائم صار في خطر. لم يعد الآن قادرا على التصدي لخصمه بيسراه. لم يبدُ الفرق واضحا في البداية، لكن ما تغير هو أن لكمات والكوت باتت تصيبه بدلا من أن تخطئ هدفها. وراح جسده يتعرض لضرب شديد.

«في أي جولة أصبحنا؟».

«الحادية عشرة».

«لا يمكنني البقاء»، قال جاك. «بدأت ساقاي تخذلانني».

كان والكوت في هذه الأثناء قد أوسع جسده ضربا. صار الأمر كمن يَتَلَقَّف الكرة في لعبة البيسبول بيده كي يخفف من الصدمة. من هذه اللحظة فصاعدا راح والكوت يسير على أرض صلبة. كان يلاكم كأنه آلة، وأصبح جلّ هم جاك هو أن يتفادى اللكمات. لم يكن ظاهرا للعيان أي ضرب كان يتلقى، لكنني

عندما كنت أدلّك عضلات ساقيه بين الجولة والأخرى، كانت عضلاته تخفق بين يديَّ كالطير، وكان في أسوأ حال.

«كيف ترى الأمور؟» سأل ملتفتا إلى جون، متورمَّ الوجه.

«في مصلحته».

«أعتقد أنني قادر على الاستمرار»، قال جاك. «لا أريد أن يوقفني هذا الأخرق».

كانت الأمور تسير كما توقع. كان يعلم أنه لا يستطيع أن يهزم والكوت. لقد خارت قواه تماما. لكنه لم ينته تماما. أصبحت فلوسه مضمونة، وكل ما يريده الآن هو أن يُنهي المباراة بشكل سليم إرضاء لنفسه. لم يكن يريد أن يُهزم هزيمة نكراء.

رن الجرس، فدفعناه خارج الحلبة. كان خروجه بطيئا. لحقه والكوت، فمد له جاك يده اليسرى، لكن والكوت جعلها تمر من فوقه، وراح يوسع جسد جاك ضربا. حاول جاك أن يقيده، فإذا بالأمر كمن يحاول الإمساك بمنشار كهربائي. تحرر جاك من خصمه، وسدد بيمناه لكنه لم يُصِبْه. لطمه والكوت بيسراه لطمة خاطفة طرحته أرضا. انطرح جاك على يديه وركبتيه وراح ينظر إلينا. بدأ الحَكَم في العد. كان جاك يراقبنا ويهز رأسه. عند العَدّة الثامنة أومأ له جون. كان هَرَجُ الجمهور يصم الآذان. نهض جاك. كان الحكم يمسك والكوت بإحدى ذراعيه وهو يعد.

عندما وقف جاك على قدميه، انطلق نحوه والكوت.

«حذارِ، يا جيمي»، سمعت سولي فريدمن يناديه بأعلى صوته.

أقبل والكوت على جاك الذي كان يتطلع إليه. قذف جاك يده اليسرى صوبه، فهز والكوت رأسه. رصَّ جاك إلى الحبال،

ثم قاسه، ولطمه لطمة خفيفة بيسراه على جانب رأسه، ثم ضربه بيمينه بأقسى ما أوتي من قوة على أدنى نقطة ممكنة في جسده. لا بد أنه ضربه تحت الحزام بمسافة خمس بوصات. ظننت أن عيني جاك ستخرجان من رأسه. لكنهما جحظتا فقط، وتهدّل فمه.

أمسك الحكم بوالكوت. تقدم جاك. إن خسر ذهبت معه خمسون ألف دولار. سار كأن أحشاءه جميعا ستتدلق.

«لم تكن منخفضة»، قال. «لم تكن مقصودة».

كان الجمهور يصرخ حتى إنك لا تسمع شيئا.

«أنا بخير»، قال جاك. كانوا أمامنا. نظر الحكم إلى جون ثم هز رأسه.

«هيا، أيها النغل البولندي»، قال جاك لوالكوت[٢٧].

كان جون يتعلق بالحبال، وكان يمسك بالمنشفة تَحَسُّبا لأي طارئ. كان جاك يقف على مقربة من الحبال. خطا خطوة واحدة نحو الأمام. رأيت العرق يتصبب على وجهه كأن شخصا قد عصره، ورأيت قطرة كبيرة تتحدر على أنفه.

«هيا إلى النزال»، قال جاك لوالكوت.

نظر الحكم إلى جون وأومأ إلى والكوت بالانقضاض، قائلا: «هيّا، أيها الخامل».

تقدم والكوت. كان في حيرة من أمره أيضا. لم يكن يتصور أن بإمكان جاك أن يصمد مثل هذا الصمود. قذف جاك بيده اليسرى في وجه خصمه. كان الصراخ يصل إلى كبد السماء. كانا أمامنا

(٢٧) لا تدل هنا صفة «البولندي» على أصل والكوت، بل يستخدمها جاك لغرض الشتيمة فحسب [المترجم].

تماما. ضربه والكوت مرتين. لم أر في حياتي منظرا أبشع من وجه جاك. كان يتحامل على نفسه بمشقة كبيرة، وكانت التعاسة ترتسم على وجهه. كان لا يكف عن التفكير أو الإمساك بموضع الإصابة في جسده.

ثم راح يلاكم. كان وجهه مرعبا. يلاكم ويداه منخفضتان إلى جانبه، محاولا إصابة والكوت. كان والكوت يحمي نفسه بشكل جيد، بينما كان جاك يخبط رأس خصمه خبط عشواء. ثم طوّح بيسراه فأصابت والكوت في أُربيته، أما اليمنى فقد أصابت والكوت في المنطقة نفسها التي أصابها منه والكوت من قبل: تحت الحزام بكثير. انطرح والكوت أرضا، فأمسك موضع الإصابة، وراح يَتَقَلَّبُ ويَتَلَّوى.

أمسك الحكم بجاك ودفعه إلى زاويته. قفز جون إلى الحلبة. ظل الضجيج متواصلا. كان الحكم يتحدث مع القضاة، ثم قفز المذيع وسط الحلبة يحمل مكبرا للصوت ويقول، «فاز والكوت بضربة جزاء».

كان الحكم يتحدث مع جون، فقال له: «ماذا كان بإمكاني أن أفعل؟ لم يكن جاك يقبل الفوز بضربة جزاء. وعندما راح يترنح، ارتكب خطأ في حق خصمه».

«لقد خسر في كل الأحوال»، قال جون.

جلس جاك على الكرسي. نزعت له قفازيه. كان يجلس مطأطئ الرأس، ويمسك رأسه بكلتا يديه. لم يبدُ وجهُه بذاك السوء عندما يوجد ما يسنده.

«هيا، اذهب واعتذر»، قال له جون في أذنه. «ستكون تلك بادرة جيدة».

نهـض جاك والعرق يتصبب على وجهه. وضعتُ رداء الحمام على منكبيه، فتحامل على نفسه، واضعا إحدى يديه تحت الرداء، وخطا إلـى حيث يربض والكوت في الحلبـة. كانوا قد أنهضوا والكوت وكانوا يدلكونه. كانت زاوية والكوت تعج بالناس. لا أحد يكلم جاك، الذي انحنى فوق والكوت وقال:

«أنا آسف. لم أقصد أن أضربك ضربة مخالفة للقوانين».

لم يقل والكوت شيئا، وكان يبدو شديد الاعتلال.

«على أي حال، أنت البطل الآن»، قال له جاك. «وآمل أن تنال من المتعة من جراء ذلك ما تنال».

«اترك الفتى وحده»، قال له سولي فريدمن.

«مرحبا، يا سولي»، قال جاك. «أنا آسف لأني ضربت غلامك ضربة غير قانونية».

لا يفعل فريدمن شيئا سوى النظر إليه.

سـار جاك إلى ركنه يترنح ترنحا مضحـكا، ثم أخرجناه من بـين الحبال وعبر موائد الصحافيين على جانبي الممر. كان كثير مـن الناس يريد أن يصفـع جاك على ظهره. شـق طريقه بين الحشود في رداء الحمام قاصدا غرفة الملابس. كان فوزا شعبيا بالنسـبة إلى والكـوت. هكذا كانت تجـري الرهانات المالية في ملعب الغاردن.

لـم نكد ندخل غرفة الملابس حتى اسـتلقى جاك على ظهره وأغمض عينيه.

«علينا الذهاب إلى الفندق وطلب الطبيب»، قال جون.

«لقد تمزقت كل أحشائي»، قال جاك.

«أنا آسف جدا، يا جاك».

«لا عليك»، قال جاك.

ظل مستلقيا في مكانه وعيناه مغمضتان.

«مما لا شك فيه أنهما حاولا عمل خدعة ذكية»، قال جون.

«إنهما صديقاك: مورغن وستاينفلت»، قال له جاك. «لديك صديقان رائعان».

ظل مستلقيا في مكانه، لكن عينيه مفتوحتان الآن. وظلت تلك النظرة المرعبة المُتَجَهِّمة لا تُفارق وجهَه.

«عجبا، ما أشد ذكاءك عندما يتعلق الأمر بأموال طائلة»، قال له جاك.

«أنت فتى رائع، يا جاك».

«لا»، قال جاك. «لم يكن في الأمر ما يستحق».

تحقيق بسيط
[١٩٢٧]

كان الثلج فـي الخارج أعلى من النافذة. وكان نور الشـمس يتسـلل عبر النافذة ويسطع على خارطة معلقة على جدار الكوخ المصنوع من خشـب الصنوبر. كانت الشمس مرتفعة، وكان النور يدخل من فوق كومة الثلج. شُـقَّ خندقٌ بمحاذاة الجانب المفتوح للكوخ، فكانت الشمس أيام الصحو تسطع على الجدار فتنعكس حرارتها على الثلج، فَيَتَّسِـعُ الخندق يومـا بعد يوم. كان الوقت في أواخر شـهر مارس. كان الرائد يجلـس إلى طاولة ملتصقة بالجدار. وكان معاونه يجلس إلى طاولة أخرى.

كانـت دائرتان بيضاوان تحيطان بعيني الرائد من أثر نظارته الثلجية الواقية من وهج الشـمس والثلج. أمـا بقية وجهه فقد سُـفِعَت ثم اسـمرَّت ثم سُـفِعَت ثانية. كان أنفه متورما، وكانت هناك بقايا جلدٍ مُتَقَشِّـرٍ مكانَ بُثورٍ اندملت. وبينما هو منشغلٌ في الأوراق التي بين يديه، غمس رؤوس أصابع يده اليسـرى في صُحَيْفَـةٍ من الزيت، ثم دهن وجهـه به دهنا رفيقا. كان يحرص على تجفيف أصابعه على طرف الصُحَيْفَة بحيث لا يتبقّى عليها سـوى طبقةٍ رقيقة، وبعد تدليك جبهته وخديه، دلَّك أنفه برفق متناهٍ بأصابعه. وعندمـا انتهى من ذلك، نهض ثم أخذ صُحَيْفَةَ الزيت ودخـل حجرة الكوخ الصغير التي ينـام فيها. «أنا ذاهبٌ لأنام قليلا»، قال لمعاونه. في ذلك الجيش لم يكن معاون الضابط من الضباط القادة. «عليك إنهاء هذه الأوراق».

«حاضر، سيدي الرائد»، رد المعاون. رجع في كرسيه إلى الوراء وتثاءب. أخرج من جيب معطفه كتابا ذا غلافٍ ورقي ثم فتحه، ثم وضعه على الطاولة وأشعل غليونه. انكبّ على الطاولة ليقرأ وراح ينفث دخان غليونه. بعد ذلك أغلق الكتاب وأعاده إلى جيبه. كان أمامه كمٌّ هائل من الأوراق في حاجة إلى شغل. ولا يستطيع القراءة ما لم ينتهِ منها. في الخارج توارت الشمس خلف جبلٍ، ولم يعد هناك نورٌ على جدار الكوخ. دخل جنديٌّ يحمل بعض أغصان الصنوبر ذات أطوالٍ متفاوتة، ثم وضعها في المدفأة. «كُن حذرا، يا پنين»، قال معاون الضابط. «فالرائد نائم».

كان پنين حاجبَ الرائد. كان فتى أسمرَ الوجه. أصلح أمرَ المدفأة بتلقيمها حطب الصنوبر بحذر، ثم أغلق الباب وعاد إلى صدر الكوخ ثانية. تابع معاون الضابط شغله في الأوراق.

«توناني»، نادى الرائد.

«نعم، سيدي الرائد».

«أرْسِلْ پنين إليَّ».

«پنين!» نادى معاون الضابط. حضر پنين إلى الغرفة فقال له معاون الضابط: «يريدك الرائد».

سار پنين قاطعا الصالة الرئيسية للكوخ متجها نحو باب حجرة الرائد. طرق الباب المفتوح قليلا: «سيدي الرائد؟».

«ادخل وأغلق الباب»، قال الرائد، فسمعه المعاون.

كان الرائد يستلقي على سريره داخل الحجرة. وقف پنين بجانب السرير. كان الرائد يوسِّد رأسه على حقيبة خيش محشوة

بما لديه من ملابس إضافية. تطلَّع وجهُه المسفوع والمُزيَّت إلى پنين. وكانت يداه مُسبَلَتين على البطانيات.

«أنت في التاسعة عشرة؟» سأله الرائد.

«نعم، سيدي الرائد».

«هل أحببتَ فتاة؟».

«لقد عرفت بعض الفتيات».

«أنا لم أسألك هذا السؤال. سألتُك إن كنت قد أحببت فتاة».

«نعم، سيدي الرائد».

«أما زلت تحبها حتى الآن؟ أنت لا تُراسلها. فأنا أقرأ كل رسائلك».

«لا أزال أحبها»، قال پنين. «لكني لا أراسلها».

«هل أنت متأكدٌ من هذا؟».

«أجل».

«توناني»، قال الرائد بذات النبرة، «هل تسمعني وأنا أتحدث؟».

لم يأتِ جوابٌ من الغرفة المجاورة.

«إنه لا يسمعني»، قال الرائد. «أنت متأكد تماما أنك واقعٌ في غرام فتاة؟».

«أَنا متأكد».

نظر إليه الرائد نظرة سريعة وسأله: «وأنك لست فاسقا؟».

«لا أعرف ماذا تقصد بكلمة فاسق».

«لا عليك»، قال له الرائد. «لا تأخذْكَ العزَّة وتتعالَ عليَّ».

أطرقَ پنين في الأرض. تأمل الرائدُ في وجهه الأسمر ويديه، ثم رمقه من أعلى إلى أسفل. ثم تابع من غير ابتسام: «أحقا أنك لا تريد .....؟»، ثم توقف الرائد. ظل پنين مُطرِقا في الأرض. «وأن أكبر رغباتك ليست في الواقع...؟»، ظل پنين مُطرِقا في الأرض. أسـند الرائد رأسه على حقيبة الخيش وابتسم. لقد ارتاح حقا: فالحيـاة في الجيش شـديدة التعقيد. «إنك غـلامٌ طيب»، قال لـه الرائد. «إنك غلامٌ طيـب، يا پنين. لكن لا تتعالَ على غيرك، وحذارِ من أن يأتي شخصٌ غيري ويجرفك معه».

ظلَّ پنين واقفا بجانب السرير.

«لا تَخَف»، قال له الرائد. كانت يداه مثنيتين على البطانيات. «لن ألمسك. يمكنك أن تعود إلى فصيلتك إن شئت. لكن حبَّذا لو بقيتَ هنا حاجبا لي. فَفُرَصُ قتلِك هنا أقل».

«هل تريد مني شيئا، سيدي الرائد؟».

«لا»، قال الرائد. «انصرف إلى شغلك الذي كنت فيه، واترك الباب مفتوحا عندما تخرج».

خرج پنـين وترك الباب مفتوحا. رمقـه الرائد بنظراته وهو يتعثَّر في طريقه إلى باب الحجرة. احمرَّ پنين واضطربت خطواته علـى غير ما كانت عليه عندما أحضـر الحطب للمدفأة. رمقه معـاون الضابط بنظرة من الخلف وابتسـم. أحضر پنين مزيدا من الحطب للمدفأة. سمع الرائدُ وقعَ خطواته على الأرض. كان الرائد يسـتلقي على سريره ويتطلع في خوذته المغطّاة بالقماش ونظارته الثلجية المتدلية من مسمار في الجدار، وقال في نفسه: تُرى، هل كذب العفريت الصغير عليَّ؟

عشرة هنود
[١٩٢٧]

عاد نِك مــن المدينة متأخرا بعد أن رافق جو غارنر وعائلته في عربتهم الكبيرة للاحتفال بعيد الرابع من يوليو[٢٨]، فصادفوا في طريقهم تســعة هنــود ثَمِلين. تذكر أنهم كانوا تســعة، لأن جــو غارنر أوقــف الأحصنة، وكان الوقت غَسَــقا، فترجَّل عن عربتــه، وأزاح أحد الهنود من طريق العربة. كان الهندي نائما، ووجهه مُكبٌّ على الرمل. سحبه جو بين الشجيرات، ثم عاد إلى صندوق العربة.

«بهــذا نكون قد مررنا بتســعة منهم بين هــذا المكان وطرف البلدة»، قال جو.

«هؤلاء الهنود»، قالت السيدة غارنر.

كان نك يجلس في المقعد الخلفي مع ولَدَيْ غارنر، وراح يتطلع من مقعده هذا ليرى أين سحبه جو بمحاذاة الطريق.

«هل كان ذلك الرجل بِلي تابيشو؟» سأله كارل.

«لا».

«لقد بدا بِنطالُه كأنه بنطال بِلي».

«كل الهنود يلبسون هذا النوع من البنطالات».

«أنا لــم أرَهُ مطــلقا»، قــال فرانك. «لــقد نزل أبي وصعد إلــى العربــة قبل أن أرى شــيئا. لقــد ظننتُ أنــه كان يقتل ثُعبانا».

---

(٢٨) الرابع من يوليو هو عيد الاستقلال الأمريكي [المترجم].

«أعتقد أن كثيرا من الهنود سيقتلون الأفاعي هذه الليلة»، قال جو غارنر(٢٩).

«هؤلاء الهنود»، قالت السيدة غارنر.

تابعوا مسيرهم. انحرف الطريق عن الطريق الرئيسي باتجاه التلال. كان الصعود شاقا على الأحصنة، لذلك نزل الأولاد وساروا على الأقدام. كان الطريق رمليا. عندما اقتربوا من المدرسة في قمة الرابية، نظر نك وراءه، فرأى مصابيح پيتوسكي، وعلى الطرف الآخر لخليج ترافيرس الصغير مصابيح هارپَر سپرنغز(٣٠). ركبوا العربة ثانية.

«يجب عليهم أن يفرشوا بعض الحصى على تلك البقعة»، قال جو غارنر. شقت العربة طريقها بين أشجار الغابة. كان جو والسيدة غارنر يجلسان متلاصقين على المقعد الأمامي، وكان نك يجلس بين الولدين. مر الطريق بمحاذاة فُسحةٍ لا أشجار فيها.

«هنا دهس أبي الظِّربان»(٣١).

«بَلّ إلى الأمام».

«وماذا يهم أين دهستُه؟» سأل جو من دون أن يلتفت. «فكلا المكانين يصلح لدهس ظربان».

«رأيت ظربانين ليلة أمس»، قال نك.

---

(٢٩) ربما لأن السلطات المعنية تطلب منهم ذلك، كي توفر الأمان للمحتفلين الذين يجلسون عادة على الأرض أثناء الاحتفالات [المترجم].

(٣٠) تقع بلدة پتوسكي، وخليج ترافيرس الصغير، وبلدة هارپر سپرنغز في الشمال الغربي لولاية مِشيغن الأمريكية [المترجم].

(٣١) الظربان حيوان أمريكي ثديي لاحم، يطلق رائحة منتنة جدا على كل ما يقترب منه إذا استشعر خطرا [المترجم].

«أين؟».
«بقــرب البحيرة. كانا يبحثان عن الأســماك الميتة على طول الشاطئ».
«ربما كانا راكونَيْن»، قال كارل.
«بل كانا ظربانين. أعتقد أنني أعرف ما هو الظربان».
«هذا أمر طبيعي»، قال كارل. «فصديقتك هندية».
«كُفَّ عن هذا الحديث، يا كارل»، قالت السيدة غارنر.
«في الواقع للهنود والظرابين رائحة متشابهة».
ضحك جو غارنر، فنهرته زوجته، ثم أردفت:
«ولن أسمح لكارل بأن يتحدث بتلك الطريقة».
«هل عندك صديقة هندية، يا نِكي؟» سأله جو.
«لا».
«بل عنده، يا أبي، واسمها برودَنس مِتْشِل»، قال فرانك.
«إنها ليست صديقتي».
«وهو يراها كل يوم».
«هــذا غيــر صحيح». كان نِــك الذي يتوسَّــط الصبيين في الظلام يشعر بالخواء والســعادة الداخلية لأنهما كانا يمازحانه بشأن برودَنس متشل. «إنها ليست صديقتي».
«أتتوقعــون منــي أن أصدقه وأنا أراهما معــا كل يوم؟» قال كارل.
«لا يســتطيع كارل أن يجد صديقــة، ولو كانت هندية»، قالت السيدة غارنر، فصمت كارل.
«كارل لا يجيد التعامل مع الفتيات»، قال فرانك.

«اخرَس أنت».

«هَوِّن عليك، يا كارل»، قال جو غارنر. «فأيَّ نفعٍ يجده الإنسان في الفتيات؟ انظر إلى أبيك».

«أجـــل، هذا ما تقوله أنت»، قالت الســـيدة غارنر، والتصقت بجـــو عندما راحت العربة تتمايل. «على أي حال، لقد كان لديك فتيات كثيرات في زمانك».

«لكني أراهنكم أن أبي ما كان ليتَّخذ صديقة من الهنود».

«لا تشـــغل بالك بما يُقـــال»، قال جو. «ويجـــدر بك أن تكون حريصا للحفاظ على پرودي، يا نك».

همست له زوجته شيئا، فضحك جو.

«علام تضحك؟» سأله فرانك.

«إيّاك أن تقول، يا غارنر»، قالت زوجته، فضحك جو ثانية.

«يســـتطيع نِكي أن يُصادق پرودنـــس»، قال جو غارنر. «كانت لدي صديقة رائعة في زماني».

«أحسنت قولا»، قالت السيدة غارنر.

كانت الجياد تجر العربة بمشقة في الرمال، فتناول جو سوطه وساطَها به في الظلام.

«هيّا، اسحبي. فما ينتظرُكِ غدا أشقُّ وأقسى».

راحت الجياد تنحدر على الرابية خَبَبا، والعربة ترتجُّ وتتمايل. نزل الجميع عند بيت المزرعة. فتحت السيدة غارنر الباب ودخلت، ثم خرجت تحمل مصباحا في يدها. أنزل كارل ونك الأمتعة من مؤخرة العربة، بينما كان فرانك يجلس في المقعد الأمامي ليأخذ العربة إلى الحظيرة ويؤوي الجياد. صعد نك الدرجات وفتح باب

المطبخ. كانت السيدة غارنر توقِد نارا في الموقد. كانت تصبُّ الكيروسين على الحطب، ثم التفتت عندما دخل نك ليودِّعها:

«وداعا، يا سيدة غارنر. وشكرا لكم على اصطحابكم لي معكم».

«إنه لا يستحق الشكر، يا نِكي».

«لقد استمتعت بوقتي أيَّما استمتاع».

«يَسُرُّنا أن تكون بيننا. ألا تتناول العشاء معنا؟».

«يجدر بي أن أذهب. أعتقد أن أبي في انتظاري».

«إذن، اذهب إليه. وأرجو أن تبعث إليّ بكارل».

«لا بأس».

«تصبح على خير، يا نكي».

«تصبحين على خير، يا سيدة غارنر».

خرج نك من باحة البيت وهبط إلى الحظيرة. كان جو وفرانك يحلبان الأبقار.

«تُصبِحان على خير»، قال لهما نك. «لقد استمتعت بوقتي معكم».

«تصبح على خير، يا نك»، قال له جو غارنر. «ألا تبقى للعشاء معنا؟».

«لا، لا أستطيع. هلا أخبرتَ كارل أن أمه تريده؟».

«لا بأس. تصبح على خير، يا نكي».

سار نِك حافيا، شاقا طريقه عبر المرج الذي تطلُّ عليه الحظيرة. كان الطريق سهلا والندى باردا على قدميه الحافيتين. ولمّا بلغ نهاية المرج، تسلَّق سياجا ثم نزل وَهدة، وابتلّت قدماه

بأوحال المستنقع، ثم راح يشــقُ طريقه صعودا بين غابات الزّان إلى أن رأى مصابيح الكوخ. تسلق السياج واستدار ليدخل الكوخ مــن رواقه الأمامي. شــاهد أباه من خــلال النافذة وهو يجلس بجانب المائدة، ويقرأ على ضوء المصباح. فتح نك الباب ودخل.

«هيــا، يا نكي، قــل لي كيــف كان الرابع من يوليو؟» ســأله والده.

«كان يوما رائعا، يا أبي».

«هل أنت جائع؟».

«تستطيع أن تقول ذلك».

«ماذا فعلتَ بحذائك؟».

«تركته في العربة في بيت غارنر».

«هيا إلى المطبخ».

حمل والده المصباح وسبقه. توقف ورفع غطاء ثَلاَّجة الجليد. تابع نك مســيره إلى المطبخ. جاء والده بقطعة من الدجاج البارد على طبقٍ وإبريقٍ من الحليب ووضعهما على المائدة أمام نك. ثم وضع المصباح على المائدة أيضا.

«هناك بعض الفطيرة»، قال والده. «هل هذا يكفيك؟».

«إنها كمية رائعة».

جلــس والده على كرســيٍّ بجانب الطاولــة المغطّاة بالقماش الزيتي، فصنع ظلا كبيرا على جدار المطبخ.

«من ربح المباراة؟».

«بيتوسكي. خمسة إلى ثلاثة».

جلس أبوه يراقبه وهو يأكل، ثم ملأ كأسه من إبريق الحليب.

شرب نك الحليب ثم مسح فمه بالمنديل. تناول والده الفطيرة من الرف واقتطع قطعة كبيرة لنك.

«ماذا فعلت يا أبي؟».

«ذهبت لصيد الأسماك في الصباح».

«ماذا اصطدت؟».

«لا شيء سوى سمك الفرّخ».

ظل والده يراقبه وهو يأكل الفطيرة.

«وماذا فعلت في العصر؟» سأل نك والدَه.

«ذهبت في مشوار إلى مخيم الهنود».

«هل رأيت أحدا هناك؟».

«كان الهنود جميعا يلهون في المدينة».

«أَلَم تر أحدا على الإطلاق؟».

«بلى، لقد رأيت صديقتك برودي».

«أين كانت؟».

«كانت في الأدغال مع فرانك واشّبيرن. لقيتُهما مصادفة. وكانا يقضيان وقتا ممتعا».

لم يكن والده ينظر إليه.

«ماذا كانا يفعلان؟».

«لم أمكث حتى تتجلي الأمور».

«قل لي: ماذا كانا يفعلان؟».

«لا أعرف»، قال والده. «لقد كانا يتدارسان فقط».

«كيف عرفت أنهما هما؟».

«لقد رأيتُهما».

«ألَم تَقُل إنك لم ترَهما؟».

«بل رأيتهما رأيَ العين».

«من كان معها؟».

«فرانك واشبيرن».

«هل كانا... هل كانا...؟».

«هل كانا ماذا؟».

«هل كانا سعيدين؟».

«أظن ذلك».

نهض والده من المائدة وخرج من الباب المنخلي للمطبخ. وعندما عاد رأى نك مُطرِقا في الطبق الذي أمامه. لقد كان يبكي.

«أتُريد مزيدا؟» سأله أبوه وأخذ السكين ليقطع بها الفطيرة.

«لا»، قال نك.

«يجدر بك أن تتناول قطعة أخرى».

«بل لا أريد شيئا».

نظف أبوه الطاولة.

«أين كانا في الأدغال؟» سأله نك.

«وراء المخيم». أطرق نك في طبقه. «يجدر بك أن تأوي إلى فراشك، يا نك»، قال له والده.

«لا بأس».

ذهب نك إلى حجرته، وخلع ثيابه، واندسَّ في فراشه. سمع والده وهو يروح ويجيء في غرفة المعيشة. اضطجع في فراشه ووجهه مُكِبٌّ على الوسادة.

«لقد انفطر قلبي»، قال لنفسه. «إن كنت أشعر هكذا فلا بد أن قلبي قد انفطر».

بعد مدة سمع أباه ينفخ على المصباح ليطفئه ويتجه إلى حجرته. سمع الريح تهبُّ على الأشجار، فيتسلل إليه نسيمٌ عليل عبر مُنخل النافذة. ظلَّ مُكبًّا على وجهه مدة طويلة، وبعد مدة نسي أن يشغل فكره بأمر پرودنس، ثم استسلم للنوم. وعندما أفاق ليلا سمع الريح تداعب أشجار الشوكران خارج الكوخ، وأمواج البحيرة تغدو إلى الشاطئ وتروح، فعاوَدَه النوم. وعندما أفاق في الصباح كانت الريح تعصف والأمواج تتلاطم على الشاطئ، ولم يتذكّر أن قلبه مفطور إلا بعد مدة طويلة من استيقاظه.

كناري پاليرمو
[١٩٢٧]

مر القطار مرورا سريعا بمنزلٍ حجري متطاول له حديقة فيها أربع شـجرات نخيل غليظة تنتشر في ظلها عددٌ من الطاولات. وكان البحـر في الجهة الأخـرى. بعد ذلك دخل القطار في نفقٍ غير مسـقوف تحيط به من الجانبين حجارةٌ حمراء وطين، فلم نعد نرى البحر إلا أحيانا، وقد صار سحيقا عند الصخور.

«اشـتريته في پاليرمو»، قالت السيدة الأمريكية[٣٢]. «لم يكن لدينا سـوى ساعة من الزمن على الشاطئ وكان ذلك صباح يوم الأحـد. طلب مني الرجل أن أدفع لـه بالدولار، فأعطيته دولارا ونصف الدولار. إن له صوتا عذبا حقا».

كانـت الحرارة مرتفعة جدا في القطار وفي مقصورة المنامة. لم يكن هناك نسـيم يدخل من النافذة المفتوحة. أسدلت السيدة الأمريكية الستارة، فاختفى البحر الذي كان يطل علينا في بعض الأحيان. على الطرف الآخر، كان هناك زجاجٌ، ثم ممر، ثم نافذة مفتوحة، وخـارج النافذة المفتوحة، كانت هناك أشـجار مُعَفَّرة بالتـراب، وطريق مُعَبَّد، وحقول منبسـطة مـن الكرمة، وتلال حجرية شاحبة وراءها.

ونحن نقترب من مارسيليا[٣٣]، كان الدخان يتصاعد من عدد مـن المداخن العالية. تباطأ القطار ثم سـلك سـكة واحدة إلى المحطة من بين عدد كثير من السـكك. توقف القطار في محطة

(٣٢) تقع مدينة پاليرمو على الساحل الشمالي لجزيرة صقلية [المترجم].
(٣٣) تقع مدينة مارسيليا على الساحل الجنوبي لفرنسا [المترجم].

مارسيليا مدة خمس وعشرين دقيقة، فاشترت السيدة الأمريكية جريدة «ديلي ميل» ونصف زجاجة من ماء إڤيان. مشت قليلا على رصيف المحطة، لكنها بقيت قريبة من سلم العربة لأنه بعدما توقف القطار في مدينة كان مدة اثنتي عشرة دقيقة، غادر من دون أن يعطي إشارة بالمغادرة، فلم تلحق به إلا بالكاد. كانت السيدة الأمريكية تعاني من صعوبة في السمع، لذلك كانت تخشى أن تُعطى إشارات المغادرة فلا تسمعها.

غادر القطار محطة مارسيليا، يخلِّف وراءه شبكة من السكك ودخانَ المصانع والمدينة وميناءها وتلالها الحجرية وشمسا غاربة في الماء. وعند حلول الظلام مر القطار بمنزل ريفي في أحد الحقول وكان يحترق. أُوقفت السيارات على طول الطريق وكانت المفارش والأمتعة من داخل المنزل تنتشر في الحقل. كان عددٌ كبيرٌ من الناس يتفرَّجون على المنزل وهو يحترق. وبعد أن حل الظلام وصل القطار إلى آڤينيون[٣٤]. نزل أناسٌ وصعد آخرون. اشترى الفرنسيون العائدون إلى باريس جرائد ذلك اليوم من دكاكين الصحف. كان الجنود الزنوج يطوفون برصيف المحطة. كانوا يرتدون بذلاتٍ بنّية، وكانوا طويلي القامة، وكانت وجوههم تلتمع تحت المصابيح الكهربائية. كانت وجوههم شديدةَ السواد، وقاماتهم طويلة جدا لا تسمح لهم بالتحديق. غادر القطار محطة آڤينيون وظل الزنوج يلازمون أماكنهم، ومعهم رقيبٌ أبيض قصير.

كان خادم المُترَفين قد دخل مقصورة المنامة، وأخرج الأسِرَّة الثلاثة من داخل الجدار وهيّأها للنوم. ظلَّت السيدة

---

(٣٤) تقع مدينة آڤينيون إلى الشمال الغربي من مدينة مارسيليا [المترجم].

الأمريكية أرِقــة طوال الليل لأن القطار كان ســريعا، وكانت السرعة تُخيفها في الليل. كان سرير السيدة الأمريكية مواليا للنافــذة. كان كناري باليرمو في قفص مغطى بقماش، وبعيدا عن مَهَبِّ الريح في الممر الذي يؤدي إلى حمام المقصورة. كان هناك ضوءٌ أزرق خارج المقصورة، وكان القطار يسير بسرعة كبيــرة طوال الليل، فظلت الســيدة الأمريكيــة يقظة تترقب تحطم القطار.

في الصباح كان القطار يقترب من باريس حين خرجت السيدة الأمريكية من الحمام مُتعافية، متوسطةَ العمر، وأمريكية، مع أنها لم يغمض لها جفنٌ. نزعت القماش عن قفص الطائر وعلقته في الشــمس، ثم قصدت عربة المطعم لتناول الإفطار. عندما عادت إلى مقصورة المنامة، كانت الأسِــرَّة قــد أُعيدت إلى أماكنها في الجدار وتحوَّلت إلى مقاعد، وكان الكناري ينفض ريشه في ضوء الشــمس الآتي من النافذة المفتوحة، وأصبح القطار على مقربة من باريس.

«إنه يحب الشمس»، قالت الســيدة الأمريكية. «وسيُغَرِّد بعد هُنيهة».

نفض الكناري ريشــه ونفشــه بمنقاره. «أنا مغرمةٌ بالطيور»، قالت السيدة الأمريكية. «سآخذه لابنتي الصغيرة. هاهو ذا يغرد الآن». غــرد الكناري وانتصب الريش علــى حناجره، وبعد ذلك أخفض منقاره، وراح ينفش ريشــه مرة أخرى. عبر القطار نهرا واخترق غابة شــديدة التهذيب. مــر القطار ببلدات كثيرة خارج باريس، وكانت تجوبُهــا عرباتُ الترام وتزدحم جدرانها المواجهة

للقطار بدعايات كبيرة لـ: لابيل جاردانيير، دوبونيه، بيرنو[٣٥]. بدا كل شيء مر به القطار كأنه حدث قبل الإفطار. مرت عدة دقائق لم أُصغِ فيها للسيدة الأمريكية التي كانت تتحدث إلى زوجتي.

«هلِ زوجك أمريكي أيضا؟» سألت السيدة زوجتي.

«نعم»، قالت زوجتي. «كلانا أمريكي».

«ظننتُكما إنجليزيين».

«لا، لا».

«ربما لأنني ألبس حَمّالات»، قلت لها. عندما بدأت الحديث كنت أنوي أن أقول «عَلاّقات» لكنني غيرتُها إلى «حَمّالات» قبل أن أتفوَّه بها، وذلك لأحافظ على شخصيتي الإنجليزية[٣٦]. لكن السيدة الأمريكية لم تسمع ما قلت. كانت صَمّاء فعلا. كانت تقرأ حركة الشفاه، لكنني لم أنظر نحوها، بل نحو النافذة. واصلتْ حديثها إلى زوجتي.

«أنا مسرورة جدا لأنكما أمريكيان. فالرجال الأمريكيون هم أفضل الأزواج»، قالت السيدة الأمريكية. «ولهذا غادرنا أوروبا، كما تعلمين. لقد وقعت ابنتي في غرام رجل من فيڤيه». ثم توقفت. «لقد كان كلٌّ منهما يهيم عشقا بالآخر». توقفت مرة أخرى. «وبالطبع، أبعدتُها عنه».

«وهل نسيَتْ الأمر؟».

---

(٣٥) لا بيل جاردانيير (البستانية الحسناء) شركة مقاولات عقارية كبرى في باريس، وهي تأخذ اسمها من لوحة رافائيل سانتي (١٤٨٣ - ١٥٢٠) الشهيرة بهذا الاسم والتي تصور مريم العذراء ومعها طفلان (عيسى المسيح ويوحنا المعمدان [النبي يحيى عند المسلمين])؛ أما دوبونيه وبيرنو فهما من أكبر شركات تصنيع الخمور والمشروبات الروحية في فرنسا [المترجم].

(٣٦) يستخدم الإنجليز كلمة braces للدلالة على حمالة البنطلون، بينما الأمريكيون يستخدمون كلمة suspenders للدلالة على الشيء نفسه [المترجم].

«لا أعتقد ذلك»، قالت السيدة الأمريكية. «لقد امتنعتُ عن الأكل بأنواعه وعن النوم بمُطلَقِه. لقد شـقيتُ وأنا أحاول، لكن لا شيء يثير اهتمامَها. لم تعد تكترث بشيء. لم أستطع أن أتركها تتزوج من أجنبي». ثم توقفت. «قالت لي صديقة مُقَرَّبة ذات مرة إنه لا يوجد أجنبي إطلاقا يصلُح أن يكون زوجا لأمريكية».

أبدت السيدة الأمريكية إعجابها بمعطف زوجتي السفري، وتبيَّن أن السيدة الأمريكية صار لها عشرون سنة وهي تشتري ملابسها من دار الأزياء ذاتها الواقعة في شارع سان أونوريه. كانت الدار تعرف مقاساتها، وكانت إحدى البائعات على معرفة بها وبأذواقها، فتنتقي لها ثيابها وترسلها إلى أمريكا. كانت الثياب تصل إلى مكتب البريد قرب مسكنها في أحد أحياء نيويورك، ولم تكن ضريبة الجمارك باهظة قَط، لأنهم كانوا يفتحون الطرود في مكتب البريد لتخمين قيمة الثياب، فيجدونها بسيطة المظهر، بلا تطريز بالذهب أو زركشات تجعلها غالية الثمن. كانت هناك بائعة أخرى اسمها أميلي قبل البائعة الحالية تيريز. لم تتعامل خلال عشرين سنة سوى مع بائعتين. لكن المصمم ظَلَّ هو نفسه. أما الأسعار فقد ارتفعت. لكن سعر الصرف ساوى هذه بتلك. والآن تعرف دار الأزياء مقاسات ابنتها أيضا. كانت هذه تكبُر، لكن لا يبدو أن مقاساتها ستتغيَّر.

بدأ القطار الآن يدخل باريس. سُوِّيَتْ التحصينات بالأرض، لكن العشب لم يَنْمُ. كانت تصطف على السكك عرباتٌ كثيرة: عربات مطعم وعربات منامة خشبية بنية اللون متوجهة إلى إيطاليا في الخامسة من تلك الليلة، هذا إن كان القطار فعلا سيغادر (كُتب على العربات باريس - روما)؛ وعربات ذات مقاعد على الأسقُف لنقل

المســـافرين من المدينة إلى الضواحي وبالعكس حيث تكتظُّ المقاعد والأسقف بالركاب أحيانا، إذا كانت الأمور لا تزال على هذه الشاكلة، ولا شـــيء يتحرك سوى جدران المنـازل البيـضاء ونوافـذها الكثيرة. لا شيء تَنَاولَ إفطارَه.

«نعَمَ الأزواج الأمريكان»، قالت الســـيدة الأمريكية لزوجتي. كنتُ أُنزل الحقائب. «لا يصحُّ الزواج إلا من رجل أمريكي».

«منذ متى غادرتِ ڤيڤيه؟» سألتْها زوجتي.

«بحلول هذا الخريف سأُكمِل ســنتين. سآخذ هذا الكناري لها، كما تعلمين».

«هل كان الرجل الذي وقعتْ ابنتُك في غرامه سويسريا؟».

«أجل»، قالت السيدة الأمريكية. «وهو ابن عائلة نبيلة في ڤيڤيه. كان يريد أن يصبح مهندســـا. التقيا فـــي ڤيڤيه، وكانا يخرجان معا في نزهات طويلة سيرا على الأقدام».

«أعرف ڤيڤيه»، قالت زوجتي. «لقد قضينا شهر العسل هناك».

«حقـــا؟ ما أروع ذلـــك! لم أكن أتصـــوَّر بالطبع أنها ســـتقع في غرامه».

«نعم، لقد كانت مدينة رائعة»، قالت زوجتي.

«أجل، أَلَم تكن رائعة؟» قالت السيدة الأمريكية. «أين مكثتما؟».

«في فندق التيجان الثلاثة»، قالت زوجتي.

«يا له من فندق رائع وعريق»، قالت السيدة الأمريكية.

«أجـــل»، قالـــت زوجتـــي. «كانـــت غرفتنـــا رائعـــة، وكذلك كان الخريف».

«هل كنتما هناك في الخريف؟».

«أجل»، قالت زوجتي.

مررنا بثلاث عربات وقعت في حادث، فتمزقت أشلاء وغارتْ سُقوفها.

«انظرا»، قلت لهما. «لقد وقع حادث».

نظرت السيدة الأمريكية فرأت العربة الأخيرة وقالت، «هذا ما كنت أخشاه طوال الليل. ينتابني أحيانا حَدْسٌ رهيب بشأن بعض الأمور. لن أسافر في قطار سريع ليلا مرة أخرى. لا بد أن هناك قطاراتٍ أخرى لا تسير بهذه السرعة».

بعد ذلك دخل القطار في ظلام محطة ليون، وعندما توقف هُرع الحمالون إلى النوافذ. ناولتهم حقائبنا من النوافذ، وخرجنا إلى الرصيف الطويل المظلم. وضعت السيدة الأمريكية واحدا من ثلاثة رجال من شركة كوك تحت تصرِّفها، فقال لها أحدهم، «مهلا سيدتي، سأبحث لك عن اسمك».

أحضر الحمال عربة وراح يكدِّس الأمتعة فوقها. ودّعنا أنا وزوجتي السيدة الأمريكية التي وجد الحمّال من شركة كوك اسمها في صفحة مطبوعة بين جملة أوراق مطبوعة، ثم أعاد هذه الأوراق إلى جيبه.

سرنا وراء الحمال والعربة على الرصيف الإسمنتي الطويل بمحاذاة القطار. وفي نهاية الرصيف كانت هناك بوابة، فأخذ رجلٌ عندها التذاكر منا.

كُنّا عائدَين من باريس ليعيش كلٌّ منا في سكن منفصل.

أُنشودةٌ من جبال الألب
[١٩٢٧]

كانت الحرارة مرتفعة في أسفل الوادي برغم الصباح الباكر. أذابت الشمس الثلج عن الزلّاجات التي كنا نحملها وجففت الخشب. كان الوقت ربيعا في الوادي، بيد أن الشمس كانت شديدة الحرارة. كنا نسلك الطريق إلى غالتور(٣٧)، نحمل زلاجاتنا وحقائب الظَّهر. عبرنا فناء كنيسة انتهت فيه مراسم دفنٍ للتَّو. قلت للقس (بالألمانية)، «حيّاك الله» عندما مر بنا وهو يخرج من فناء الكنيسة، فانحنى لنا.

«غريبٌ أن القساوسة لا يتحدثون إليك قط»، قال جون.

«ويظن المرء أنهم يحبون أن يرددوا حيّاكَ الله».

«ولكنهم لا يجيبون»، قال جون.

توقفنا على الطريق ورحنا نراقب القندلفت وهو يهيل التراب الجديد في القبر. كان فلاحٌ ذو لحية سوداء وجزمة جلدية عالية يقف بجانب القبر. توقف القندلفت عن جرف التراب وعدَّل ظهره. أخذ الفلاح ذو الجزمة العالية المجرفة من القندلفت وراح يهيل التراب ويوزِّعه بشكل متساوٍ في القبر كمن يرش السماد في حديقة. بدا هذا المشهد شاذًا في هذا الصباح الساطع من شهر مايو. لم أستطع أن أتصور أن أيا كان قد مات، فقلت لجون:

«تخيل أنك تُدفن في يومٍ كهذا».

---

(٣٧) تقع مدينة غالتور في جنوبي النمسا، وهي قريبة من الحدود السويسرية. كما أنها منتجع شتوي يؤمُّه عشاق رياضة التزلج [المترجم].

«لن يسرَّني هذا».

«على أي حال، لسنا مضطرين إلى ذلك»، قلت له.

تابعنا مسيرنا على الطريق بعد أن تجاوزنا بيوت البلدة نقصد الفندق. كنا قد أمضينا شهرا نتزلج في منطقة سِلْڤريتّا(٣٨)، فصار النزول إلى الوادي أمرا مُستحبّا. كان التزلج في سلڤريتا لا بأس به، لكنه يبقى تزلجا ربيعيا حيث لا يصلح الثلج للتزلج إلا في الصباح الباكر والمساء. أما في بقية الأوقات فتفسده الشمس. لقد تعب كلانا من الشمس، إذ لم نكن نجد منها مهربا. فلا ظلالَ إلا ما تصنعه الصخور أو بجانب الكوخ المُشَيَّد تحت حماية صخرةٍ بجانب نهرٍ من الجليد، وفي الظل كان العرق يتجمَّد في ملابسنا الداخلية. ولم يكن واردا أن نجلس خارج الكوخ بلا نظارات عاتمة. جميلٌ أن تسفع الشمس وجوهنا، لكنها أرهقتنا. إذ لا مجال للراحة تحت الشمس. لذلك كنت مسرورا لأننا تركنا الثلج، كما أن الربيع شارف على النهاية، ولم يعد البقاء في سِلْڤريتّا أمرا واردا. لقد أرهقني التزلج، وطالت إقامتنا. كنت أحس أن طعم الماء المُذاب الذي كنا نشربه يشوبُه طعمٌ قصديري من سقف الكوخ. هذا الطعم شكل جزءا من جملة مشاعري إزاء التزلُّج. كنت سعيدا بوجود أشياء أخرى غير التزلج، وكنت سعيدا بابتعادنا عن ذلك الربيع غير الطبيعي في تلك الجبال الشاهقة لنستقبل هذا الصباح من شهر مايو في الوادي.

---

(٣٨) سِلْڤريتّا منطقة تزلُّج في غالتور وهي تطل على وادٍ سحيق اسمه بازناون الذي يرد ذكره لاحقا في هذه القصة [المترجم].

كان صاحب الفندق يجلس في الرواق، ويتَّكئ بكرسـيه على الجدار. وبجانبه يجلس الطباخ.

«يحيا التزلج»، قال لنا صاحب الفندق (بالألمانية).

«يحيـا»، قلنا لـه، ثم ركنّـا الزلاجات على الجـدار ونزعنا الحقائب عن ظهرَيْنا.

«كيـف كانت الأمـور هناك فـي الأعالي؟» سـألَنا صاحبُ الفندق.

«رائعة، لكن الشمس كانت حامية إلى حدٍ ما».

«أجل، إنها كذلك في هذا الوقت من السنة».

ظل الطباخ جالسا في كرسيه. دخل معنا صاحب الفندق وفتح لنا مكتبـه وأعطانا بريدنا. كانت هناك مجموعة من الرسـائل وبعض الصحف.

«لنتناولْ شيئا من الشراب»، قال جون.

«لا بأس. لِنشربْها في الداخل».

أحضر لنا صاحب الفندق زجاجتين، فشـربناهما ونحن نقرأ الرسائل.

«يجدر بنا أن نشرب المزيد من هذا الشراب»، قال جون. هذه المرة جلبتها فتاةٌ. ابتسمت لنا وهي تفتح الزجاجتين، ثم قالت:

«رسائل كثيرة».

«أجل، إنها كثيرة».

«بصحتكمـا»، قالت ثـم خرجـت حاملة معهـا الزجاجتين الفارغتين.

«لقد نسيت ما طعم الشراب».

«أما أنا فلم أنسَها»، قال جون. «لقد كانت دائما في بالي وأنا في ذلك الكوخ».

«على أي حال، ها هي الآن بين يدينا»، قلت له.

«على المرء ألا يُفْرِطَ في فعل أي شيء كان».

«أجل، لقد مكثنا هناك طويلا».

«طويلا، طويلا»، قال جون. «إن الإكثار من فعل أي شيء يُفْقِدُه نكهته».

اخترقت الشمس النافذة المفتوحة فأشرقتْ على الطاولة، واخترقت زجاجتي الشراب. كانت الزجاجتان ممتلئتين حتى النصف. كان هناك قليلٌ من الرغوة في الزجاجتين، لكنها ليست كثيرة لأن الشراب كان باردا جدا. كان الشراب يتجمد في عنق الزجاجة عندما نَصُبُّه في الكأس الطويلة. نظرتُ من النافذة المفتوحة إلى الطريق البيضاء. كانت الأشجار المحيطة به من جانبيه مُعَفَّرة بالتراب. ووراء ذلك كان هناك حقل أخضر وجدول. كانت تحيط بالجدول بعض الأشجار وتنتصب عليه منشرةٌ للأخشاب ذاتُ ناعورةٍ واحدة. رأيتُ من خلال الجانب المفتوح للمنشرة زندا خشبيا ومنشارا يعلو ويهبط. لم أرَ شخصا يراقبه. كانت أربعة غربان تتخطّى في الحقل الأخضر، بينما كان آخر قابعا في شجرة ويراقب. نهض الطباخ من كرسيه في رواق الفندق وعَبَر الصالة إلى المطبخ. وفي الداخل ظلّت الشمس تشرق من خلال الكأسين على الطاولة. كان جون ينحني إلى الأمام ورأسه يَتَوَسَّدُ ذراعيه.

رأيت من خلال النافذة رجلين يصعدان درجات السلم الأمامية للفندق ويدخلان الحانة. كان أحدهما الفلاح المُلتحي ذا الجزمة

العاليــة، والآخــر كان القندلفت. اختارا طاولة تحــت النافذة. جــاءت الفتاة ووقفت بجانب طاولتهما. لــم يبدُ على الفلاح أنه يراها. كان يجلس ويداه مُسبَلتان على الطاولة. وكان يرتدي زيَّه العسكري العتيق المرقَّع عند المِرفقَيْن.

«ماذا ستشرب؟» سأله القندلفت، فلم يُعِرْهُ الفلاح أي انتباه.

«ماذا ستشرب؟».

«شنابس»، قال الفلاح[٣٩].

«مع ربع لِتر من المشروب الأحمر»، قال القندلفت للفتاة.

جاءت الفتاة بالمشروبين، فشرب الفلاح مشروبه، وراح يسرح بنظــره خارج النافــذة، والقندلفت يراقبه. كان جون قد توسَّــد الطاولة ونام.

دخل صاحــب الفندق وأقبــل على القندلفــت وتحدث معه بالعاميــة والقندلفت يردُّ عليه[٤٠]. ظل الفلاح شــارد النظرات. خرج صاحــب الفندق مــن المقهى فنهض الفــلاح. أخرج ورقة مطوية من فئة عشــرة آلاف كراون مــن محفظة جلدية صغيرة وفتحها. أقبلت عليه الفتاة وسألته:

«مع بعض؟».

«مع بعض»، قال لها.

«دعني أدفع ثمن المشروب»، قال القندلفت.

«مع بعض»، كــرر الفلاح قوله للفتاة. دسَّــت يدها في جيب مئزرهــا، فأخرجت حفنة من النقود وعدَّتهــا. خرج الفلاح من

---

(٣٩) الشنابس: مُسكِر هولندي ثقيل [المترجم].

(٤٠) المقصود بالعامية هنا هي العامية التيرولية الألمانية المحكية في المنطقة الغربية من النمسا وشمالي إيطاليا [المترجم].

البــاب. وما إن خرج حتى عاد صاحــبُ الفندق ثانية إلى المقهى وتحــدث مــع القندلفت. جلس إلــى طاولــة القندلفت وتحدثا بالعامية. بدا الســرور على القندلفت والاشــمئزاز على صاحب الفندق. نهض القندلفت، وكان رجلا صغير الحجم وله شــارب. مد رأسه من النافذة وعايَنَ الطريق.

«هاهو يدخل»، قال القندلفت.

«في اللوفين؟»[٤١].

«نعم».

تجاذبــا أطراف الحديث ثانية، ثــم أقبل صاحب الفندق إلى طاولتنا. كان صاحب الفندق رجلا طويلا ومُسنّا. نظر إلى جون وهو يغط في نومه، وقال:

«إنه مرهَقٌ جدا».

«أجل، فقد استيقظنا باكرا».

«هل تريدان أن تأكلا قريبا؟».

«في أي وقت»، قلت له. «ماذا لديكم؟».

«أي شيء تريدانه. ستُحضر لكما الفتاة قائمة المأكولات».

جاءت الفتاة بالقائمة، فاســتيقظ جون. كانــت القائمة مكتوبة بالحبر على ورقة، وكانت الورقة محشوَّة في صفيحة من الخشب.

«هذه هي قائمة الطعام»، قلــت لجــون، فنــظر إليــها. وكــان لا يزال يُغالب النعاس.

«ألا تشرب معنا؟» قلت لصاحب الفندق، فجلس وقال، «هؤلاء الفلاحون وحوش».

---

(٤١) اسم فندق [المترجم].

«لقد رأينا ذلك الفلاح في جنازة».

«كانت تلك جنازة زوجته».

«أوه».

«إنه متوحش. كل هؤلاء الفلاحين وحوش».

«ماذا تقصد؟».

«لن تصدق. لن تصدق ما قد حدث توا لذلك الرجل».

«قل لي».

«لن تصدق». تحدث صاحب الفندق مع القندلفت. «تعال إلى هنا يا فرانتس». جاء القندلفت حاملا زجاجة مشروبه الصغيرة وكأسه.

«لقد عاد السيدان لتوِّهما من فيزبادِنَرهوته»[٤٢]، قال صاحب الفندق، فصافحنا القندلفت.

«ماذا تحب أن تشرب؟» سألتُ القندلفت.

«لا شيء»، قال فرانتس، مومِئا بإصبعه.

«ربع لتر آخر؟».

«لا بأس».

«هل تفهم العامية؟» سألني صاحب الفندق.

«لا».

«ما الموضوع؟» سألني جون.

«سيحكي لنا عن الفلاح الذي كان يهيل التراب في القبر عندما دخلنا البلدة».

«لن أفهمها مهما كانت»، قال جون. «ستمرُّ بي مرور الكرام».

---

(٤٢) فيزبادِنَرهوته: اسم نزل صغير في منطقة تيرول النمساوية [المترجم].

«اليـــوم أحضر ذلك الفـــلاح زوجته ليدفنهـــا»، قال صاحب الفندق، «وقد ماتت في شهر نوفمبر».

«بل في ديسمبر».

«لا فرق. إذن، ماتت في ديسمبر، فأعلَمَ الجهات المعنية».

«في الثامن عشر من ديسمبر»، قال القندلفت.

«على أي حال، لم يســـتطع أن يُحْضِرها للدفن إلى أن انقشع الثلج».

«فهو يســـكن على الطرف الآخر من پازناون»، قال القندلفت. «لكنه ينتسب إلى هذه الأبرشية».

«ألَم يكن بإمكانه قط أن يأتي بها إلى هنا؟» سألتُه.

«لا. فهو لا يســـتطيع أن يأتي من مســـكنه إلـــى هنا إلاّ على الزلاّجـــات حتى يذوب الثلج. لذلك جـــاء بها اليوم ليدفنها، لكن عندمـــا رأي القسُّ وجهَهـــا لم يُرد أن يدفنهـــا. والآن أكْمِلْ أنت القصة»، قال للقندلفت. «وتحدَّثْ بالألمانية لا بالعامية».

«كان أمـــر القـــس مثـيرا للاســـتغراب والضحـــك»، قال القندلفت. «فبحســـب التقـرير الموجَّه إلـــى الكُميونة، ماتت الزوجة بسبب مشكلة في القلب. كنا نعلم أنها تعاني من مشكلة في القلب، وكان يُغمى عليها أحيانا في الكنيســـة. ثم مر وقت طويل لم تعد تأتي فيه إلى الكنيســـة، لأنها لم تكن تقوى على صعود الدرج. وعندما كشف القس عن وجهها، سأل أولز، هل عانـــت زوجتك كثيرا؟ فقال أولـــز، لا. لقد وجدتُها ميتة على سريرها.

نظر القس إليها ثانية، فلم يُعجبه ما رأى.

- كيف صار وجهها هكذا؟

- «لا أعرف»، قال أولز.

- «يجدر بك أن تعرف»، قال له القس، ثم دثَّرها بالبطانية مرة أخرى. لم يقل أولز شيئا. نظر إليه القس، فنظر إلى القس وقال له، تريد أن تعرف؟.

- «يجب أن أعرف»، قال له القس.

«هنا تحلو القصة»، قال صاحب الفندق. «استمعا إليها. أكمِل، يا فرانتس».

- حسنٌ، قال أولز، عندما ماتت قدمتُ التقرير إلى الكُميونة، ثم مدَّدْتُها على قطعة حطب كبيرة في السقيفة. وعندما بدأت أستخدم هذه القطعة وجدت أنها قد تَيَبَّست، فأسندتُها وقوفا على الجدار. كانت فاغرة الفم عندما دخلتُ السقيفة لأقطِّع قطعة الحطب، فعلَّقتُ المصباح في فمها.

- ولماذا أقدمتَ على ذلك؟ سأله القس.

- لا أعرف، قال أولز.

- هل كررتَ ذلك كثيرا؟

- كلما دخلت للعمل في السقيفة ليلا.

- هذا خطأٌ كبير، قال له القس. هل كنت تحب زوجتك؟

- أجل، كنت أحبها، قال أولز. كنت أحبها بلا شك.

«هل فهمتما القصة من بدايتها إلى نهايتها؟» سألنا صاحب الفندق. «هل فهمتما ما جرى لزوجته؟».

«لقد استمعت إليها».

«ألا نأكل؟» سألني جون.

«اطلـــب أنـــت»، قلت له. «هـــل تصدِّق تلك القصة؟» ســـألتُ صاحبَ الفندق.

«بالتأكيد، أصدقها»، قال لي. «هؤلاء الفلاحون وحوش».

«إلى أين ذهب الآن؟».

«ذهب ليشرب في اللوفين، فندق زميلي».

«لم يكن يريد أن يشرب معي»، قال القندلفت.

«بل لم يكن صاحبُنا يريد أن يشرب معي، بعد أن سمع الأخبار عن زوجته»، قال صاحب الفندق.

«اسمع»، قال جون. «ألا نأكل؟».

«لا بأس»، قلت له.

سباق التتابع
[١٩٢٧]

كان وِلْيَم كامبل في سباق تتابع مع برنامج منوعات ساخر منذ أن كان في پِتسبيرغ(٤٣). في سباق التتابع للدراجات الهوائية، ينطلق المتسابقون الواحد بعد الآخر ضمن فواصل متساوية. ينطلقون بسرعة كبيرة جدا لأن السباق عادة ما يقتصر على مسافة قصيرة، وإن أبطؤوا، يتمكن المتسابق الذي يحافظ على ذات الوتيرة من تعويض المسافة التي كانت تفصله زمن الانطلاق. وبمجرد اللحاق بأحد المتسابقين وتجاوزِهِ يخرج من السباق، وعليه أن يترجَّل عن دراجته ويغادر المضمار. وإذا لم يتم اللحاق بأي من المتسابقين، فإن الفائز في السباق هو من يقطع أطول مسافة. وفي معظم سباقات التتابع، إذا كان هناك متسابقان فقط، فإن أحد المتسابقَين يتم اللحاق به ضمن مسافة ستة أميال. أما وليم كامبل فقد لحق به برنامج المنوعات الساخر في كانزس سِتي(٤٤).

كان وليم كامبل يأمل أن يحافظ على تقدم طفيف على برنامج المنوعات إلى أن يبلغوا شاطئ المحيط الهادئ. كان يتقاضى أجرا ما دام متقدما على البرنامج. وعندما لحق به البرنامج، كان كامبل طريح الفراش. كان في فراشه عندما دخل مدير الفرقة

---

(٤٣) پتسبيرغ: من أكبر المدن في ولاية پنلسلڤانيا الأمريكية [المترجم].

(٤٤) هَناك مدينتان في الولايات المتحدة تحملان هذا الاسم، واحدة في ولاية كانزس، والثانية في ولاية مونتانا. ولا نعرف بالضبط أيهما يعني همنغواي. فالمسافة بين پتسبيرغ وكانزاس ستي في ولاية كانزس أقصر بكثير من تلك التي بين پِتسبيرغ وكانزاس ستي في ولاية مونتانا [المترجم].

إلى غرفته، وبعد أن غادرها المدير قرر أن يظل في فراشه. كان الطقس في كانزس ستي باردا جدا، لذا لم يكن متلهِّفا للخروج. لــم تُعجبه كانزس ســتي. تناول زجاجة من تحت الســرير وراح يكرع. كان المشروب نافعا لمعدته. أما السيد تيرنَر، مدير الفرقة، فقد رفض أن يشرب.

كان في لقاء وليم كامبل مع الســيد تيرنر شــيءٌ من الغرابة. طرق الســيد تيرنر الباب، فــأذِن له كامبل بالدخــول. وعندما دخل السيد تيرنر إلى الغرفة، شاهد ملابس ملقاة على كرسي، وحقيبةَ ملابس مفتوحة، وزجاجة مشــروب على كرسي بجانب السرير، وشخصا يتدثَّر تماما بالشراشف.

«سيد كامبل»، قال له تيرنر.

«لا يمكنــك أن تفصلني من العمل»، قال وليم كامبل من تحت الأغطية. كـان الـجو تحــت الأغطـية دافئا، حـميما، أبـيض. «لا تستطيع أن تطردني لأنني ترجلت عن دراجتي».

«أنت ثَمِل»، قال السيد تيرنر.

«إي، نعــم»، قال وليم كامبل، وكان يوجه حديثه مباشــرة إلى الشرشف، ويتحسَّس نسيجه بشفتيه.

«أنت أحمق»، قال له السيد تيرنر، ثم أطفأ المصباح الكهربائي الذي ظلَّ مُشــتعلا طوال الليل. الســاعة الآن العاشرة صباحا. «أنت أحمقٌ فاقد الوعي. متى وصلت إلى هذه المدينة؟».

«وصلــت إلى هــذه المدينة الليلة الماضية»، قــال وليم كامبل، متحدثا من خلال الشرشف. لقد اكتشف متعة الحديث من خلال الشراشف. «هل سبق لك أن تحدثتَ من خلال شرشف؟».

«كُفَّ عن المزاح، فلست أجدك مُسلِّيا».
«ولا أنا أمزح. بل أتحدث من خلال شرشف».
«لا خلاف على ذلك».
«يمكنك الانصراف الآن، يا سيد تيرنر. فأنا لم أعد موظفا لديك».
«هذا ليس سرا».
«أنا أعرف الكثير»، قال وليم كامبل، ثم أزاح الشرشف عن وجهه ونظر إلى السيد تيرنر. «إني أعرف ما يكفيني، لذلك ليس لدي مانع على الإطلاق من النظر إليك. هل تريد أن تسمع ما أعرف؟».
«لا».
«حسنٌ»، قال وليم كامبل، «لأنني في الحقيقة لا أعرف أي شيء على الإطلاق. كنت أتكلم فقط». غطى وجهه بالشرشف ثانية. «إني أحب أن أكون هكذا تحت شرشف»، قال كامبل. كان السيد تيرنر يقف بجانب السرير. كان رجلا متوسط العمر، ذا كرش كبير، ورأس أصلع، وكان كثير المشاغل. «عليك أن تتوقف هنا، ياَ بِلي، للعلاج»، قال السيد تيرنر[٤٥]. «سأرتب لك الأمر إن شئتَ ذلك».
«لا أريد علاجا»، قال وليم كامبل. «لا أريد علاجا البتّة. أنا في تمام السعادة. لقد كنت في تمام السعادة طوال حياتي».
«منذ متى وأنت على هذه الحال؟».
«وأي سؤال هذا؟» قال وليم كامبل وكان يشهق ويزفر من خلال الشرشف.

---

(٤٥) بِلي، بِل، وِلي، وِل، كل هذه أسماء تصغير مشتقة من اسم وليم [المترجم].

«منذ متى وأنت ثمل، يا بِلي؟».

«ألم أقُم بعملي؟».

«بالتأكيد، لكنني كنت أسألك منذ متى وأنت ثمل، يا بِلي».

«لا أعرف. لكنني استعدتُ ذئبي»، قال وهو يلامس الشرشف بلسانه. «وهو ملكي منذ أسبوع».

«خَسِئتَ».

«لا. ذئبي العزيز. كلما تناولتُ كأسا، غادر الغرفة. إنه لا يطيق المشروبات. مسكين». كان لسانُه يلحس الشرشف في حركة دائرية دائبة. «إنه ذئبٌ محبوب، كما كان من قبل». أغمض وليم كامبل عينيه وأخذ نفسا عميقا.

«عليك بالعلاج، يا بِلي»، قال له السيد تيرنر. «لن تكرهَ كيلي، ولا بأس عليك منها»[٤٦].

«كيلي»، قال وليم كامبل. «إنها ليست بعيدة عن لندن». أغمض عينيه وفتحهما، وراح يداعب الشراشف برموشه. «أنا مغرمٌ بالشراشف»، قال ثم تطلَّع إلى السيد تيرنر.

«اسمع. هل تعتقد أنني ثمل؟».

«أنت ثملٌ حقا وحقيقة».

«لا، لستُ ثملا».

«أنت ثمل وتهذي».

«لا»، قال وليم كامبل، ولفَّ رأسه بالشرشف، ثم قال، «شرشفي العزيز»، ونفخ فيه نفخا رقيقا. «شرشفي الجميل. أنت تحبني، أليس كذلك، أيها الشرشف؟ هذا إيجاره مدفوعٌ مع إيجار الغرفة.

---

(٤٦) يبدو أن كيلي هو اسم مَصَحَّة للاستشفاء من الإدمان على المخدرات والكحول [المترجم].

تماما كما في اليابان. لا». ثم توجَّه إلى السيد تيرنر قائلا، «اصغ إليَّ، يا بِلي، يا عزيزي المُتزحلِق بلي. لك عندي مفاجأة. أنا لستُ ثملا، بل مُخَدَّرٌ حتى مُقلتيَّ».

«لا»، قال السيد تيرنر.

«انظر». ثم شـمَّر عن سـاعده الأيمن وأخرجه من تحت الشرشـف. «انظر إلى هذا». كانت تنتشـر على ساعده من فوق الرسغ حتى المرفق دوائر زرقاء صغيرة في وسطها ثقوبٌ صغيـرة داكنة الزُّرقـة. كانت الدوائر تـكاد تلتصق بعضها ببعض «هذا هو التطور الجديـد»، قال وليم كامبل. «لم أعد أشـرب إلا قليلا هذه الأيام، ولأجل إخراج الذئب من الغرفة فقط».

«هناك علاجٌ لهذا»، قال تيرنر الملقب «بِلي المتزحلق».

«لا»، قال وليم كامبل. «لا يوجد علاج لأي شيء كان».

«لا يمكنك أن تستسـلم هكذا ببسـاطة، يا بلي»، قال السيد تيرنر ثم جلس على السرير.

«إيّاكَ وشرشفي»، قال له وليم كامبل مُحذِّرا.

«لا ينبغي لك أن تستسلم وأنت في سنِّك هذه، ولا أن تتعاطى هذه الأشياء فقط لأنك وقعت في ورطة».

«أعلم أن هذا مخالفٌ للقانون، إن كان هذا ما تقصد».

«لا، بل قصدت أنه عليك أن تقاوم حتى النهاية».

داعب بلي كامبل الشرشف بشـفتيه ولسانه، وخاطبه قائلا، «شرشـفي العزيز». ثم قال، «أسـتطيع أن أقبِّل هذا الشرشف وأرى من خلاله في آن معا».

«دعْكَ من الشرشـف. لا يمكنك أن تتعاطى هذه الأشـياء، يا بلي».

أغمض وليم كامبل عينيه. بدأ يشعر بغثيان طفيف. كان يعلم أن هذا الغثيان سيزداد باطراد، من غير أن يجد له مُغيثا في مرضه ما لم يُعالَج. عند هذه النقطة بالذات اقترح على السيد تيرنر أن يكون نديمه في الشرب، لكن هذا أبى ذلك. أخذ وليم كامبل جرعة من الزجاجة. كانت هذه الجرعة بمثابة إجراء مؤقت. راح السيد تيرنر يراقبه. لقد طال مكوث السيد تيرنر في هذه الغرفة أكثر مما يجب، فهو رجلٌ كثير المشاغل. ومع أنه كان يتعامل يوميا مع أناسٍ يدمنون الممنوعات، بيد أنها كانت تُرعبه. كان مولعا بوليم كامبل ولم يكن يرغب في التخلّي عنه. كان يشعر بالأسى تجاهه، وكان يعتقد أن العلاج قد يفيده. كان يعلم أن في كانزس ستي توجد علاجات جيدة. لكن عليه أن يمضي في سبيله، لذلك هبَّ واقفا.

«اسمع يا بِلي»، قال وليم كامبل. «أريد أن أقول لك شيئا. أنت تُدعى «بلي المتزحلق» لأنك تستطيع أن تنساب بسلاسة. أما أنا فأُدعى «بلي» فقط لأنني لا أستطيع أن أنساب إطلاقا. لا أستطيع أن أنسابَ يا بلي. لا أستطيع أن أنساب. دائما أعْلَقُ في مكاني. كلما حاولت، أعلق في مكاني». ثم أغمض عينيه. «لا أستطيع أن أنساب، يا بلي. ما أفظع ألاّ يستطيع المرء أن ينساب!».

«أجل»، قال تيرنر الملقب ببِلي المتزحلق.

«أجل ماذا؟» سأله وليم كامبل وهو يتطلع إليه.

«كنت تقول...».

«لا»، قـــال وليم كامبل. «لم أكن أقول شـــيئا. لا بد أنه حصل خطأ».

«كنت تتحدث عن الانسياب».

«لا. هذا مســـتحيل. لكن استمع إلي يا بلي وسأقول لك سرّا. لازِمْ الشراشف يا بلي. وابتعدْ عن النساء والخيول، و.....، و....».

ثم توقف. «وعن النسور، يا بلي. إن كنت تحب الخيول، فلن تنال إلاّ رَوْثَها. وإن كنت تحب النســـور، فلن تنال إلاّ ذَرْقَها». ثم توقف ودسَّ رأسه تحت الشرشف.

«علـــي أن أمضـــي فـــي ســـبيلي»، قال تيرنـــر الملقـــب بِبِلي المتزحلق.

«وإن كنت تحب النســـاء، فلن تنال إلا المخـــدرات»، قال وليم كامبل. «وإن كنت تحب الخيول...».

«نعم، لقد تحدثتَ عن هذا».

«عم تحدثتُ؟».

«عن الخيول والنسور».

«آه، نعم. وإن كنت تحب الشراشف»، نفث على الشرشف نفثة من نَفَسِه، ثم داعبه بأنفه، «لا أعرف ماذا أقول عنها. لقد بدأت أعشقها لِتَوّي».

«يجـــب أن أمضي في ســـبيلي»، قال الســـيد تيرنـــر، «فلديّ مشاغل كثيرة».

«لا بأس»، قال وليم كامبل. «فكل منا ماضٍ إلى سبيله».

«عليّ أن أذهب».

«حسنٌ، اذهب».

«هل أنت بخير يا بلي؟».

«لم أشعر يوما بسعادة كهذه».

«هل أنت على ما يُرام؟».

«أنـــا على ما يُرام. امضِ أنت في ســبيلِك. ســأرقد أنا هنا هُنيهة، وسأنهض عندما ينتصف النهار».

لكن عندما عاد الســيد تيرنــر إلى غرفة وليــم كامبل عند انتصاف النهار، كان وليم كامبل نائما، ولأن الســيد تيرنر يعرف من أين تُؤكل الكتف في هذه الدنيا، قرر ألا يوقظه.

اليوم هو الجمعة
[١٩٢٧]

ثلاثة من الجنود الرومان يشربون في أحد المقاهي في الحادية عشرة ليلا. هناك براميل تحيط بالجدار. يقف وراء المنضدة الخشبية بائع مشروبات يهودي. الجنود الرومان الثلاثة في حال من اللهو إلى حد ما.

الجندي الروماني الأول: هل جربت الأحمر؟

الجندي الروماني الثاني: لا، لم أجربه.

الجندي الروماني الأول: يجدر بك أن تجربه.

الجندي الروماني الثاني: حسن، يا جورج، ستكون لنا مع الأحمر جولة.

بائع المشروبات اليهودي: تفضلوا، أيها السادة. سينال إعجابكم. (يضع إبريقا من الفخار كان قد ملأه من أحد البراميل) تفضلا قليلا من المشروب الرائع.

الجندي الروماني الأول: خذ منه جرعة. (يلتفت إلى الجندي الروماني الثالث المتكئ على أحد البراميل) ماذا ألمّ بك؟

الجندي الروماني الثالث: ألمّ في معدتي.

الجندي الروماني الثاني: لأنك كنت تشرب ماء.

الجندي الروماني الأول: جرب الأحمر.

الجندي الروماني الثالث: لا أستطيع شرب المشروب اللعين، لأنه يسبب لي حموضة في المعدة.

الجندي الروماني الأول: لقد طالت إقامتك هنا.

الجندي الروماني الثالث: وكأني لا أعرف ذلك!

الجندي الروماني الأول: اسمع، يا جورج، ألا يمكنك أن تجد شفاء لمعدة هذا السيد؟

بائع المشروبات اليهودي: إنه موجود هنا.

(يتذوق الجندي الروماني الثالث الكأس التي أعدها له بائع المشروبات)

الجندي الروماني الثالث: ويحك، أوضعت فيه بعر أباعر؟

بائع المشروبات اليهودي: اشربه، أيها الملازم، وسيشفيك في الحال.

الجندي الروماني الثالث: لا بأس، فلن يصيبني أسوأ مما أصابني.

الجندي الروماني الأول: جرب حظك. لقد شفاني جورج منذ أيام.

بائع المشروبات اليهودي: لقد كنت في وضع بائس، أيها الملازم. وأنا أعلم ما يشفي المعدة المريضة.

(يشرب الجندي الروماني الثالث الكأس دفعة واحدة)

الجندي الروماني الثالث: يا إلهي (يكشر تكشيرة).

الجندي الروماني الثاني: ذلك الإنذار الكاذب!

الجندي الروماني الأول: لا أعرف، حقيقة. لقد كان في غاية السرور في مكانه اليوم.

الجندي الروماني الثاني: لماذا لم ينزل عن صليبه؟

الجندي الروماني الأول: لم يكن راغبا في ذلك. ليست هذه لعبته.

الجنـــدي الروماني الثاني: هات لي شـــخصا لا يريد أن ينزل عن صليبه.

الجندي الروماني الأول: تالله إنك لا تعرف شـــيئا عن الأمر. اسأل جورج هناك. هل كان يريد أن ينزل عن صليبه، يا جورج؟

بائع المشـــروبات اليهودي: الحقيقة أيها الســـادة أنني لم أكن هناك. هذا أمر لا شأن لي به.

الجندي الروماني الثاني: أما أنا فأقول لكم إني رأيت الكثيرين منهم، هنا وفي أماكن أخرى عديدة. إن استطعتم أن تدلوني على واحـــد لا يريد أن ينزل عـــن صليبه حين يحين الأوان، أكرر حين يحين الأوان، فأنا مستعد للصعود معه.

الجندي الروماني الأول: ظننته كان مسرورا حيث هو اليوم.

الجندي الروماني الثالث: لقد كان على ما يرام.

الجنـــدي الروماني الثاني: أنتـم تجهلـــون ما أتحـدث عنه. لا أجادلكـــم إن كان بخير أم لا. أنا أتكلم عن اللحظة التي يحين فيها الأوان. فعندما تبدأ المســـامير تخترق أجسادهم، فلن تجد واحدا لا يتزحزح.

الجندي الروماني الأول: ألم تتابع الأمر، يا جورج؟

بائـــع المشـــروبات اليهـــودي: لا، فهـــذا أمر لا يعنينـــي، أيها الملازم.

الجندي الروماني الأول: لقد أدهشني سلوكه.

الجنـــدي الروماني الثالث: ما لا أطيقه هو دق المســـامير في أجسادهم. ولابد لهذا الأمر أن يعاودك لينغص عليك عيشتك.

الجنـــدي الرومانـــي الثاني: بـــل الأنكى من ذلـــك هو عندما

يشــرعون في رفع المحكومــين. (يرفع راحتي يديــه كأنه يرفع محكومــا) عندما يشــدهم الثقل إلى الأســفل. عندها يلاقون الأمرين.

الجنــدي الرومانــي الثالث: لا يســتطيع بعضهــم التحمل، فيشفقون مما هم فيه أيما إشفاق.

الجنــدي الرومانــي الأول: وكأني لم أرهــم! لقد رأيت منهم كثيرين. لكن في الحقيقة، كان صاحبنا اليوم في مكانه لا يجزع ولا يهتز له خاطر.

(يبتسم الجندي الروماني الثاني لبائع المشروبات اليهودي)

الجنــدي الروماني الثاني: أنت، أيهــا الفتى، واحد من أتباع المسيح المواظبين.

الجنــدي الروماني الأول: تفضل واســخر من صاحبك هذا. لكنــي أريدك أن تســتمع إلي وأنا أقص عليك خبــرا. لقد كان صاحبنا اليوم في مكانه لا يجزع ولا يهتز له خاطر.

الجندي الروماني الثاني: ما رأيكم في مزيد من المشروب؟

(يتطلع بائع المشروبات تطلع متلهف. يجلس الجندي الروماني الثالث مطأطئ الرأس، وعلامات التردي بادية عليه)

الجندي الروماني الثالث: أنا لا أريد المزيد.

الجندي الروماني الثاني: لنا نحن الاثنين فقط، يا جورج.

(يضع بائع المشــروب إبريقا من المشــروب أصغر حجما من سابقه، ثم ينكب على المنضدة الخشبية أمامه)

الجندي الروماني الأول: هل رأيت صاحبته؟[٤٧].

---

(٤٧) الإشــارة هنا إلى البغي التائبة، مريم المجدلية، التي يعتقد المســيحيون أنها لازمت المسيح أثناء صلبه، وأحد الذين شهدوا دفنه، وقيامته من القبر [المترجم].

الجندي الروماني الثاني: ألم أكن أقف بجانبها؟

الجندي الروماني الأول: إنها مليحة المظهر.

الجندي الروماني الثاني: لقد عرفتها قبله. (٤٨) (ثم يغمز بعينه لبائع المشروب)

الجندي الروماني الأول: كنت أراها هنا وهناك في المدينة.

الجندي الروماني الثاني: كان لديها الكثير، لكنه لم يكن فأل خير لها.

الجندي الروماني الأول: إنه رجل عاثر الحظ. لكنه بدا لي اليوم لا جزوعا ولا هلوعا.

الجندي الروماني الثاني: ترى، ماذا حل بشلته؟ (٤٩).

الجندي الروماني الأول: لقد انفضوا عنه، ولم تصمد معه سوى النساء.

الجندي الروماني الثاني: لقد كانوا عصبة من الرعاديد الجبناء، فعندما رأوه يعلق على صليبه، نفضوا أيديهم منه.

الجندي الروماني الأول: وحدهن النساء صمدن.

الجندي الروماني الثاني: أجل، لقد صمدن.

الجندي الروماني الأول: هل رأيتني وأنا أخزه برمحي العتيق؟

الجندي الروماني الثاني: سيأتيك يوم تقع فيه في ورطة جراء ذلك.

الجندي الروماني الأول: كان هذا أقل ما يمكنني أن أفعله به. لكن الحقيقة أنه بدا لي اليوم صامدا لا يتزعزع.

---

(٤٨) هنا يعزف همنغواي على الوتر التوراتي لكلمة «عرف» التي تعني «جامع» [المترجم].
(٤٩) الإشارة هنا إلى الحواريين، أو تلامذة المسيح، الاثني عشر [المترجم].

بائع المشروبات اليهودي: تعلمون، أيها السادة، أنه يجب أن أغلق المحل.

الجندي الروماني الأول: أمهلنا جولة أخرى.

الجنـــدي الروماني الثاني: ما الفائدة؟ هذا المشـــروب لن يأتيك منه نفع. هيا بنا، دعنا نذهب.

الجندي الروماني الأول: جولة واحدة فقط.

الجندي الروماني الثالث: (ينهض عن البرميل) لا، هيا بنا، دعونا نذهب. فأنا في جحيم من أمري.

الجندي الروماني الأول: جولة واحدة فقط.

الجندي الروماني الثاني: لا، هيا بنا. إننا سنمضي. طابت ليلتك، يا جورج. سجلها على الحساب.

بائع المشروبات اليهودي: طابت ليلتكم، أيها السادة. (ينتابه شيء من القلق) ألا تستطيع أن تدفع لي جزءا من الحساب؟

الجندي الروماني الثاني: مـــاذا دهاك، يا جورج؟ نقبض رواتبنا يوم الأربعاء.

بائع المشروبات اليهودي: لا بأس، أيها الملازم. طابت ليلتكم، أيها السادة.

(ينصرف الجنود الرومان الثلاثة خارجين إلى الشارع).

(في الشارع)

الجندي الروماني الثاني: إن جورج يهودي كغيره مـن اليهود(٥٠).

---

(٥٠) تجدر الإشارة هنا إلى أن الجندي الروماني الثاني يستخدم كلمة «كايك» العامية الأمريكية، وهي تعبير ذم وقدح للإشـارة إلى اليهودي، وقد يكون لاستخدام همنغواي هذه الكلمة العصرية دلالة تاريخية ما، على شـاكلة ما فعله المسـرحي الفرنسـي جان آنويه في عصرنة كلاسيكيات المسرح اليوناني، أو ما فعله المخرج المصري يوسف شاهين في فيلمه «المصير» حين جعل ابن رشد يتكلم العامية المصرية (وليس اللهجة القرطبية أو العربية الفصيحة) [المترجم].

الجندي الروماني الأول: بل هو شخص رائع.

الجندي الروماني الثاني: الكل يبدو رائعا في نظرك الليلة.

الجندي الروماني الثالث: هيا بنا، دعونا نعد إلى الثكنة. إنني في جحيم من أمري.

الجندي الروماني الثاني: لقد طالت إقامتك هنا.

الجندي الروماني الثالث: ليس هذا فقط، بل أشعر بأنني في جحيم من أمري.

الجندي الروماني الثاني: بل كل ما في الأمر أنه طالت إقامتك هنا.

قصة عادية
[١٩٢٧]

وهكــذا أكل برتقالة ومج بذورها ببطء. كان الثلج في الخارج يتحــول إلى مطر. في الداخل لــم تكن المدفأة الكهربائية تصدر أي حرارة، فنهض من منضــدة الكتــابة، وجلس على المدفــأة. ما أروعها! هذه، أخيرا، هي الحياة.

تنــاول برتقالة أخرى. في باريس البعيدة تمكن ماســكار من هزيمــة داني فراش هزيمة نكــراء في الجولــة الثانية [٥١]، في بلاد ما بين النهرين البعيدة نزل عشــرون قدما من الثلج. وعلى الطرف الآخر للعالم في أســتراليا النائيــة كان لاعبو الكريكت الإنجليز يسنون عصيهم. هنا تتجلى الرومانسية.

قرأ أن عشــاق الفن والأدب اكتشفوا مجلة «فورم» [المنتدى]. إنها دليل الأقلية المفكرة، وفيلسوفها، وصديقتها. قصص قصيرة جديرة بالجوائز، هل سيكتب مؤلفوها أفضل الكتب التي تتصدر قائمة المبيعات في المستقبل؟

لا شك أنك ستجد متعة في هذه الحكايات الشعبية الأمريكية الأليفة، في هذه النتف المقطوفة من الحياة الواقعية، سواء أكانت في مزرعة مفتوحة، أم في مسكن مزدحم، أم في بيت مريح، هذه النتف التي يسري في أعماقها تيار فكاهي ظريف.

عليّ أن أقرأها، قال في نفسه.

تابع القراءة. أولاد أولادنا؟ ما بهم؟ أي منهم؟ يجب أن تكتشف

---

(٥١) إدوار ماســكار: ملاكــم فرنســي، بينمــا داني فــراش (١٨٩٧ - ١٩٦١) ملاكــم أمريكي [المترجم].

وســـائل جديدة لإيجاد مكان لنا تحت الشــــمس. هل سيتم ذلك بالحرب أم بالوســـائل العلمية؟ أم سيتعين علينا جميعا أن نهاجر إلى كندا؟

اعتقاداتنا الراسخة، هل سيزعزعها العلم؟ حضارتنا، هل هي أقل رقيا من الأنظمة القديمة؟

وفي هذه الأثناء، كانت فؤوس حاطبي أشـــجار الصمغ تهوي مدوية في أدغال يوكاتان الماطرة النائية[٥٢].

مـــاذا نريد؟ أبطـــالا أم رجالا متحضرين؟ إليكـــم جويس [٥٣]، إليكم الرئيس كولدج. [٥٤]، بأي نجم يجب على طلاب جامعاتنا أن يقتـــدوا؟ لدينا جاك بريتـــون [٥٥]، ولدينا الدكتور هنري ڤان دايك [٥٦]، هل يمكن الجمع بين هذين الاثنين؟ إليكم يونغ ستربلنغ[٥٧].

وماذا عـــن بناتنا اللواتـــي يتعين عليهن أن يســـبرن الأعماق بأنفسهن؟ نانسي هوثورن مضطرة إلى أن تسبر الأعماق وحدها في بحر الحياة [٥٨]، فهي تواجه المشـــكلات التي تواجهها أي فتاة في الثامنة عشرة بشجاعة وحكمة.

---

(٥٢) تمتد شبه جزيرة يوكاتان من الجنوب الشرقي في المكسيك إلى بليز وغواتيمالا، وقبل قرون من وصول المستعمرين الإسبان إليها في بداية القرن السادس عشر، كانت يوكاتان مهدا لحضارة المايا العظيمة [المترجم].

(٥٣) جيمـــس جويـــس (١٨٨٢ - ١٩٤١): من أكبر عمالقة الأدب في القرن العشـــرين، إيرلندي الأصل [المترجم].

(٥٤) كالڤن كولدج هو الرئيس الثلاثون للولايات المتحدة (١٩٢٣ - ١٩٢٩) [المترجم].

(٥٥) جاك بريتون (١٨٨٥ - ١٩٦٢): ملاكم أمريكي [المترجم].

(٥٦) د. هنري ڤان دايك (١٨٥٢ - ١٩٣٣) : واعظ، ومرب، وكاتب أمريكي، عمل أيضا أســـتاذا للأدب الإنجليزي في جامعة برنســـتن (١٨٩٩ - ١٩٢٣)، وســـفيرا للولايـــات المتحدة في هولندا (١٩١٣ - ١٩١٦) [المترجم].

(٥٧) يونغ ســـتربلنغ (١٩٠٤ - ١٩٣٣): ملاكم أمريكي من الوزن الثقيل، قتل في حادث ســـيارة، بينما كان ذاهبا لزيارة زوجته ومولودهما الجديد في المستشفى [المترجم].

(٥٨) لم أعثر على ذكر لهذه الشـــخصية في المراجع والموســـوعات، وأغلب الظن أنها شـــخصية خيالية، أو ربما شخصية عثر عليها الراوي (همنغواي) في الكتيب الذي بين يديه [المترجم].

إنه كتيب رائع.

هــل أنت فتاة في الثامنة عشــرة؟ إليك جان دارك [٥٩]، إليك برنارد شو [٦٠]، إليك بتسي روس[٦١].

فكر في هذه الأشــياء من منظور العــام ١٩٢٥، هل كان في تاريــخ البيوريتانيين صفحة خلاعية؟ [٦٢] هــل كان لپوكاهانتس وجهان؟ [٦٣] هل كان لها بعد رابع؟

هل اللوحات الفنية الحديثة، والشــعر أيضا، تعد فنا؟ إليكم بيكاسو[٦٤].

هل تعرف المومســات آداب الســلوك؟ أطلق العنان لتفكيرك ودعه يغامر.

الرومانسية في كل مكان. كتاب «فورم» لا يواربون في حديثهم، وهم أهل فكاهة وفطنة، لكن من غير حذق ولا إملال.

---

(٥٩) جان دارك (١٤١٢ - ١٤٣١): قديســة ومناضلة فرنســية حاربت الإنجليز في حرب المائة عام، اعتقلت وحوكمت بتهمة الهرطقة، فأعدمت حرقا بالنار [المترجم].

(٦٠) جورج برنارد شو (١٨٥٦ - ١٩٥٠): كاتب مسرحي وناقد إيرلندي لاذع السخرية، حاز جائزة نوبل للآداب العام ١٩٢٥، وقد عالج شخصية جان دارك في إحدى مسرحياته [المترجم].

(٦١) بتســي روس (١٧٥٢ - ١٨٣٦): خياطة أمريكية اشــتهرت بخياطة الأعلام الأمريكية إبان الثــورة الأمريكية (١٧٧٥ - ١٧٨٣)، ويعتقد البعض أنها هــي التي صممت العلم الأمريكي وأول من خاطته [المترجم].

(٦٢) البيوريتانيون (المتطهرون): جماعة انتشرت في إنجلترا وأمريكا في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وكانت تدعو في أول نشأتها إلى تطهير الكنيسة الإنجليزية من المظاهر والطقوس الاحتفاليــة، وقــد عرفت هذه الجماعة لاحقا بتعصبها الديني الأعمى وتشــددها في المســائل الأخلاقية إلى درجة أن كلمة «بيوريتاني» أصبحت مرادفة لكلمة «متزمت» [المترجم].

(٦٣) پوكاهانتس (١٥٩٥ - ١٦١٧): ابنة أحد زعماء القبائل الهندية الأمريكية، يزعم أنها أنقذت حياة المســتوطن الإنجليزي الكابتن جون ســمث عندما همَّ والدها بقتله. تزوجت من مســتوطن إنجليزي العام ١٦١٦ واعتنقت المسيحية، ثم سافرت مع زوجها إلى إنجلترا حيث استقبلها الناس هناك استقبال الأميرات [المترجم].

(٦٤) پابلو پيكاســو (١٨٨١ - ١٩٧٣): رسام ونحات إســباني، يعد من أعظم الفنانين في القرن العشرين، وقد تزعم مدرسة باريس الفنية [المترجم].

عش حياة الفكر حتى الثمالة، حياة تبهجها الأفكار الجديدة، وتنتشـــي برومانسية كل ما هو مســـتطرف. ثم وضع الكتيب من يده.

في هذه الأثناء، كان مانويل غارســـيا مائيرا يســـتلقي طريح الفـــراش في غرفـــة مظلمة في منزله في ترايانـــا، وفي كل رئة أنبوب، وكل رئـــة غارقة في الالتهابات (٦٥)، كل صحيفة في بلاد الأندلس أفـــردت ملحقا خاصا لموته الذي كان متوقعا منذ أيام. اشترى الرجال والصبيان صورا ملونة له بالطول الكامل من أجل الذكرى، وراحوا يتطلعون فيها حتى أضاعوا صورته المختزنة في ذاكرتهم. رحب مصارعو الثيران بموته لأنه كان يفعل في الحلبة ما لا يستطيعونه إلا نادرا. ساروا جميعا تحت المطر وراء نعشه، وتبعه حتى المقبرة مائة وســـبعة وأربعون مصارعا للثيران، حيث دفنوه بجانب قبر خوزيليتو. بعد انتهاء الجنازة جلس الجميع في المقاهي بعيدا عن المطر، وبيعت صور ملونة عديدة لمائيرا لرجال لفوها ودسوها في جيوبهم.

(٦٥) مانويل غارسيا مائيرا وخوزيليتو: مصارعا ثيران إسبانيان كتب عنهما همنغواي لاحقا في عمله غير الروائي «موت في الظهيرة» (١٩٣٢)، أما ترايانا فهي مدينة تقع على الساحل الشمالي لجزر الكناري قبالة الساحل المغربي في المحيط الأطلسي [المترجم].

حكاية رجل أرق (٦٦)
[١٩٢٧]

في تلك الليلة، كنا نستلقي على الأرض في الغرفة، فسمعت صوت دودات القز وهي تأكل. كانت دودات القز تتغذى على أكداس من ورق التوت، وكان بإمكانك أن تسمعها طوال الليل وهي تقضم الأوراق المتقصفة. أنا شخصيا لم أكن راغبا في النوم لأنني منذ زمن طويل أعرف أنني بمجرد أن أغمض عيني في الظلام وأستسلم أشعر بأن روحي تخرج من جسدي. صار لي وأنا على هذه الحال زمن طويل، منذ ذلك الانفجار الذي تعرضت له ذات ليلة، فشعرت حينها بأنها تخرج مني، فتحلق بعيدا، ثم تعود. حاولت ألا أفكر في الموضوع إطلاقا، لكن حالما أذهب للنوم تبدأ هي بالخروج، ولا أتمكن من إيقافها إلا بشق الأنفس. ومع أنني الآن على شيء من اليقين أنها ما كانت في الواقع لتغادرني، بيد أنني حينها، في ذلك الصيف، ما كنت راغبا في خوض تلك التجربة.

ابتكرت طرقا متعددة لإشغال نفسي وأنا مستيقظ. كنت أفكر في جدول مملوء بأسماك السلمون المرقط كنت أصطاد فيه يوم كنت صبيا، وهكذا أجوبه في مخيلتي من بدايته إلى نهايته بحثا عن الأسماك. كنت لا أترك جذع شجرة، ولا منعطفا في ضفة الجدول، ولا حفرة عميقة، ولا رقعة ضحلة إلا فتشتها جميعا

---

(٦٦) يستعير همنغواي عنوان هذه القصة، الذي لم أترجمه حرفيا هنا، من دعاء معروف يردده الأطفال عندما يأوون إلى فراشهم، وترجمته: «ها أنا أستلقي للنوم، وأسأل الرب روحي أن يحفظ. وإن مت قبل أن أستيقظ، أسأل الرب روحي أن يقبل» [المترجم].

بمنتهى الحذر. كنت أحظى بصيد أحيانا وأخيب أحيانا أخرى. كنت أتوقف عن الصيد عند انتصاف النهار لأتناول طعام الغداء، وكنت أتناوله على جذع شجرة مقطوع أحيانا، أو على مرتفع بضفاف الجدول تحت شجرة أحيانا أخرى، لكنني كنت دائما أتناوله على مهل وأنا أراقب الجدول أدنى مني. غالبا ما كانت تنفد مؤونتي من الطعم لأني ما كنت آخذ سوى عشر دودات في علبة تبغ قصديرية. وعندما تنفد مؤونتي يصبح لزاما علي أن أبحث عن طعوم جديدة، وكان الحفر في ضفاف الجدول صعبا للغاية في بعض الأحيان، حيث إن أشجار الأرز كانت تحجب الشمس، والعشب معدوم، ولا يوجد سوى التراب الرطب الأجرد، وكنت في غالب الأحيان لا أجد الدودات التي أريدها، لكنني دائما أجد طعوما من نوع ما، ما عدا مرة واحدة في المستنقع حيث لم أجد طعما من أي نوع كان، فاضطررت إلى تقطيع إحدى سمكات السلمون لأستخدمها طعما.

كنت أحيانا أجد حشرات في المروج السبخة، إما بين الأعشاب أو تحت نباتات السرخس، فكنت أستعملها. كانت هناك خنافس، وحشرات ذات أرجل كأنها أعواد العشب، ويرقانات دودية بين زنود الأخشاب، ويرقانات دودية بيضاء ذات رؤوس بنية قارصة لا تستقر على خطاف الصنارة فتتلاشى في الماء البارد، وقراد الأحراش تحت زنود الأخشاب حيث كنت أجد أيضا دودة الأرض التي كانت تندس في التراب حالما أرفع الزند عن الأرض. في إحدى المرات استخدمت سمندلا وجدته تحت زند خشبي عتيق. كان صغيرا جدا، أنيقا، رشيقا، رائع الألوان. كانت أقدامه

الصغيرة تحاول أن تمسك بخطاف الصنارة، ومنذ ذلك اليوم لم أستخدم سمندلا قط، مع أنني كنت غالبا ما أعثر عليه. كما أنني لم أستخدم جدجدا قط لكثرة ما يبديه من جزع من الصنارة.

كان الجدول يمر أحيانا عبر مرج شاسع، فكنت أصطاد الجراد في أعشابه اليابسة، فإما أستخدمها طعوما أو ألقيها في الجدول وأظل أراقبها وهي تسبح عائمة في حركة لولبية مع التيار إلى أن تقفز إليها من تحت الماء سمكة سلمون رقطاء فتخفيها. في بعض الأحيان كنت أصطاد في أربعة جداول أو خمسة في الليلة الواحدة، بادئا من أقرب نقطة من منبعه ثم نزولا. وإذا انتهيت بسرعة ولما يمض الوقت، كنت أعيد الكرة ثانية، ماضيا في الاتجاه المعاكس، أي من مصب الجدول في البحيرة صعودا، لعلي أحظى بما فاتني من سمك في المرة الأولى. وفي بعض الأحيان كنت أختلق لنفسي جداول، وكانت بعض هذه الجداول مثيرة لكأني أحلم وأنا مستيقظ. لا أزال أذكر بعض تلك الجداول، وأظن أني جربت الصيد فيها، فتلتبس مع جداول أعرفها حقيقة. كنت أطلق عليها ما يحلو لي من الأسماء، وكنت أمضي إليها بالقطار أو سيرا على الأقدام لعدة أميال.

وفي بعض الليالي لا أستطيع أن أذهب للصيد، فكنت أقضيها ساهرا مقرورا، أتلو الصلوات وراء الصلوات، محاولا أن أصلي من أجل كل من كنت أعرفه. كان هذا يستغرق زمنا طويلا، لأنك إن حاولت أن تعود بذاكرتك إلى أول شيء تتذكره كي تتذكر كل الذين عرفتهم، فإنك ستتذكر عددا هائلا من الناس. وبالنسبة

إلي، كنت أبدأ من العلية في منزلنا الذي ولدت فيه، والتي يتدلى من سقفها صندوق القصدير الذي أتت فيه كعكة زواج أمي وأبي. كان أبي يحتفظ في تلك العلبة بجرار من الأفاعي وأنواع أخرى كان قد جمعها أيام صباه ثم صبرها بالكحول، وكان الكحول قد غار في الجرار وانحسر عن ظهور بعض الأفاعي وغيرها من الأنواع الأخرى، فابيضت. لو صليت من أجلهم جميعا، لو قلت، «ليكن سلام عليك يا مريم» مرة واحدة و«ربنا الذي في السماء»[٦٧] مرة واحدة لكل واحد منهم، لاستغرق منك ذلك وقتا طويلا، إلى أن ينبلج الفجر، وعندها تستطيع أن تنام، إن كنت في مكان يسمح لك بالنوم خلال النهار.

في تلك الليالي كنت أحاول أن أتذكر كل ما جرى لي قبيل انضمامي إلى الحرب، فأستعرض شريط الأحداث حدثا حدثا. اكتشفت أني لا أستطيع أن أعود إلى أبعد من العلية في منزل جدي. كنت أبدأ من هناك وأظل أتذكر إلى أن أتوقف عند الحرب.

أتذكر أننا، بعد موت جدي، انتقلنا من ذلك البيت إلى بيت جديد صممته أمي وبنته. أُحرقت كثير من الأشياء غير المرغوب في نقلها. أُحرقت في الباحة الخلفية للبيت، وأذكر كيف ألقيت تلك الجرار في النار، وكيف راحت تنفجر من الحرارة، والنار تشب من الكحول. أتذكر تلك الأفاعي المحترقة في النار في

(٦٧) هذه فاتحة دعاء معروف باسم «صلاة الرب» في الكتب المقدسة، ونصه (بتصرف من ترجمة سمث وفان دايك إلى العربية): «ربنا الذي في السماء، تقدس اسمك، ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، أعطنا خبزنا كفاف يومنا، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن للمذنبين إلينا، ولا تمتحنا، بل نجنا من الشرور، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد» [المترجم].

باحة المنــزل الخلفية. ليس في شــريط الذكريات هذا أناس، فقط أشـياء. لم أستطع أن أتذكر حتى من أحرق تلك الأشياء. كنــت أواصل اســتعادتي تلك إلى أن يســتوقفني الناس الذين أصلي من أجلهم.

ما أذكره عن البيت الجديد هو كيف كانت أمي دائما تتخلص من هذا الشــيء أو ذاك. في إحدى المــرات، وبينما كان أبي في رحلــة صيد، راحت هي تنظف القبو تنظيفــا كاملا، وتحرق ما لا داعي لوجوده هناك. وعندمــا عاد أبي إلى البيت وترجل من عربته وربــط حصانه، كانت النار لا تزال مشــتعلة في الطريق الذي بمحاذاة البيت. خرجت لملاقاتــه، فناولني بندقيته، ونظر إلى النار، وقال «ما هذا؟».

«كنت أنظف القبو، يا عزيزي»، ردت عليه أمي من رواق المنزل حيث كانت تقف مبتســمة لاســتقباله. نظر أبي إلى النار، ورفس شــيئا بقدمه. ثم انحنى والتقط شــيئا من بــين الرماد «هات لي مجرفة، يا نك»، قال لي. ذهبت إلى القبو وأحضرت مجرفة، وراح أبي يقلب الرماد بمنتهى الحذر، فأخرج فؤوسا حجرية، وسكاكين حجرية تستخدم للسلخ، وأدوات لصنع رؤوس السهام، وقطعا من الفخار، وكثيرا من رؤوس السهام. كانت قد اسودت وتفتتت بفعل النار. أخرجها أبي بالمجرفة جميعا وفرشــها على العشب بجانب الطريــق. كانــت بندقيته فــي جرابها الجلدي ملقــاة مع خرجي الطرائد على العشب حيث تركها حين ترجل من العربة.

«خــذ البندقية وخرجــي الطرائد إلى البيــت، يا نك وجئني بجريــدة»، قال لي. كانت أمي قد دخلت البيت. أخذت البندقية،

وكانت ثقيلة وتخبطني على ساقي، مع الخرجين واتجهت إلى البيت. «احملها واحدة، واحدة»، قال لي أبي. «لا تحاول أن تحملها جميعا دفعة واحدة»، وضعت خرجي الطرائد أرضا وحملت البندقية إلى البيت وأحضرت جريدة من الكومة التي يحتفظ بها أبي في مكتبه. فرش أبي كل الأدوات الحجرية المسودة المتفتتة على الجريدة، ثم لفها. «لقد صارت أفضل رؤوس السهام فتاتا»، قال أبي. دخل البيت حاملا صرة الورق، وبقيت أنا في الخارج على الأعشاب مع خرجي الطرائد. وبعد هنيهة، أدخلتهما إلى البيت. في استذكاري لهذه الحادثة، لم أجد سوى شخصين، فصليت من أجلهما معا.

وفي بعض الليالي لم أستطع حتى أن أتذكر ماذا أقول في صلواتي. لم أستطع أن أمضي أبعد من قول «في الأرض كما في السماء»، فضلا عن اضطراري مرات عديدة إلى العودة إلى نقطة البداية، فأظل أراوح مكاني. وهكذا إلى أن أدرك أنني عاجز عن الصلاة تلك الليلة فأحاول شيئا جديدا. وهكذا كنت في بعض الليالي أحاول أن أتذكر كل الحيوانات في العالم بأسمائها، ثم الطيور، فالأسماك، فالبلدان، فالمدن، فألوان الأطعمة، فأسماء جميع الشوارع في شيكاغو التي أستطيع أن أتذكرها. وعندما تعجزني الذاكرة تماما، أشرع بالإصغاء. لا أذكر ليلة مرت علي من غير أن أسمع فيها شيئا. ولو كان لدي ضوء لما خفت من النوم، لأنني كنت أعرف أن روحي لن تغادرني إلا في الظلام. وهكذا، طبعا، مرت علي ليال عديدة كان لدي فيها ضوء، فاستطعت أن أنام لأنني كنت دائما مرهقا وناعسا تقريبا. كما أنني على يقين

بأنني نمــت مرات عديدة من غيــر أن أدري، لكنني لم أنم قط وأنا دار، وفي هذه الليلة رحت أصغي إلى دود القز. بإمكانك أن تسمع دود القز، وهي تقضم طعامها بصوت مسموع ليلا، وكنت أستلقي بعينين مفتوحتين مصغيا إليها.

كان معي في الغرفة شخص واحد فقط غيري، وكان مستيقظا أيضا. ظللت مدة طويلة أصغي إليه وهو مســتيقظ. لم يســتطع أن يكــف عــن التقلب، ربما لأنه لم يكن لديــه ما لدي من خبرة فــي الأرق. كنا نفترش بطانيات ممدودة على القش، فكان القش يطقطــق عندما يتقلب، بيــد أن دود القز لم تفزعها أي أصوات منــا، بل واصلت قضمها غير آبهة بنا. كنا نســمع أصوات الليل تأتينا من مســافة ســبعة كيلومترات من خلــف خطوط القتال، لكنها تختلف عــن الأصوات الصغيرة الصادرة من داخل الغرفة المظلمة. حاول الرجل الآخر أن يتابع اســتلقاءه بهدوء. ثم تقلب ثانية. تقلبت أيضا لكي يعلم أنني مســتيقظ. كان قد عاش مدة عشر ســنين في شــيكاغو، وعندما عاد لزيارة عائلته زجوه في الجنديــة العــام ١٩١٤ وأوكلوا إليه أن يكــون حاجبا عندي لأنه يعرف الإنجليزية. عرفت أنه كان يصغي، فتقلبت على البطانيات ثانية.

«ألا تستطيع أن تنام، يا سنيور تنانت؟» سألني.

«لا».

«ولا أنا».

«هل من مشكلة؟».

«لا أعرف. لا أستطيع أن أنام».

«هل أنت على ما يرام؟».

«بالتأكيد. أنا على ما يرام. لكنني لا أستطيع أن أنام».

«هل تريد أن تتحدث قليلا؟» سألته.

«بالتأكيد. عم تريد أن تتحدث في هذا المكان اللعين؟».

«هذا المكان جيد جدا»، قلت له.

«صحيح، لا بأس به»، قال هو.

«حدثني عن شيكاغو»، قلت له.

«أوه، لقد قلت لك كل شيء في يوم من الأيام»، قال لي.

«حدثني كيف تزوجت».

«لقد قلت لك كيف».

«هل الرسالة التي وصلتك يوم الاثنين منها؟».

«نعم. فهي لا تتوقف عن الكتابة إلي. إنها تجني أرباحا رائعة من المحل».

«سيكون لديك محل رائع عندما تعود».

«بالتأكيد. إنها تديره ببراعة. وتجني منه المال الكثير».

«ألا تعتقد أننا سنوقظهم بحديثنا؟» سألته.

«لا. لا يستطيعون أن يسمعونا. فهم ينامون كالخنازير. أنا أختلف عنهم. أنت مشدود الأعصاب»، قال لي.

«اخفض صوتك»، قلت له. «هل تريد أن تدخن؟».

ثم رحنا ندخن ببراعة في الظلام.

«أنت لا تدخن كثيرا، يا سنيور تنانت».

«لا، فأنا أكاد أقلع عنه».

«على أي حال، ليس فيه أي فائدة»، قال لي. «وأظن أنك تصل

إلـــى مرحلة لا تفتقده بعدها. فهل ســمعت أن الأعمى لا يدخن لأنه لا يرى الدخان الذي ينفثه؟».

«أنا لا أصدق هذا».

«أنا شخصيا أعتقد أن هذا هراء، لكنني سمعته في مكان ما. وأنت تعلم كيف نسمع مثل هذه الأمور».

صمت كلانا، ثم رحت أصغي إلى دود القز.

«هل تسمع تلك الدودات اللعينة؟» سألني. «يمكنك أن تسمعها وهي تقضم».

«إنه شيء غريب»، قلت له.

«قل لي، يا ســنيور تنانت، هل هناك فعلا ما يقلقك ويؤرقك؟ فأنا لا أراك تنام قط. لم تنم في الليل منذ أن التقيتك».

«لا أعــرف، يا جون»، قلت له. «لقد ســاءت حالي منذ بداية الربيع الماضي، وفي الليل تزعجني».

«مثلي تماما»، قال لي. «ما كان يجب أن أخوض هذه الحرب. فأنا شديد التوتر».

«قد تتحسن الأمور».

«قــل لــي، يا ســنيور تنانــت، ما الــذي جاء بــك إلى هذه الحرب؟».

«لا أعرف، يا جون. حينها كنت راغبا في المجيء».

«راغبا في المجيء؟ يا له من سبب!» قال لي.

«يجب ألا نتحدث بصوت عال».

«إنهــم ينامون كالخنازيــر. أضف إلى ذلك أنهــم لا يفهمون الإنجليزيــة. إنهم لا يعرفون أي شــيء على الإطــلاق. ما الذي

ستفعله عندما تنتهي الحرب ونعود إلى أمريكا؟».

«سأعمل في صحيفة».

«في شيكاغو؟».

«ربما».

«هل تقرأ ما يكتبه هذا المدعو برسبين؟ (٦٨)، تقوم زوجتي بقص كتاباته وترسلها إلي».

«بالتأكيد».

«هل سبق لك أن التقيته؟».

«لا، لكني رأيته».

«إني معجب بهذا الشخص. إنه كاتب رائع. زوجتي لا تقرأ الإنجليزية لكنها تشتري الجريدة كما كنا سابقا، فتقص الافتتاحيات وصفحة الرياضة وترسلها إلي».

«كيف أحوال البنيات؟».

«إنهن بخير. إحدى الفتيات في الصف الرابع الآن. هل تعلم، يا سنيور تنانت، أنه لولا بناتي لما كنت حاجبك الآن؟ لقد أجبرنني على الالتزام دوما بما أوكل إلي».

«أنا سعيد لأن لديك بنات».

«وأنا كذلك. إنهن رائعات، لكنني أريد صبيا. ثلاث بنات ولا صبي، للأسف».

«لماذا لا تحاول أن تنام؟».

«لا، لا أستطيع أن أنام الآن. إنني مستيقظ تماما، يا سنيور تنانت. في الحقيقة، إن أرقك يقلقني».

---

(٦٨) آرثر برسبين (١٨٦٤ - ١٩٣٦): محرر صحافي أمريكي [المترجم].

«ستتحسن الأمور يا جون».
«تخيل أن شابا مثلك لا يستطيع أن ينام».
«سأكون بخير، لكنها مسألة وقت».
«بل يجب عليك أن تكون بخير. فمن لا ينام لا يعيش. هل هناك ما يقلقك؟ هل هناك ما يشغل بالك؟».
«لا، يا جون. لا أظن ذلك».
«عليك أن تتزوج، يا سنيور تنانت. لماذا لا تنتقي لنفسك فتاة إيطالية جميلة ذات ثروة؟ فأنت شاب وسيم وحاصل على كثير من الأوسمة، وجرحت مرتين».
«لا أتقن اللغة».
«أنت تتحدثها جيدا. تبا للغة والتحدث بها. لست مضطرا للحديث معهن. تزوجهن فقط».
«سأفكر في الأمر».
«ألا تعرف بعض الفتيات؟».
«طبعا».
«إذن، تزوج التي لديها مال أكثر. إن تربيتهن هنا تجعل أي واحدة منهن زوجة صالحة».
«سأفكر في الأمر».
«لا تفكر، بل افعل، يا سنيور تنانت».
«لا بأس».
«على الإنسان أن يتزوج. لن تندم ما حييت. يجب على كل إنسان أن يتزوج».
«لا بأس»، قلت له. «والآن دعنا نحاول أن ننام قليلا».

«لا بأس، يا سنيور تنانت. سأحاول مرة أخرى، لكن تذكر ما قلته لك».

«سأفعل، لكن دعنا الآن ننم قليلا، يا جون».

«لا بأس. آمل أن تنام، يا سنيور تنانت».

سمعته يتقلب في بطانياته على القش، ومن ثم يهدأ، ويصير نفسه منتظما، ثم راح يشخر. استمعت إليه وهو يشخر لمدة طويلة، ثم توقفت عن ذلك، ورحت أصغي إلى دودات القز وهي تقضم. كانت لا تكف عن القضم، وكانت الأوراق تتقصف. صار لدي شيء جديد أفكر فيه، فرقدت في الظلام بعينين مفتوحتين، ورحت أفكر في كل الفتيات اللاتي عرفتهن في حياتي وأي زوجة كل واحدة منهن يمكن أن تكون. كان التفكير في هذا الأمر مليئا بالإثارة، فقضى على التفكير في الأسماك إلى أجل، وتداخل مع صلواتي. لكنني عدت في النهاية إلى صيد الأسماك لأنني اكتشفت أنه بإمكاني أن أتذكر كل الجداول، وكان فيها شيء يتجدد كلما تذكرتها، بينما ذكرياتي عن الفتيات اللاتي فكرت فيهن بضع مرات، كانت ضبابية، فلم أتمكن من استجلاء صورهن في مخيلتي، وفي النهاية تداخلت ملامحهن جميعا، فلم أعد أفرق بين هذه وتلك، فتوقفت عن التفكير فيهن جملة وتفصيلا. لكنني واظبت على صلواتي، وكنت غالبا ما أصلي من أجل جون ليلا، إلى أن جرى سحب وحدته من الخدمة الفعلية قبل الهجوم في أكتوبر. كنت سعيدا لغيابه لأن وجوده معي سيكون مصدر قلق كبير بالنسبة إلي. جاءني إلى المستشفى في ميلانو بعد

عدة أشهر، وكم خيبت ظنه لأنني لم أتزوج بعد، كما أنني على يقين بأن ظنه بي سـيخيب أكثر لو عرف أنني لم أتزوج حتى هذه اللحظة. كان عائدا إلى أمريكا، وكان على يقين كبير من زواجي، ومن أن الزواج سيعيد الأمور إلى نصابها.

بعد العاصفة
[١٩٣٢]

كان الخلاف حول تحضير مشروب «البنش»(٦٩) لا أكثر ولا أقل، ثم رحنا نتقاتل، فانزلقت وتمكن مني وجثا بركبتيه على صدري، وراح يخنقنـــي بكلتا يديه كأنه يريد قتلـــي. كنت في هذه الأثناء أحاول أن أســتل ســكيني من جيبي لأبعده عني. كان الكل ثملا، فعجــزوا عن إزاحته عني. كان يخنقني ويخبط رأســي بالأرض عندما اســتللت ســكيني وفتحتها وحززت بها عضلة ذراعه حزا عرضيــا، وحينها أطلقني. لم يعد قادرا على متابعة خنقي، حتى لو أراد ذلك. انقلب على أحد جانبيه، وأمســك بذراعه تلك وراح يصرخ، فقلت له:

«قل لي بحق الجحيم، لماذا تريد خنقي؟».

كنت أود أن أقتله. بقيت عاجزا عن البلع مدة أســبوع بسبب الألم في حنجرتي.

علـــى أي حال، غــادرت المكان، وكان له أنصـــار كثر، فتبعني بعضهم، لكني انعطفت نحو رصيف الســفن، فالتقيت شــخصا أخبرني أن أحدا ما قتل رجلا في أعلى الشـــارع. ســألته، «من قتله؟»، قال «لا أعرف. لكن الرجل مات بلا شـــك»، كان الظلام يخيــم، وكان الماء راكدا في الشـــارع، والعتمـــة ضاربة، والنوافذ مكســورة، وكانـــت القـــوارب متناثرة هنـــا وهناك فـــي المدينة،

---

(٦٩) البنش: مشـــروب محلى بنكهة الفواكه والبهارات، وهو مشروب هندي الأصل (يعني حرفيا «خمســة» بالهندية، كما في الفارسية والكردية)، وسبب تسميته هذه عائد إلى مكوناته الخمسة [المترجم].

والأشجار وكل شـــيء مقتلع. ركبت زورقا واتجهت به إلى قاربي الذي تركته داخل جزيرة المانغو(٧٠)، كان قاربي سليما، لكنه مملوء بالماء. أفرغته من الماء، وكان القمر يشع من بين السحب الكثيفة، وكان الطقس لا يزال عاصفــا. مضيت في قاربي، وعند الفجر بلغت مشارف الميناء الشرقي.

كانت تلك عاصفة عاصفة، يا أخي. كان قاربي أول قارب يخرج، ولم تشهد عينك ماء كهذا الذي شهدته. كان شديد البياض كأنه برميل من القلي، وعندما تتجه من الجزيرة الجنوبية الغربية إلى الميناء الشـــرقي، لا يمكنك أن ترى الشـــاطئ. كان هناك قضيب معدني كبير اقتلع من منتصف الشاطئ. اقتلعت العاصفة الأشجار وكل شيء، وتتوسط كل هذا الخراب قناة نهرية صار ماؤها وكل ما يطفو على ســـطحها من أغصان وأشجار وطيور ميتة، صارت بيضاء كالطباشـــير. كل طيور البجع في العالم وأنواع أخرى من الطيور تجمعت داخل الجـــزر المنخفضة. يبدو أنها التجأت إلى هناك عندما علمت بمقدم العاصفة.

بقيت في الجزيرة الجنوبية الغربية يوما واحدا، ولم يتعقبني أحـــد. كنت أول قـــارب يخرج، ورأيت صاريـــا يطفو، فعرفت أن هناك سفينة محطمة، فرحت أبحث عنها. وجدتها. كانت مركبا شراعيا بثلاثة صوار، ولا يبرز فوق الماء سوى صواريها المهشمة. كانت غارقة في مياه عميقة، فلم أســـتطع أن أنتزع منها شـــيئا. لذلك ذهبت أبحث عن شيء آخر. وبما أنني بدأت قبل الآخرين، فقـــد كنت على يقين بأنني ســـأغنم كل ما يمكن اغتنامه. تابعت

---

(٧٠) تقع جزيرة المانغو على الساحل الشرقي لولاية فلوريدا الأمريكية [المترجم].

إبحاري متخطيا المرتفعات الرملية، حيث تركت المركب الشراعي ذا الصواري الثلاثة، فلم أجد شيئا، وأبحرت بعيدا. ابتعدت حتى بلغت الوعثاء[٧١]، فلم أجد شيئا، ومضيت في سبيلي. وعندما أصبحت على مرأى من منارة ربكا[٧٢] رأيت أسرابا من طيور متعددة تحوم فوق شيء، فاتجهت صوبها لأتبين الأمر، فكانت بحق سحابة من الطيور.

بدا لي كأن صاريا ينتأ من الماء، وعندما اقتربت حلقت الطيور في الجو وراحت تحوم فوقي. كان الماء صافيا، فرأيت رأس صار يبرز قليلا فوق سطح الماء، ولما دنوت منه، صار الماء مظلما كأنه ظل طويل، وعندما وقفت فوقه رأيت باخرة بحجم العالم كله ترقد تحت الماء. طوفت بقاربي فوقها. كانت تتكئ على أحد جانبيها، وكانت مؤخرتها تغوص عميقا. كانت جميع النوافذ مغلقة بإحكام. رأيتها من أولها إلى آخرها، وكان زجاجها يلتمع تحت الماء. كانت هذه أكبر سفينة رأيتها في حياتي، وكانت جاثمة أمامي، فرحت أطوف بموازاة طولها. ثم ذهبت لإرساء زورقي. ربطت مقدمته بظهر الباخرة، ثم دفعته تحت الماء ورحت أجدف نحو الخلف، وكانت الطيور تحوم حولي.

كانت لدي عدسة مائية كتلك التي نستخدمها في صيد الإسفنج، لكن يدي كانت تهتز لا تكاد تمسك بها. كانت جميع النوافذ التي تراها على جوانبها مغلقة، لكن لا بد أن يكون هناك شيء مفتوح قريبا من أسفل الباخرة، لأنني كنت أرى قطعا من

---

(٧١) الوعثاء: رواسب رملية عميقة غير متماسكة البنية تتوضع في قيعان البحار والمحيطات [المترجم].

(٧٢) تقع منارة ربكا جنوب غربي ولاية فلوريدا الأمريكية عند نقطة التقاء المحيط الأطلسي بخليج المكسيك، وتقوم المنارة وسط مياه ضحلة تشكل كابوسا للملاحين [المترجم].

أشـــياء تطفو باستمرار. لا يمكنك أن تعرف ماهية هذه الأشياء. مجرد قطع. وهذا ما كان يجتذب الطيور. لم أر في حياتي طيورا بهذه الكثرة. كانت تحوم حولي وتزعق بجنون.

بـــدا لي كل شـــيء واضحا. بدت لي مســـتديرة، وكأن طولها تحـــت الماء يبلغ ميلا. كانت ترقد على مرتفع رملي أبيض صاف، وبدا الصـــاري كأنه الصاري الأمامي أو نـــوع من الرافعة، وكان يبـــرز من الماء مائلا كميـــلان الباخرة تماما. لـــم تكن مقدمتها تغوص بعيدا في الأعماق. كان باستطاعتي أن أقف على أحرف اسمها المنقوشة على مقدمتها، بينما رأسي بالكاد فوق الماء. لكن أقرب نافذة كانت على بعد اثني عشـــر قدما نحو الأســـفل. كان بإمكاني أن أصلها برمح الصيد الشـــائك. حاولت أن أكســـرها، فلـــم أفلح. كان الزجاج شـــديد المتانة. عدت أدراجي إلى زورقي وجئت بمفتاح رنش وربطته بطرف الرمح، فلم أفلح في كسرها. كنت أنظر إلى الباخرة وما فيها من خلال العدسة، وكنت أول من وصلهـــا، ولم أفلح في الدخول إليها. لا بد أن ما فيها تبلغ قيمته خمسة ملايين دولار.

كان التفكير فيما تحويه يهزني هزا. كنت أرى في أقرب نافذة إلي شيئا لم أتمكن من معرفة ماهيته بوساطة عدستي المائية. لم يكن الرمح يجدي، لذلك خلعت ملابســـي وتوقفت لآخذ نفسين عميقين وغصت بمحـــاذاة المؤخرة إلى الأعمـــاق، حاملا مفتاح الرنش بيدي. تمسكت لمدة ثانية بحرف النافذة، فرأيت امرأة في الداخل وشعرها يطوف من حولها. كانت تطوف بصورة مستوية، فضربت الزجـــاج ضربا عنيفا بالمفتاح مرتين، فســـمعت صوت

الارتطـــام يطن في أذني، لكنني لم أفلح في كســـره، فاضطررت إلى الصعود إلى السطح.

تعلقت بالزورق لألتقط أنفاســـي ثم أخذت نفســـين عميقين وغصت مرة أخرى. ظللت أغوص حتى أمســـكت بحرف النافذة بأصابعـــي ثم ضربت الزجاج بالمفتاح بأقصى ما أوتيت من قوة. كنـــت أرى المـــرأة من خـــلال الزجاج وهي تطوف. كان شـــعرها معقودا عقدة واحدة قرب رأســـها، والبقية كانت تسبح في الماء. رأيت الخواتم على إحدى يديها. كانت تلتصق بالنافذة، فضربت الزجاج مرتين، ولم أفلح حتى في شرخه. عندما رحت أصعد إلى السطح ظننت أنني سأضطر للاستنشاق ثانية قبل أن أبلغه.

غصـــت مرة أخرى فلم أتمكن إلا من شـــرخ الزجاج، وعندما صعدت إلى السطح كان أنفي ينزف، فوقفت على مقدمة الباخرة، وقدماي الحافيتان على اسمها ورأسي بالكاد فوق الماء. استرحت قليلا ثم رحت إلى الزورق ســـباحة، فتسلقته وجلست فيه أنتظر لعل وجع رأســـي يزول. نظرت تحتي من خلال العدســـة، لكنني نزفت عليها فاضطررت إلى غسلها. ثم استلقيت على ظهري في الزورق ووضعت يدي تحت أنفي لأوقف النزيف. ظللت مستلقيا ورأســـي إلى الوراء، وأتطلع إلى السماء فأرى مليون طائر يحوم فوقي ومن كل الجهات.

عندما توقـــف النزيف ألقيت نظرة أخرى عبر العدســـة، ثم ســـبحت إلى الـــزورق لعلي أجد ما هو أثقل مـــن مفتاح الرنش، فلـــم أجد ولو صنارة لصيد الإســـفنج. رجعـــت وكان الماء يزداد صفـــاؤه أكثر فأكثر، وصار بإمكانـــك أن ترى كل ما يطوف فوق

المرتفــع الرملي الأبيض. بحثت عن أســـماك القرش، فلم أرها. كان بإمكانـــك أن ترى القرش من مســـافة بعيـــدة. فالماء صاف والرمل أبيض. كان عندي في الزورق كلاّب أســـتخدمه مرساة، فقطعتـــه وغصت به إلى الأعماق. جرفني الكلاب إلى الأســـفل فالأســـفل، فتجاوزت النافذة. حاولت أن أتمســـك بها فانجرفت نحو الأســـفل وأنا أنزلق بجانب السفينة المحدب. اضطررت إلى التخلص من الكلاب. ســـمعته يرتطم مـــرة واحدة فقط، ومرت الثواني كأنها ســـنة قبل أن أتمكن من الصعود إلى ســـطح الماء. كان المد قد جرف الزورق بعيدا، فرحت أسبح نحوه وأنفي ينزف في الماء وأنا أسبح، وقد كنت سعيدا لعدم وجود أسماك القرش، لكنني كنت مرهقا(٧٣).

شعرت كأن رأسي يكاد ينفلق، فرقدت في الزورق واسترحت ثـــم عدت أدراجي. كان الوقت عصـــرا. غصت مرة أخرى مع مفتاح الرنش فلم يجدني في شـــيء. كان مفتاحا خفيفا. كان الغـــوص بلا جدوى مـــا لم يكن لديك مطرقة كبيرة أو شـــيء ثقيـــل بما يكفـــي. ربطت المفتاح بطرف الرمـــح ثم راقبته من خلال العدســـة المائية، وظللت أضـــرب الزجاج وأطرقه حتى انفصـــل المفتاح عن الرمح، فرأيته من خلال العدســـة يغوص نحـــو الأعماق. لم أعد قادرا على شـــيء. لقـــد فقدت المفتاح والكلاب، فعدت إلى زورقي. كنت شديد الإعياء لا أقوى على تجديف الزورق، وكانت الشمس آيلة إلى غروب. راحت الطيور تغادر الســـفينة وتؤوب إلى أعشاشـــها. توجهت إلى الجزيرة

---

(٧٣) تستطيع أسماك القرش شم رائحة الدم في الماء من مسافة بعيدة، لذلك فإن النزيف يشكل خطرا على حياة الراوي من هذه الناحية [المترجم].

الجنوبية الغربية أسـحب الزورق سحبا، وكانت الطيور تحلق أمامي ومن خلفي. كنت غاية في الإعياء.

كان أمـرا جهنميـا. يقولون إنها كانت قريبـة جدا من ميناء هافانـا عندما هب الإعصـار، فلم تتمكن مـن الدخول، أو أن مالكي الباخرة لم يسـمحوا للقبطان بالمجازفة في دخول الميناء. يقولون إنه أراد أن يجرب، وهكذا كانت تشق طريقها في الظلام عبر الخليج بين ربكا وتورتغاس عندما ارتطمت بالوعثاء(٧٤)، ربما فقدت دفـة التوجيه، أو ربما لم يكونـوا يوجهونها. لكن في كل الأحوال ما كان بإمكانهم أن يعرفوا أنها الوعثاء، وعندما ارتطمت بها لا بد أن القبطان أمرهم بفتح خزانات الصابورة لكي تتوازن وتستقر. لكنها كانت ترتطم بوعثاء، لذلك عندما فتحوا الخزانات غاصت مؤخرتها أولا، ثم مالت على أحد جانبيها. كان على متنها أربعمائة وخمسون مسـافرا بالإضافة إلى طاقمها، ولا بد أنهم كانوا على متنها عندما وجدتها. لا بد أنهم فتحوا الخزانات حالما ارتطمت، وأنها بمجرد أن استقرت سحبتها الوعثاء إلى الأسفل. لابـد أن مراجلها قد انفجرت، ولابد أن هذا ما جعل تلك القطع تتناثر هنا وهناك. الغريب أنه لم توجد أسماك قرش، بل لم تكن هناك سـمكة واحدة، في محيطها. لو وجدت لرأيتها على ذلك الرمل الأبيض الصافي.

لكن هناك الآن أسـماك كثيرة، لاسيما السمك اليهودي وفي أكبر أنواعه(٧٥)، كان معظم السـفينة الآن تحت الرمال، لكن أكبر

---

(٧٤) تورتغاس («سـلاحف» بالإسـبانية): سلسـلة من الجزر المتناثرة إلى الغرب من منارة ربكا [المترجم].

(٧٥) السـمك اليهودي: سـمك بحري كبير يكثر في المحيط الأطلسي وعلى سواحل كاليفورنيا [المترجم].

أنواع السمك اليهودي تعيش فيها. كان بعضها يزن ما بين ثلاثمائة إلى أربعمائة رطل. كنا نذهب أحيانا لنصطاد بعضا منها. يمكنك أن ترى منارة ربكا من عند الباخرة التي علموا مكانها الآن بمعلم عائم. كانت على طرف الوعثاء عند طرف الخليج بالضبط. كان بينها وبين المرور بسلام مائة ياردة تقريبا. لقد ضلوا طريقهم في تلك الليلة العاصفة الماطرة، إذ لم يكن بإمكانهم رؤية منارة ربكا. لم يكونوا معتادين على مثل هـذا الأمـر. فقبطان الباخرة لا عهد لـه بمثل هذا الاندفاع العاصف. فهو يسـير على مسـار محدد توجهـه بوصلة تقوم بعملية التوجيه كما يقولون لي. ربما لم يكن أفراد طاقم السفينة يعلمون أين هم عندما هبت العاصفة، لكنهم كانوا قاب قوسـين أو أدنى من النجاة. ربما فقدوا دفة التوجيه. على أي حال، لم يكن أمامهم ما يرتطمون به إلى أن يبلغوا خليج المكسيك. لابد أن الأمر وقع عليهم وقوع الكارثة عندما داهمتهم الأمطار والرياح وأمرهم القبطان بأن يفتحوا الخزانات. لا يمكن أن يكـون هناك أحد على متن السـفينة في ذلك الجو العاصف الماطـر. لا بد أنهم كانوا جميعا في الداخل. ما كانت لتكتب لهم النجـاة لو كانوا علـى متنها. لا بد أنه حدث هـرج ومرج داخل الباخرة لأنها، كما تعلم، رست سريعا. لقد رأيت كيف غاص ذلك المفتـاح في الرمال. ما كان بإمـكان القبطان أن يعلم أنه يرتطم بالوعثاء، إلا إذا كان يعرف هذه المياه جيدا. كل ما عرفه هو أنه لم يرتطم بصخرة. لا بد أنه رأى كل شيء وهو في قمرته. لا بد أنه أدرك الأمر برمته عندما رسـت. لكن، كم من الوقت استغرق ذلك؟ وهل كان معه مسـاعد القبطان؟ وهل تظن أنهما بقيا في

منصة القبطان أم أنهما لقيا حتفهما في الخارج؟ لم يعثروا على جثث قط. لم يعثروا ولو على جثة واحدة. ولا أحد على سطح الماء. فسترات النجاة تأخذهم بعيدا. لا بد أنهم لقوا حتفهم داخل الباخرة. على أي حال، فاز اليونانيون بالغنيمة. لم يتركوا شيئا. لا بد أنهم وصلوها سريعا، ونظفوها تنظيفا. في البداية وصلت الطيور، ثم أنا، ثم اليونانيون. حتى الطيور غنمت منها أكثر مما غنمت أنا.

مصباح لعتمة الليل
[١٩٣٣]

كان الوقت متأخرا وغادر الجميع المقهى إلا عجوزا كان يجلس في الظل الذي صنعته أوراق الشجرة بفعل المصباح الكهربائي. كان الشارع في النهار مغبرا، لكن الندى يقشع الغبار ليلا، وكان العجوز يحب السهر لأنه أطرش، وكان يشعر بالفرق عندما يسود السكون ليلا. كان نادلا المقهى يعرفان أن العجوز قد سكر قليلا. وبرغم أنه زبون طيب، إلا أنهما كانا يعلمان أنه إذا بلغ السكر منه مبلغا، فإنه سيغادر من دون أن يدفع الحساب، لذلك راحا يراقبانه.

«لقد حاول الانتحار في الأسبوع الماضي»، قال أحد النادلين.

«لماذا؟».

«بسبب اليأس».

«مم؟».

«لا شيء».

«كيف تعلم أنه لم يكن لديه سبب لليأس؟».

«لأنه ثري جدا».

كانا يجلسان إلى طاولة ملاصقة للجدار عند باب المقهى، وكانا ينظران إلى المصطبة حيث كانت جميع الطاولات شاغرة إلا طاولة العجوز الذي كان يجلس في ظل أوراق الشجرة التي تهفهفها الريح. مرت فتاة وجندي في الشارع القريب. التمع

الرقم النحاسي على قبته تحت مصباح الشارع. كانت الفتاة حاسرة الرأس، وتحث الخطى إلى جانبه.

«سيعتقله الحرس»، قال أحد النادلين.

«وماذا يهم ذلك إن نال وطره منها؟».

«يجدر به أن يبتعد من الشارع الآن. سيعتقله الحرس. لقد مروا من هنا قبل خمس دقائق».

قرع العجوز الجالس في الظل الكأس بالصحيفة، فجاءه النادل الأصغر.

«ماذا تريد؟».

نظر إليه العجوز وقال «كأس أخرى».

«ستفقد الوعي»، قال له النادل. ظل العجوز ينظر إليه، فمضى النادل في سبيله.

«سيبقى هنا طوال الليل»، قال النادل لزميله. «أشعر بالنعاس الآن. لا أستطيع النوم أبدا قبل الثالثة. ليته قتل نفسه الأسبوع الماضي».

أخذ النادل زجاجة المشروب وصحيفة أخرى من المقهى ومضى بهما إلى طاولة العجوز. وضع الصحيفة على الطاولة وملأ الكأس بالمشروب.

«ليتك قتلت نفسك الأسبوع الماضي»، قال النادل للعجوز الأطرش. أومأ العجوز ببنانه أن زدني قليلا. صب النادل المشروب في الكأس حتى طفحت وسال المشروب على ساق الكأس وتجمع في الصحيفة العليا من كومة الصحيفات. شكره العجوز. أعاد النادل الزجاجة إلى داخل المقهى، وعاد ليجلس مع

زميله، فقال:
«لقد فقد وعيه الآن».
«إنه يفقد وعيه كل ليلة».
«لماذا أراد أن ينتحر؟».
«وكيف لي أن أعرف؟».
«كيف أقدم على ذلك؟».
«شنق نفسه بحبل».
«ومن الذي أنزله».
«ابنة أخيه».
«ولماذا فعلت ذلك؟».
«خوفا على روحه».
«كم تبلغ ثروته؟».
«كثيرا».
«لا بد أنه في الثمانين من العمر».
«على أي حال، أعتقد أنه في الثمانين».
«ليته يذهب إلى بيته. لا أستطيع أن أنام أبدا قبل الثالثة. ويا لها من ساعة ينام المرء فيها!».
«إنه يسهر لأنه يحب السهر».
«إنه وحيد. أما أنا فلست وحيدا. لدي زوجة تنتظرني في الفراش».
«وهو أيضا كانت عنده زوجة في يوم من الأيام».
«لا تصلح له زوجة الآن».
«ومن أدراك؟ ربما يجدر به أن يتخذ زوجة».

«إن ابنــة أخيه ترعاه الآن. لقد قلــت إنها هي التي فكته من حبل المشنقة».

«أعلم ذلك».

«لا أريد أن أبلغ تلك السن، فالشيخوخة نكد في نكد».

«ليس في كل الأحيان. هذا العجوز رجل نظيف. إنه يشــرب من غير أن يشرشر، حتى وهو ثمل كما هو الآن. انظر إليه».

«لا أريد أن أنظر إليه. أتمنى أن يولي إلى بيته. إنه لا يحسب حسابا للذين لديهم عمل».

نظر العجوز من كأســه إلــى الطرف الآخر للســاحة ثم إلــى النادلــين، وقال «كأس مشــروب أخرى»، جــاءه النادل المستعجل.

«يكفــي»، قال له النادل على طريقة الأغبياء الذين لا يراعون قواعــد النحو عندما يتحدثون إلى فاقــدي الوعي أو الأجانب. «الليلة يكفي. إغلاق الآن».

«واحدة أخرى»، قال له العجوز.

«لا، يكفي»، قال النادل الذي راح يمسح حرف الطاولة بمنشفة وهو يهز رأسه.

نهض العجوز وعد الصحيفات، ثم أخرج محفظة نقود جلدية، ودفع حسابه، وترك نصف بيزيتا إكرامية(٧٦).

راقبه النادل وهو يمضي في الشارع، فإذا به رجل مسن جدا، يتمايل في مشيته، لكنها مشية تنم عن وقار.

---

(٧٦) بالإضافــة إلى الكلمات الإســبانية العديدة التي يســتخدمها همنغــواي في هذه القصة، والإشــارة العابرة إلى الأجواء المتوترة بسـبب الحرب الأهلية، تدل كلمة البيزيتا على أن أحداث هذه القصة تدور في إسبانيا [المترجم].

«لماذا لم تدعه يبقى ويشرب؟»، سأل النادل غير المستعجل، وهما يغلقان مصاريع النوافذ. «إنها لم تبلغ الثانية والنصف».

«أريد أن أذهب إلى بيتي لأنام».

«ما قيمة ساعة من الزمن؟».

«قيمتها عندي أكبر من قيمتها عندك».

«الساعة هي الساعة».

«أنت أيضا تتحدث كعجوز. بإمكانه أن يشتري زجاجة ويشربها في بيته».

«هناك فرق».

«أجل، هناك فرق»، قال النادل المتزوج موافقا. لم يكن يريد أن يستبد في رأيه، بل كان في عجلة من أمره ليس إلا.

«وأنت، ألا تخاف من العودة إلى البيت قبل ساعتك المعتادة؟».

«هل تقصد إهانتي؟».

«لا، يا رجل، بل ممازحتك».

«لا»، قال الرجل المستعجل، وهو ينهض بعد أن أغلق المصاريع المعدنية للنوافذ. «بل لدي ثقة. أنا كلي ثقة».

«أنت لديك الشباب، والثقة، وعملك»، قال النادل الأكبر سنا. «أنت تملك كل شيء».

«وماذا ينقصك أنت؟».

«كل شيء ما عدا العمل».

«أنت تملك ما أملك».

«لا. لم أتمتع بالثقة أبدا، ولم أعد شابا».

«هيا، دعك من هذا الهراء، وأغلق الباب».

«أنا ممن يودون السـهر في المقهى»، قال النادل الأكبر سـنا. «السهر مع كل الذين لا يريدون الذهاب إلى فراشهم. وكل الذين بحاجة إلى مصباح ينير عتمة ليلهم».

«أما أنا فأريد أن أعود إلى بيتي وفراشي».

«أنـا وأنت من طينتـين مختلفتين»، قال النادل الأكبر سـنا، الذي كان الآن يرتدي ثياب العودة إلى البيت. «إن المسألة ليست مسـألة شـباب وثقة فقط، مع ما في هذين الأمرين من جمال. ففـي كل ليلة أغلق المقهى علـى مضض لأنه قد يكون هناك من يحتاجها».

«يا رجل، هناك مقاه لا تغلق أبوابها قط طوال الليل».

«أنت لا تفهم. هذا مقهى نظيف يدخل السرور إلى القلب. وهو جيد الإنارة. الإضاءة جيدة جدا، والآن هناك ظل الأوراق».

«تصبح على خير»، قال النادل الأصغر سنا.

«تصبح على خير»، رد النادل الآخر. أطفأ المصباح الكهربائي وواصل مناجاته لنفسـه. إنه النور بالطبـع، لكن يجب أن يكون المكان نظيفا بهيجا. أنت لا ترغب في الموسـيقى. بالتأكيد ليس هـذا ما تريده. ولا يمكنك أن تقـف أمام المقهى بوقارك، مع أن هذا هو كل ما هو متاح في هذه الساعات. ما الذي كان يخشاه؟ إنه ليس خوفـا ولا رعبا. بل كان عدما يعرفه تمام المعرفة. كان كل شـيء عدما، والإنسـان عدم كذلك. لم يكـن في الأمر غير ذلك، وكل ما يحتاجه هو النور وشيء من النظافة والترتيب. كان بعضهم يعيش في هذا العدم ولا يشعر به، لكنه كان يعلم أنه عدم في عدم في عدم. أيها العدم الذي في العدم، عدم هو اسـمك،

وعدم مملكتك، وعدم مشيئتك في العدم كما هي في العدم[٤٧]، أعطنا عدمنا هذا، كفاف يومنا من العدم، ولا تعدمنا عدمنا، كما نعدم عدمنا، ولا تجعل مآلنا إلى العدم، بل نجنا من العدم، ثم العدم. سلام، سلام أيها العدم الزاخر بالعدم، فالعدم منك وإليك. كان يبتسم وهو يقف أمام بار عليه آلة تلتمع لصنع القهوة بالضغط البخاري.

«ماذا تريد؟» سأله عامل المقهى.

«العدم»[٤٨].

«مجنون آخر»، قال عامل المقهى وهو يبتعد.

«فنجان صغير»، قال النادل.

قدم له عامل المقهى الفنجان الصغير.

«النور ساطع جدا وبهيج لكن المقهى تعوزه النظافة والتلميع»، قال النادل. نظر إليه عامل المقهى لكنه لم يرد عليه. لقد تأخر الوقت على تجاذب الأحاديث في الليل.

«هل تريد فنجانا آخر؟» سأله عامل المقهى.

«لا، شكرا»، قال النادل وخرج. كان يكره عامل المقهى والمقاهي. أما المقهى النظيف الحسن الإضاءة فهو أمر مختلف تماما. صار الآن بإمكانه أن يعود إلى غرفته من غير هم ولا غم. سيستلقي في فراشه حتى بزوغ الفجر ثم ينام بعد ذلك. في نهاية المطاف قد لا يكون في الأمر سوى الأرق، قال في نفسه. لابد أن كثيرين يعانون منه.

---

(٤٧) هذه المناجاة، التي يدور معظمها في ذهن النادل بالإسبانية، هي محاكاة وجودية لـ «دعاء الرب» الذي مر ذكره في قصة «حكاية رجل أرق» آنفا. انظر نص الدعاء المذكور في حاشية المترجم على تلك القصة [المترجم].

(٤٨) الكلمة الإسبانية nada التي يستخدمها النادل تعني «العدم» أو «لا شيء» [المترجم].

منارة للدنيا

[١٩٣٣]

عندما رآنا ساقي المقهى ندخل من الباب، تطلع إلى فوق ثم تناول غطاءين زجاجيين وغطى بهما زبديتي الغداء المجاني.

«أعطني شرابا»، قلت له. سحبها، ثم قطف رأسها بملعقة مسطحة، وأمسك الكأس بيده. وضعت له السنتات الخمسة على المنضدة الخشبية، فدفع إلي بالكأس.

«وما هو طلبك؟» سأل الساقي توم.

«شراب».

سحب زجاجة الشراب ثم قطفها وعندما رأى النقود، دفع بها نحو توم.

«ما بك؟» سأله توم.

لكن الساقي لم يجبه، بل سدد نظراته من فوق رأسينا إلى رجل يدخل وسأله، «ما هو طلبك؟».

«شراب الشوفان»، قال الرجل. وضع الساقي الزجاجة والكأس ثم كأسا من الماء.

مد توم يده ورفع الغطاء الزجاجي عن زبدية الغداء المجاني، فإذا هي ملأى باللحم المطبوخ بمرق الخل. كان بالزبدية ملقط من خشب يشبه المقص لالتقاط الأقدام.

«لا»، قال الساقي، ثم أعاد الغطاء إلى مكانه فوق الزبدية. كان توم يمسك الملقط بيده، فقال له الساقي، «أعده إلى مكانه».

«أنت تعلم أين»، قال له توم.

مد الساقي يده تحت البار وهو يراقبنا. وضعت خمسين سنتا على منضدة الخشب، فاعتدل وقال:

«ما هو طلبك؟»

«شراب»، قلت له، وقبل أن يسحبها رفع غطاءي الزبديتين.

«هذا اللحم رائحته منتنة»، قال له توم، ثم مج ما في فمه على الأرض. لم يقل الساقي شيئا. دفع الرجل الذي شرب شراب الشوفان حسابه، ثم غادر من دون أن يلتفت وراءه.

«بل أنت المنتن»، رد عليه الساقي. «أنتم المخنثين جميعا منتنون».

«يقول إننا منتنون»، قال لي تومي.

«اسمع، دعنا نخرج من هنا»، قلت له.

«اخرجا من هنا، أيها المخنثان»، قال لنا الساقي.

«قلت إننا سنخرج»، قلت له. «هذه فكرتنا لا فكرتك».

«لنا عودة»، قال له توم.

«لا، لن تعود»، قال له الساقي.

«قل له كم هو مخطئ»، قال توم وهو يلتفت إلي.

«هيا بنا»، قلت له.

كان الظلام في الخارج قد خيم تماما.

«أي مكان جهنمي هذا؟» سألني توم.

«لا أعرف»، قلت له. «دعنا نذهب إلى المحطة».

كنا قد دخلنا تلك البلدة من طرف وخرجنا منها من طرف آخر. كانت تفوح منها رائحة الجلود وقشور الدباغة وأكوام نشارة الخشب الهائلة. كان الظلام يحل عندما دخلناها، لكنه

الآن حل وانتهى، واشتد البرد وتجمد الماء في أطراف البرك في الطريق.

كانت خمس مومسات في المحطة ينتظرن القطار، وكان هناك أيضا ستة رجال بيض وأربعة هنود. كانت المحطة مكتظة والجو حارا بسبب المدفأة، تفوح منها رائحة دخان متعفنة. عندما دخلنا كان الجميع صامتين، وكان شباك التذاكر مغلقا.

«ألا تستطيع أن تغلق الباب؟»، قال لي أحدهم.

نظـــرت لأتبين من قـــال ذلك، فوجدت أنه رجـــل أبيض. كان يرتدي بنطالا كأنه رقعة شـــطرنج، وحذاء مطاطيا كالذي يلبسه ناشرو الأخشـــاب، وقميصا صوفيا، تماما كالآخرين، بيد أنه لم يكن يرتدي قبعة، وكان وجهه أبيض، ويداه بيضاوين ناحلتين.

«هل ستغلقه أم لا؟».

«طبعا»، قلت للرجل، ثم أغلقت الباب.

«شكرا لك»، قال الرجل، وأطلق أحد الرجال الآخرين ضحكة نصف مكبوتة.

«هل سبق لك أن تصادمت مع طباخ؟»، سألني الرجل.

«لا».

«يمكنـــك أن تتصادم مع هذا»، قال لي وهو ينظر إلى الطباخ. «فهو يستمتع بذلك».

أشاح الطباخ بناظريه عنه وشفتاه مزمومتان.

«إنه يدهن يديه بعصير الليمـــون»، قال الرجل. «فهو يتفادى وضعهما في غسول الصحون بأي ثمن. انظر إلى بياضهما».

أطلقت إحدى المومســـات ضحكة عاليـــة. كانت أكبر مومس،

بـــل أكبر امرأة، رأيتها في حياتي. كانـــت ترتدي واحدا من تلك الثياب الحريرية التي تتبدل ألوانها. كانت هناك مومسان أخريان يقاربانهـــا في الحجم، لكـــن الكبرى بينهن كانت تـــزن بالتأكيد ثلاثمائة وخمســـين رطلا(٤٩)، لا تصدق أنها حقيقية عندما تنظر إليهـــا. كانت الثـــلاث يرتدين ثيابا حريريـــة متبدلة الألوان. كن يجلسن جنبا إلى جنب على المقعد. كن مومسات هائلات الحجم. أما الأخريان فقد كانتا مومسين عاديتي المظهر، شقراوين شقارا پيروكسيديا(٥٠).

«انظر إلى يديه»، قال الرجل وهو يومئ برأســـه نحو الطباخ. ضحكت المومس ثانية ضحكا يهزها هزا.

التفت إليها الطباخ وقال «مـــا الذي يضحكك، يا جبل اللحم الهائل المقرف؟».

لكنها ظلت تضحك وتهتز.

«أوه، يا إلهي»، قالت المومس، وكان صوتها عذبا. «أوه، يا إلهي».

ظلت المومســـان الضخمتان الأخريان تتصرفان بهدوء كأنهما عدمتا الإحساس، لكنهما كانتا هائلتين بحجم أكبرهن. كانت كل واحدة منهن تزن أكثر من مائتين وخمسين رطلا(٥١)، أما الاثنتان فقد حافظتا على وقارهما.

بالإضافـــة إلى الطبـــاخ والرجـــل الذي تحـــدث، كان هناك خشـــابان آخران، واحد يســـتمع باهتمام خجول، والآخر يتحفز

---

(٤٩) أي نحو ١٥٩ كلغ [المترجم].

(٥٠) البيروكسيد: هو أكسيد يحوي نسبة عالية من الأكسجين، ويمكن استخدامه لتبييض الشعر [المترجم].

(٥١) أي نحو ١١٣ كلغ [المترجم].

ليدلي بدلوه في الحديث، فيما يبدو. وكان هناك سويديان. وكان هناك هنديان يجلسان على طرف المقعد، وواحد يقف متكئا على الجدار.

قال لي الرجل المتحفز للإدلاء بدلوه في الحديث بصوت خفيض «لابد أن الصعود عليها كالصعود على رأس بيدر من القش».

ضحكت ونقلت لتومي ما سمعت.

«أقسم إنني لم أر بحياتي مكانا مثل هذا»، قال لي. «انظر إليهن الثلاث».

«كم عمركما، أيها الصبيان؟» سألنا الطباخ.

«أنا ست وتسعون وهو تسع وستون»، رد عليه توم.

«ها! ها! ها!» راحت المومس الضخمة تضحك وتهتز من الضحك. كان لها صوت عذب حقا. لم تبتسم المومسات الأخريات.

«ألا يمكنك أن تكون لبقا؟» قال الطباخ. «لقد سألتكما من باب التواد لا أكثر».

«واحد في السابعة عشرة والآخر في التاسعة عشرة»، قلت له.

«ما مشكلتك؟» قال توم وهو يلتفت إلي.

«ليس في الأمر مشكلة».

«يمكنك أن تناديني أليس»، قالت المومس الهائلة ثم راحت تهتز ثانية.

«هل هذا هو اسمك؟» سألها توم.

«أؤكد لك أنه أليس»، قالت له. «أليس كذلك؟» قالت وهي تلتفت إلى الرجل الذي يجلس بجانب الطباخ.

«إنه أليس، نعم».

«هذا اسم تتمنين أن يكون لك»، قال الطباخ.

«إنه اسمي الحقيقي»، قالت أليس.

«ما أسماء الفتيات الأخريات؟» سألها توم.

«هيزل وإيثل»، قالت أليس، فابتسمت كل من هيزل وإيثل. كانتا بليدتين.

«ما اسمك؟» سألت إحدى الشقراوين.

«فرانسس»، قالت لي.

«فرانسس ماذا؟».

«فرانسس ولسن. ماذا يهمك من اسمي؟».

«وما اسمك أنت؟» سألت الأخرى.

«إياك أن تتواقح معي»، قالت الأخرى.

«كل ما يريده هو أن نصبح جميعنا أصدقاء»، قال الرجل الذي تحدث. «ألا تريدين أن نصير أصدقاء؟».

«لا»، قالت آنسة البيروكسيد. «ليس مع أمثالك».

«ما هي إلا نافثة لهب»، قال الرجل. «نافثة لهب صغيرة»(٥٢).

نظرت إحدى الشقراوين إلى الأخرى وهزت رأسها، ثم قالت:

«اللعنة على هؤلاء المتخلفين».

راحت أليس تضحك من جديد وتهتز من رأسها حتى قدميها.

---

(٥٢) نافثة اللهب: طائرة حربية، ويمكن أن تعني أيضا «شخص سريع الغضب»، لاسيما من النساء أو الفتيات [المترجم].

«لا يوجد ما يضحك»، قال الطباخ. «أنتن جميعا تضحكن بلا سبب. وأنتما، أيها الصبيان، إلى أين وجهتكما؟».

«أنت، أين وجهتك؟» سأله توم.

«أريد أن أذهب إلى كاديلاك»[٥٣]، قال الطباخ. «هل سبق لك أن زرتها؟ أختي تعيش هناك».

«هو الأخت بعينها»، قال الرجل ذو البنطال الذي يشبه رقعة الشطرنج.

«ألا تكف عن هذا؟» قال الطباخ. «ألا يمكننا أن نتحدث بلباقة؟»

«كاديلاك هي موطن ستيف كتشل وآد وولغاست»، قال الرجل الخجول[٥٤].

« ستيف كتشل»، قالت إحدى الشقراوين بصوت عال كما لو أن اسمه قدح شيئا في داخلها. «لقد أطلق عليه والده النار فأرداه قتيلا[٥٥] نعم، والده هو الذي قتله. لم يعد هناك رجال مثل ستيف كتشل».

«ألم يكن اسمه ستانلي كتشل؟» سألها الطباخ.

«أوه، اخرس أنت»، قالت له هذه الشقراء. «وما الذي تعرفه أنت عن ستيف؟ ستانلي! أي ستانلي؟ كان ستيف كتشل أروع إنسان وأجملهم في الوجود. لم أر في حياتي رجلا يشبه ستيف

---

(٥٣) تقع بلدة كاديلاك في الشمال الغربي من ولاية مشيغن الأمريكية [المترجم].

(٥٤) ستانلي كتشل (١٨٨٦ - ١٩١٠): ملاكم أمريكي من أصل بولندي، أحرز بطولة العالم للوزن المتوسط وهو في الحادية والعشرين. كان وسيما جدا وسخيا يحب حياة المجون والترف، وكان معروفا لدى أصدقائه بلقب «ستيف»، قتل وهو في الرابعة والعشرين من عمره برصاصة من رجل غيور على زوجته. آد وولغاست (١٨٨٨ - ١٩٥٥) أيضا ملاكم أمريكي.

(٥٥) من الواضح أن هذه الشقراء لا تعرف كتشل معرفة وثيقة كما تدعي. قارن بين ما تدعيه عن حياته ومماته مع ما ورد عن سيرته في الحاشية السابقة [المترجم].

كتشـــل في نظافته وبياضه ووســـامته. لم يخلق رجل مثله. كان ينساب كالنمر، وكان أجمل من في الوجود وأكرمهم».

«هل كنت تعرفينه؟» سألها أحد الرجال.

«هل كنـــت أعرفه؟ هل كنـــت أعرفه؟ هل كنـــت أحبه؟ أنت، تسألني؟ لقد عرفته كما لم تعرف أنت أحدا في الوجود، وأحببته. لقد كان ســـتيف كتشـــل خير الرجال عظمة وروعة وجمالا، وقد أرداه أبوه قتيلا كالكلب».

«هل رافقته في رحلته إلى الساحل؟»

«لا، لقـــد عرفتـــه قبل ذلك. لقـــد كان الرجـــل الوحيد الذي أحببته».

كان الجميع يبدون احتراما لشقراء الپيروكسيد التي قالت كل هذا بصوت تمثيلي جهور، لكن أليس راحت تهتز ثانية. كنت، وأنا جالس بقربها، أشعر باهتزازها.

«كان يجب أن تتزوجيه»، قال الطباخ.

«لم أكـــن أريـــد أن أحطم مســـتقبله المهني»، قالت شـــقراء الپيروكســـيد. «لم أكن أريد أن أكون عائقا له. لم يكن في حاجة إلى زوجة. يا إلهي، ما أروعه رجلا بين الرجال».

«هذا تخريج جيد للأمر»، قال الطباخ. «لكن ألم يهزمه جاك جونسن؟» (٥٦).

«كانت خدعة»، قالت شـــقراء الپيروكســـيد. «لقد غافله ذلك الحقير الهائل وأخذه على حين غرة. كان ســـتيف قد بطح جاك

---

(٥٦) جاك جونسن (١٨٧٨ - ١٩٤٦): أول ملاكم أمريكي أسود يحرز بطولة العالم للوزن الثقيل. تبارز جونسن مع كتشل العام ١٩٠٩، وكان يتفوق عليه بمقدار ٤٠ رطلا، فهزمه جونسن في الجولة الثانية عشرة بعد أن كسر أربعا من أسنانه، وظل كتشل فاقدا الوعي لمدة ساعة [المترجم].

جونسـون أرضا، ذلك النغل الأسـود الضخم. لقـد هزمه ذلك الزنجي بضربة حظ».

فتح شباك التذاكر، فتقدم نحوها الهنود الثلاثة.

«لقد بطحه سـتيف أرضا»، قالت شـقراء البيروكسيد. «ثم التفت إلي وابتسم».

«أظنك قلـت إنك لم ترافقيه في رحلته إلى السـاحل»، قال أحد الرجال.

«لقـد ذهبت لحضور تلك المباراة بالذات. التفت إلي سـتيف وابتسم، فقفز الأسود الجهنمي وغافله بضربة مفاجئة. يستطيع ستيف أن يهزم مائة من أمثال ذلك النغل الأسود».

«لقد كان ملاكا عظيما»، قال الخشاب.

«آمل من الله أن يكون كذلك»، قالت شقراء البيروكسيد. «آمل مـن الله ألا يوجد ملاكمون مثله الآن. لقد كان شـديد البياض والنظافة والجمال، ورشيقا سريعا تحسبه نمرا أو برقا».

«لقـد رأيناه في لقطات سـينمائية للمبـاراة»، قال توم. لقد كنـا جميعا متأثرين جدا بما قالته الشـقراء. كانت أليس تهتز، وعندمـا نظرت إليها وجدتها تبكـي. كان الهنود قد خرجوا إلى رصيف المحطة.

«لقد كان بالنسبة إلي أكثر من زوج»، قالت شقراء البيروكسيد. «لقـد كنا متزوجين أمام الله وأنـا زوجته اليوم وغدا وكياني كله ملـك له. لا يهمني جسـدي. يمكنهم أن يأخذوا جسـدي. لكن روحي ملك لسـتيف كتشـل. أقسـم بالله إنه كان رجلا ولا كل الرجال».

شعر الجميع بالأســى، إذ كان الأمر محزنا ومحرجا، عندئذ تكلمــت أليس التي كانت لا تزال تهتز وقالت، «أنت كاذبة قذرة». قالت ذلك بصوتها الخفيض المعهود.

«كيف تقولين هذا؟» قالت شقراء البيروكسيد باعتداد.

«أقولــه لأنه الحقيقة»، قالت أليس. «أنا الوحيدة هنا التي كانت تعرف ستيف كتشــل وأنا من مانسلونا[٥٧] وكنت أعرفه هناك، وهذه هي الحقيقة وأنت تعرفينها، وقاتلني الله إن كانت غير ذلك».

«وليقاتلني الله أيضا»، قالت شقراء البيروكسيد.

«هذه هي الحقيقة التي لا جدال فيها، وأنت تعرفينها. إنها ليست تلفيقا وأنا أعرف تماما ما قاله لي».

«ماذا قال لك؟» سألتها شقراء البيروكسيد، والرضا باد عليها.

كانت أليس تبكي فلم تتمكن من الحديث إلا بشــق الأنفس. «لقد قال لي، أنت قطعة رائعة، يا أليس. هذه هي كلماته لي بالضبط».

«هذه كذبة»، قالت شقراء البيروكسيد.

«بل هي الحقيقة»، قالت أليس. «هذا في الحقيقة ما قاله».

«هذه كذبة»، قالت شقراء البيروكسيد باعتداد.

«بــل هي الحقيقة التــي لا جدال فيها، الحقيقــة الناصعة مثل الشمس».

«لا يمكن أن يقول ســتيف مثل هذا. لم تكن هذه طريقته في الكلام»، قالت شقراء البيروكسيد بسعادة.

«بل هــي الحقيقة»، قالت أليس بصوتها الجميل. «ولا يهمني إن كنت تصدقينها أم لا». لم تعد تبكي، بل هدأت الآن.

(٥٧) تقع بلدة مانســلونا إلى شمال كاديلاك، موطن كتشــل، وتبعد عنها مسافة ليست بالقليلة [المترجم].

«يستحيل أن يقول ستيف مثل هذا»، أعلنت شقراء البيروكسيد.

«لقد قال ذلك»، قالت أليس مبتسمة. «ولا أزال أذكر متى قالها، وقد كنت فعلا قطعة رائعة حينها، تماما كما قال، وأنا الآن قطعة أروع منك، أيتها القربة العجفاء».

«كفي عن إهانتي، يا جبل القيح الهائل»، قالت شقراء البيروكسيد. «مازلت أحتفظ بذكرياتي».

«لا»، قالت أليس بصوتها الرائع العذب. «في الواقع أنت لا تتذكرين غير استئصال أنابيبك، ودورة العناية والصيانة التي خضعت لها، وكل ما عدا ذلك قرأته في الصحف. أنا نظيفة وأنت تعرفين ذلك، والرجال يحبونني رغم ضخامتي، وأنت تعرفين ذلك، وأنا لا أكذب، وأنت تعرفين ذلك».

«اتركيني مع ذكرياتي»، قالت شقراء البيروكسيد. «مع ذكرياتي الحقيقية الرائعة».

نظرت إليها أليس ثم إلينا، فاختفت من وجهها نظرة الخذلان، وابتسمت فإذا بوجهها يكاد يكون أجمل وجه رأيته في حياتي. كان وجهها جميلا وبشرتها رقيقة جميلة، وصوتها جميلا، وكانت بحق رائعة وودودة. لكنها، وحق الله، ضخمة. كانت ضخمة بحجم ثلاث نساء. رآني توم أنظر إليها، فقال، «هيا بنا. دعنا نذهب».

«وداعا»، قالت أليس، وكان صوتها عذبا حقا.

«وداعا»، قلت لها.

«أي وجهة تقصدان، أيها الصبيان؟» سألنا الطباخ.

«عكس الوجهة التي تقصدها»، قال له توم.

كل عام وأنتم بخير
[١٩٣٣]

في تلك الأيام كانت المسافات جميعا مختلفة جدا، وكان الغبار يهب من التلال التي شقت وسويت، وكانت كانزس ستي أشبه ما تكون بإسطنبول. قد لا تصدق هذا، إذ لا أحد يصدقه، لكن هذه هي الحقيقة. كان الثلج يهطل عصر هذا اليوم، وفي نافذة العرض في إحدى وكالات بيع السيارات، وكانت مضاءة ولما يحل الظلام بعد، كانت هناك سيارة سباق ذات لون فضي، وقد كتبت على غطاء محركها عبارة «دان آرجان»(٥٨)، كنت أظن أن معناها الرقص الفضي أو الراقص الفضي، وقد احترت في أيهما تعني، لكنني سررت بمنظر السيارة وبمعرفتي لغة أجنبية، ومضيت في طريقي. كنت آتيا من صالون وولف إخوان الذي يقدم بالمجان عشاء مؤلفا من لحم الديك الرومي أيام عيد الميلاد وعيد الشكر(٥٩)، كنت أتجه صوب مستشفى المدينة القائم على تل مرتفع يطل على دخان المدينة ومبانيها وشوارعها. كان طبيبا الإسعاف الدكتور فشر والدكتور ولكوكس يجلسان في غرفة الاستقبال بالمستشفى. كان أحدهما يجلس وراء مكتب، والآخر على كرسي ملاصق للجدار.

---

(٥٨) عبارة فرنسية تعني: «بالفضة» [المترجم].

(٥٩) عيد الشكر: عيد قومي يحتفل به الأمريكيون في الخميس الرابع من شهر نوفمبر من كل عام، ويتألف العشاء التقليدي من لحم الديك الرومي، تخليدا للعشاء الأول الذي أقامه «الحجاج» البيوريتانيون العام ١٦٢١ في مستوطنة «بلمث» على الشاطئ الشمالي الشرقي للولايات المتحدة، وذلك بعد عام من وصولهم إلى تلك البقعة [المترجم].

كان الدكتور فشـــر نحيفا، رملي الشقار، له فم رقيق، وعينان ضاحكتـــان، ويـــدا لاعب ورق. أمـــا الدكتور ولكوكـــس فقد كان قصيرا، أسمر اللون، ويحمل كتابا مفهرسا بعنوان «رفيق الطبيب الشاب ودليله» يرجع إليه للتعرف على عوارض المرض وعلاجه. كان الكتاب أيضا مفهرســـا على نحـــو متقاطع بحيث إذا راجعه بشـــأن العوارض كان يعطيه التشخيص أيضا. كان الدكتور فشر قد اقترح أن تكون الطبعات القادمة للكتاب ذات فهرس متقاطع موســـع، بحيث إذا رجـــع الطبيب إلى الكتاب بشـــأن العلاجات الموصوفة، يســـتطيع أن يكتشف أيضا المرض وعوارضه، من باب «تحفيز الذاكرة» على حد تعبيره.

كانت لدى الدكتور ولكوكس حساسية تجاه هذا الكتاب، لكنه لم يكن يستغني عنه. كان مجلدا بجلد رخو وبحجم يناسب حجم جيب معطفه، وكان قد اشـــتراه بناء على نصيحة أحد أســـاتذته الذي قـــال له: «أنت يا ولكوكس لا تربطـــك بالطب رابطة، وقد بذلت ما في وسعي لمنع حصولك على الشهادة. لكن بما أنك الآن عضو في هذه المهنة العلمية، أنصحك باسم الإنسانية أن تقتني نســـخة من كتاب «رفيق الطبيب الشاب ودليله» وأن تســـتخدمه، يا دكتور ولكوكس. تعلم كيف تستخدمه».

لم ينبس الدكتور ولكوكس ببنت شـــفة، لكنه اشـــترى الدليل المجلد بالجلد في ذلك اليوم عينه.

«أهـــلا، يا هـــورس»، قال لي الدكتور فشـــر وأنا أدخل غرفة الاســـتقبال التي كانـــت تفوح منهـــا رائحة الســـجائر، وحمض الكربوليك، واليودوفورم، والمشع الحراري الفائق الحرارة.

«أهلا بكما، أيها السيدان»، قلت لهما.

«ما أخبار السـوق؟» سألني الدكتور فشر، وقد تصنَّع المغالاة في حديثه حتى بدا في قمة التأنق.

«الديك الرومي يقدم مجانا في صالون وولف».

«هل ساهمت؟».

«بشكل وافر».

«وحضر كثير من الرفاق؟».

«جميعهم. كل الموظفين».

«والفرح عامر بعيد الميلاد؟».

«لا، ليس كثيرا».

«لقد شـارك الدكتور ولكوكس مشاركة طفيفة»، قال الدكتور فشر. نظر إليه الدكتور ولكوكس، ثم إلي، ثم سألني:

«هل تريد مشروبا؟».

«لا، شكرا»، قلت له.

«لا عليك»، قال الدكتور ولكوكس.

«هـورس»، قـال الدكتور فشـر، «هـل تمانـع إن ناديتك هورس؟».

«لا».

«هـذا هو هـورس على عهـده. لقد كانت لدينـا حالة بالغة الإثارة».

«أي، نعم»، قال الدكتور ولكوكس.

«هل تعرف الصبي الذي جاء إلى هنا أمس؟».

«أي واحد؟».

«الصبي الذي جاء يريد أن يخصي نفسه».

«نعـــم». كنت حاضرا عندما جاء الصبي. كان في السادســـة عشـــرة تقريبا. جاء بلا قبعة على رأســـه، وكان شـــديد الإثارة والرهبة، لكنه كان عازما على ما جاء من أجله. كان أجعد الشعر، حسن البنية، بارز الشفتين.

«ما مشكلتك، يا بني؟» سأله الدكتور ولكوكس.

«أريد أن أخصي نفسي»، قال الصبي.

«لماذا؟» سأله الدكتور فشر.

«لقد صليت وفعلت كل ما في وسعي، ولا شيء يجدي».

«يجدي في ماذا؟».

«في تلك الشهوة الجهنمية».

«أي شهوة جهنمية؟».

«الشهوة التي تعتريني فلا أملك منها خلاصا. إني أقيم الليل في الصلاة بسببها».

«قل لي ماذا يحصل»، قال له الدكتور فشر.

فقـــال له الصبي. «اســـمع، يـــا بني»، قال له الدكتور فشـــر. «ليست لديك مشـــكلة. فهكذا يفترض أن تكون. ولا شيء معيب في الأمر».

«بل كل العيب فيه»، قال الصبي. «إنها إثم بحق الطهارة، وإثم بحق ربنا».

«لا»، قال الدكتور فشـــر. «إنـــه أمر طبيعي. هكذا يفترض أن تكون وفي المستقبل ستعرف أنك محظوظ».

«أوه، إنك لا تفهم»، قال له الصبي.

«اسمع»، قال له الدكتور فشر، ثم أخبره بعض الأمور.

«لا، لن أسمع. ولا يمكنك أن تجبرني على الاستماع».

«أرجوك، استمع إلي»، قال له الدكتور فشر.

«ما أنت إلا غبي ملعون»، قال الدكتور ولكوكس للصبي.

«إذن، لن تقوم بالعملية؟».

«عملية ماذا؟».

«عملية إخصائي».

«اسمع»، قال له الدكتور فشر. «لن يخصيك أحد. ولا عيب في جسمك. جسمك في صحة جيدة وعليك ألا تفكر في هذا الأمر. إن كنت متدينا فاعلم أن ما تشكو منه ليس إثما، بل وسيلة تحقق بها أحد المقدسات»(٦٠).

«لا أستطيع أن أوقف تلك الشهوة»، قال الصبي. «إني أصلي في الليل والنهار. إنها إثم، إثم مقيم بحق الطهر».

«إذن، فلتذهب و..». قال له الدكتور ولكوكس.

«عندما تتحدث هكذا، فأنا لا أسمعك»، قال الصبي بوقار للدكتور ولكوكس. «ألا تقوم بها؟ أرجوك»، قال متوسلا للدكتور فشر.

«لا»، قال له الدكتور فشر. «لقد قلت لك ذلك، يا بني».

«أخرجوه من هنا»، قال الدكتور ولكوكس.

«سأخرج بنفسي»، قال الصبي. «لا تلمسني. سأخرج بنفسي».

حدث هذا في الخامسة من اليوم السابق.

---

(٦٠) يعد الزواج أحد المقدسات عند المسيحيين، وهذا ما يشير إليه الدكتور فشر هنا [المترجم].

«وماذا جرى؟» سألتهما.

«لقد استقبلنا الصبي في الواحدة صباحا بعد أن شوه نفسه بشفرة حلاقة»، قال الدكتور فشر.

«مخصيا؟».

«لا»، قال الدكتور فشر. «لم يكن يعرف معنى الإخصاء».

«قد يموت»، قال الدكتور ولكوكس.

«لماذا؟».

«بسبب النزيف».

«لقد كان زميلي العزيز، الدكتور ولكوكس، هو الطبيب المناوب ولم يعثر على هذه الحالة الطارئة مدرجة في كتابه».

«كذبت!» قال الدكتور ولكوكس.

«لم أقصد الإساءة فيما قلت، يا دكتور»، قال الدكتور فشر، وهو ينظر إلى يديه اللتين لم تجلبا له سوى المتاعب، تؤازرهما في ذلك رغبة في مسايرة الآخرين وقلة احترامه للقوانين الفدرالية. «ويشهد هورس هذا أنني لم أقصد الإساءة. ما قام به الصبي، يا هورس، هو عملية بتر».

«حسن، أتمنى لو تكف عن الاستهزاء بي»، قال الدكتور ولكوكس. «لا داعي للاستهزاء».

«أأهزأ بك، يا دكتور، في ذكرى ميلاد مخلصنا؟».

«مخلصنا؟ ألست يهوديا؟» قال له الدكتور ولكوكس.

«وأنا كذلك. وأنا كذلك. هذا الأمر دائما يغيب عن بالي. لم أعط هذا الأمر أبدا ما يستحق من الأهمية. لقد أحسنت في تذكيري. إنه مخلصك. هذا صحيح. مخلصك أنت، إنه بلا شك

مخلصك أنت. ولا تنس عيد الشعانين»[٦١].

«إنك غاية في الذكاء»، قال الدكتور ولكوكس.

«هذا تشخيص ممتاز، يا دكتور. لقد كنت دائما غاية في الذكاء. دائما غاية في الذكاء على الساحل الغربي بلا منازع. اجتنب هذا الأمر، يا هورس. ليس لديك نزوع كبير في هذا الاتجاه، ولكني أحيانا أرى شيئا من الوميض. لكن ما أروع هذا التشخيص، لاسيما أنه أتى من دون كتاب».

«اذهب إلى الجحيم»، قال له الدكتور ولكوكس.

«في الوقت المناسب، يا دكتور»، قال الدكتور فشر. «كل شيء في أوانه. إن كان هناك مكان كهذا، فسأزوره بالتأكيد. في الحقيقة لقد تمكنت من رؤيته رؤية عابرة سريعة. كانت مجرد نظرة مختلسة. لكنني أشحت بناظري فورا. هل تعرف، يا هورس، ماذا قال الصبي عندما أدخله صاحبنا هذا؟ لقد قال، أوه، لقد طلبت منكم أن تقوموا بالعملية. لقد طلبت منكم عدة مرات».

«وفي عيد الميلاد أيضا!» قال الدكتور ولكوكس.

«ليس لهذا اليوم أي دلالة أو علاقة بالموضوع»، قال الدكتور فشر.

«ربما ليس بالنسبة إليك»، قال الدكتور ولكوكس.

«أتسمع ما يقوله، يا هورس؟» قال الدكتور فشر. «أتسمع ما يقول؟ ها قد اكتشف الطبيب نقطة ضعفي، أو كعب أخيل،

---

(٦١) يحتفل المسيحيون الغربيون، ككل المسيحيين في العالم ما عدا الأرمن، بعيد ميلاد المسيح في الخامس والعشرين من شهر ديسمبر من كل عام، وبعيد الشعانين في يوم الأحد الذي يسبق عيد الفصح الذي يحل بين ٢٢ مارس و٢٥ أبريل [المترجم].

إن جاز التعبير، ولن يتوقف حتى يشفي غليله»[٦٢].

«إنك غاية في الحذق والذكاء»، قال الدكتور ولكوكس.

(٦٢) أخيل: هو أحد أبطال حرب طروادة في الأسطورة اليونانية القديمة. كانت أمه قد أرادت منحه الخلود، فغطسته، وهو صغير، في نهر ستكس المقدس، إلا أن كعبه، الذي كانت تمسكه منه، لم يلامس الماء. وهكذا تمكن باريس، زوج هلن، من إصابته في كعبه فقتله. انظر إلياذة هوميروس [المترجم].

البحر سلطان
[١٩٣٣]

«حسن، وماذا في الأمر؟» قال الرجل.

«لا، لا أستطيع»، قالت الفتاة.

«تقصدين أنك لن تفعلي».

«بل لا أستطيع»، قالت الفتاة. «هذا كل ما *أقصده*».

«تقصدين أنك لن تفعلي».

«حسن»، قالت الفتاة. «افهمها كما تشاء».

«ليس الأمر كما أشاء. وأتمنى من الله لو كان كذلك».

«لقد أجريت مشيئتك لوقت طويل»، قالت الفتاة.

كان الوقت مبكرا، ولم يكن في المقهى سوى الساقي وهذين الشخصين اللذين كانا يجلسان معا إلى مائدة في إحدى الزوايا. كان الوقت في نهاية الصيف، وقد سفعت الشمس كلا منهما فظهرا كالشاذين في باريس. كانت الفتاة ترتدي بذلة من الصوف الخشن، وكانت بشرتها ذهبية سمراء ناعمة، وكان شعرها الأشقر قصيرا وينمو بشكل جميل بعيدا عن جبينها. نظر إليها الرجل وقال:

«سأقتلها».

«أرجوك ألا تفعل»، قالت له الفتاة. كانت يداها ناعمتين، فنظر إليهما الرجل. كانتا رشيقتين، وسمراوين، وجميلتين جدا.

«سأفعل. أقسم بالله إنني سأفعل».

«لن يسعدك إن فعلت».

«أمـــا وجدت غير هذا الذي تورطت فيه؟ أما كان بإمكانك أن تتورطي في غير هذه الورطة؟».

«لا»، قالت الفتاة. «ماذا سنفعل بشأنها؟».

«لقد قلت لك».

«لا، أقصد ماذا سنفعل في الحقيقة».

«لا أعـــرف»، قال لها. نظرت إليه ومـــدت إليه يدها وقالت، «مسكين يا فل». نظر إلى يديها، لكنه لم يلمس يدها بيده.

«لا، شكرا».

«ألا يجدي لو قلت لك إني آسفة؟».

«لا».

«ولا إذا أخبرتك كيف تم الأمر؟»

«أفضل ألا أسمعه».

«لكني أحبك حبا جما».

«أجل، هذا برهان حبك».

«أنا آسفة إن كنت لا تفهمني»، قالت له.

«بل أفهمك. هذه هي المشكلة. أفهمك».

«تفهمني»، قالت له. «وهذا يزيد الطين بلة، بالطبع».

«بالتأكيد»، قال وهو ينظر إليها. «لن أتوقف عن الفهم مطلقا. لا في الليل ولا في النهار. لا ســيما في الليل. سأفهم. لا تقلقي بشأن هذا الأمر».

«أنا آسفة»، قالت له.

«لو كان رجلا...».

«لا تقل ذلك. لن يكون رجلا. أنت تعلم ذلك. ألا تثق بي؟».

«هذا أمر غريب»، قال لها. «أثق بك؟ هذا مضحك حقا».

«أنا آسفة»، قالت له. «هذا كل ما أستطيع أن أقوله. لكن عندما نكون متفاهمين، فعلينا ألا نتظاهر بعكس ذلك».

«أجل»، قال لها. «أعتقد أنك محقة».

«سأعود إن أردتني».

«لا، لا أريدك».

ثم مرت لحظة لم ينبسا فيها ببنت شفة.

«ألا تعتقد أنني أحبك؟» سألت الفتاة.

«لا أريد أن أخوض في هذا الهراء»، قال الرجل.

«ألا تعتقد أنني أحبك؟».

«ولماذا لا تبرهنين على ذلك؟»

«لم تكن هكذا من قبل. لم تطلب مني قط أن أبرهن لك على شيء. ليس هذا من الأدب في شيء».

«أنت فتاة غريبة».

«أما أنت فلست كذلك. أنت إنسان رائع، وسينفطر قلبي لو رحلت وتركتك..».

«لكنك مضطرة، بطبيعة الحال».

«أجل»، قالت له. «أنا مضطرة وأنت تعرف ذلك».

لم تقل شيئا، بل نظرت إليه ومدت يدها نحوه. كان الساقي في أقصى زاوية في المقهى. كان وجهه أبيض وكذلك كانت سترته. كان يعرف هذين الشخصين وكان يعتقد أنهما ثنائي يتسم بالشباب والوسامة. لقد رأى كثيرا من أمثالهما ينفصلون ويدخلون في علاقات جديدة لكن وسامتهم لا تدوم طويلا.

لم يكن يفكر في هذا الأمر، بل في حصان. خلال نصف ساعة سيرسل من يستطلع له على الجهة المقابلة من الشارع إن كان الحصان قد ربح أم لا.

«ألا يمكنك أن تطلق سراحي بمعروف؟» قالت له الفتاة.

«وماذا تظنين أنني سأفعل؟».

دخل شخصان واتجها نحو البار.

«نعم، يا سيدي»، قال الساقي وهو يأخذ طلباتهما.

«ألا يمكنك أن تغفر لي لا سيما أنك تعرف حقيقة ما جرى؟» قالت له الفتاة.

«لا».

«ألا تعتقد أن ما بيننا وما فعلناه يجب أن يجعلاك أكثر تفهما؟».

«إن الرذيلة مسخ ذو وجه رهيب لا يتطلب من المرء سوى نظرة واحدة لكي يعرف أنه إما هذا وإما ذاك»، قال الشاب بمرارة. «وبعدها نفعل كذا وكذا ثم نعتنقها». لم يعد قادرا على تذكر الكلمات. «لست أذكر الاقتباس بحذافيره»[٦٣].

«دعنا نتجنب استخدام كلمة رذيلة، إذ إنها كلمة غير لائقة»، قالت له الفتاة.

«شذوذ»، رد عليها.

«جيمس، إنك تبدو في أحسن حال»، قال أحد الزبائن مخاطبا ساقي الحانة.

---

(٦٣) هذا قول مقتبس من قصيدة للشاعر الإنجليزي ألكساندر پوپ (١٦٨٨ - ١٧٤٤) وترجمته كما يلي: «إن الرذيلة مسخ ذو وجه رهيب/ لا تحتاج إلا إلى نظرة كي نكرهها/ لكن إن رأيناها كثيرا، وألفنا وجهها/ فإننا نحتملها أولا، ثم نشفق عليها، ثم نعتنقها» [المترجم].

«وأنت كذلك»، رد عليه ساقي المقهى.

«جيمس، أيها العجوز»، قال الزبون الآخر، «لقد سمنت، يا جيمس».

«إن زيادة وزني أمر فظيع»، قال ساقي المقهى.

«لا تنس أن تضيف المشروب، يا جيمس»، قال الزبون الأول.

«لا، سيدي»، قال ساقي المقهى. «اطمئن».

نظر الاثنان الجالسان عند حافة المقهى إلى الاثنين الجالسين إلى الطاولة، ثم راحا ينظران مرة أخرى باتجاه ساقي المقهى حيث ارتاحا لهذا الاتجاه أكثر.

«حبذا لو امتنعت عن استخدام مثل هذه الألفاظ»، قالت الفتاة. «إذ لا توجد ضرورة لاستخدام مثل هذه الكلمات».

«وماذا تريدينني أن أسميها؟».

«لست مدعوا لتسميتها. لا ترهق نفسك بإيجاد اسم لها».

«بل هذا هو اسمها».

«لا»، قالت الفتاة. «نحن مكونون مما هب ودب من الأشياء، وأنت تعلم ذلك جيدا، وقد كنت تحسن استخدام ذلك».

«ما كان يجب أن تقولي ذلك ثانية».

«قلت ذلك لأنه يشرح لك الأمر بشكل جلي».

«لا بأس، لا بأس»، قال لها.

«بل تقصد عكس ذلك. إنني أعلم أن كل ذلك خطأ، لكنني سأعود. لقد قلت لك إنني سأعود. وسأعود حالا».

«لا، لن تفعلي».

«بل سأعود».

«لا، لن تفعلي. لن تعودي إلي».

«سترى».

«نعم»، قال لها. «وهذه هي الطامة الكبرى. ربما ستعودين».

«بالطبع سأعود».

«إذن، فلتذهبي».

«حقا؟» سألت غير مصدقة، وكانت السعادة بادية في صوتها.

«هيا، اذهبي»، قال لها وقد بدا صوته غريبا له. كان ينظر إليها وإلى شكل فمها، واستدارة وجنتيها، وعينيها وشعرها النابت في جبهتها، وطرف أذنها ورقبتها.

«أحقا ما تقول؟ آه، ما أروعك! إنك أطيب من أن أستحقك».

«وعندما تعودين، أخبريني عن كل ما جرى». بدا صوته غريبا جدا إلى درجة أنه لم يعرفه. نظرت إليه نظرة خاطفة. كان غارقا في أمرما.

«أتريدني أن أذهب؟» سألته بجدية.

«نعم»، قال لها بجدية. «وفي الحال». لم يعد صوته كما عهده، وصار فمه شديد الجفاف. «الآن»، قال لها.

نهضت وخرجت بسرعة. لم تلتفت إليه. راقبها وهي تذهب. لم يعد مظهره كمظهره حين قال لها أن تذهب. هبَّ واقفا وحمل فاتورتي الحساب وتوجه بهما إلى البار.

«أنا رجل مختلف، يا جيمس»، قال لساقي الحانة. «إنك ترى فيَّ رجلا مختلفا تماما».

«أجل، يا سيدي».

«إن الرذيلة شيء غريب جدا، يا جيمس»، قال الشاب الأسمر. نظر من الباب ورآها تمضي نزولا في الشـــارع. نظر في الزجاج فرأى أنه رجل مختلف المظهر تماما. انزاح الجالسان عند حافة المقهى عنه قليلا ليفسحا له المجال.

«إنك محق تماما، يا سيدي»، قال له جيمس.

أفسح له الآخران المجال أكثر كي يكون في تمام الراحة. رأى الشـــاب نفسه في المرآة خلف حافة المقهى. «لقد قلت إنني رجل مختلــف، يا جيمس». ثم نظر في المرآة ورأى أن ما قاله صحيح تماما.

«إنك تبدو على خير ما يرام، يا ســيــدي»، قال له جيــمس. «لا بد أنك قضيت صيفا ممتعا».

دربك محال محال
[١٩٣٣]

بعد أن نجح الهجوم في اختراق الحقل، تمكنت نيران المدافع الرشاشــة الآتية من الطريق المنخفضة وبيوت المزارعين من أن تعيــق تقدمه، لكن البلدة لم تبــد أي مقاومة فتوقف عند ضفة النهر. كان نك آدمز يســير على الطريق راكبا دراجة، وكان ينزل من حين إلى آخر ليدفعها عندما تصبح الطريق مملوءة بالحفر، فرأى من وضعية الموتى حقيقة ما جرى.

كانــوا إما فرادى أو مكومين بين أعشــاب الحقــل الطويلة أو علــى قارعــة الطريق، وكانت جيوبهم مقلوبــة، وكان الذباب يحــوم فوق الجثث، وحول كل جثة أو مجموعة من الجثث تتناثر الأوراق(٦٤).

كانت الأعشاب والمزروعات على جانب الطريق، وكانت بعض مــن أجزائه تزدحم بمختلف أنواع العتاد: مطبخ ميداني جيء به عندما كانت الأمور تســير سيرا حسنا، كثير من جرابات المؤونة المغطــاة بجلد الأبقار، قنابل، خوذات، بنادق أخمصها في الهواء أحيانــا وحربتها في التــراب، أدوات لحفر الخنــادق، صناديق ذخيرة، مسدســات تتناثر أعيرتهــا اللامعة هنا وهناك، معدات طبية شخصية، أقنعة غاز، علب أقنعة غاز فارغة، مريض، مدافع رشاشــة ذات حوامــل ثلاثية تحيط بها طلقــات ذخيرة فارغة،

---

(٦٤) راجــع وصــف الموتى الذي أورده همنغــواي في قصة «التاريخ الطبيعــي للموتى» في هذا المجلد، وهي قصة واقعية عن الهجوم النمســاوي في يونيو ١٩١٨ في إيطاليا، الذي يشكل أيضا الخلفية التاريخية لقصة «دربك محال، محال» [المترجم].

أحزمة ذخيرة ملأى وناتئة من صناديقها، صندوق لتبريد المياه مقلوب على أحد جانبيه، مغلاق ماسورة مفقود، وأفراد الطاقم مبعثرون هنا وهناك، وتتناثر حولهم بين الأعشاب ما هب ودب من الأوراق.

كانت هناك كتب لصلاة القداس وبطاقات بريدية بالجملة تظهر فيها وحدة المدافع الرشاشة وعناصرها مصطفون ومبتهجون ومتوردو اللون كأنهم في صورة لمباراة في كرة القدم معدة من أجل الكتاب السنوي لإحدى الجامعات. أما الآن فقد تكوموا وتورموا بين الأعشاب، وكانت هناك بطاقات دعاية يظهر فيها جندي بالزي العسكري النمساوي مع امرأة. كانت هذه البطاقات التحريضية متوافرة بكثرة ويبدو أنها أصدرت قبيل الهجوم[٦٥]، أما الآن فقد تناثرت مع البطاقات البريدية الملطخة، والصور الصغيرة لفتيات القرية التي التقطها مصورو القرية، وصور الأطفال القليلة، وأكداس الرسائل هنا وهناك. لا تخلو مواقع الموتى أبدا من الأوراق، وما خلفه هذا الهجوم لم يكن استثناء.

مات هؤلاء حديثا ولم يكترث أحد إلا لجيوبهم. لاحظ نك أن موتانا، أو ما خيل إليه أنهم موتانا، كانوا قلة على نحو مستغرب. كانت معاطفهم مفتوحة أيضا وجيوبهم مقلوبة، لكن وضعياتهم أظهرت كيفية الهجوم وبراعته. لم يكترث الطقس الحار لجنسياتهم عندما جعلهم جميعا متساوين في التورم.

(٦٥) يبدو أن هذه البطاقات أصدرت من باب الدعاية التي تصور الحرب كأنها مغامرة غرامية [المترجم].

يبـــدو أنه في النهاية جرى الدفاع عن البلدة من خط الطريق المنخفض، ولم يعد إليها من النمســـاويين إلا عدد قليل لا يذكر. لم يكن في الشـــارع ســـوى ثلاث جثث، ويبدو أن أصحابها قتلوا وهم يركضون. بيوت القرية مزقها القصف، وكان الشارع يزدحم بالأنقاض المؤلفة من الجص والملاط والدعائم المهشمة والبلاط المكسر، وحفر كثيرة اصفرت حواف بعضها بسبب غاز الخردل. كانـــت هناك كثير من قطع كثيرة مـــن مظروفات البارود، وكانت القنابل المتشظية تتناثر بين الأنقاض. لم يكن في البلدة أحد.

لم ير نك آدمز أحدا منذ أن غادر فورناســـي[٦٦]، مع أنه كان عندما يركب دراجته عبر الريف المورق، كان يرى مدافع تســـتتر خلف أوراق التوت إلى يســـار الطريق. كان ما يشد انتباهه إليها هو انبعاث موجات الحرارة من بين الأوراق عندما تصطدم أشعة الشـــمس بالمعدن. راح الآن يمضي عبر البلدة التي يستغرب أنها مهجـــورة، وغادرها علـــى الطريق المنخفض تحـــت ضفة النهر. لدى مغادرة نك البلدة وجد فســـحة مترامية جرداء عند منحدر الطريق، فتمكن من رؤية منبسط النهر الرائق والمنعطف الخفيض للضفـــة المقابلة حيث كان النمســـاويون يتحصنون في خنادقهم. كان كل شيء يضج بالخضرة على نحو لم يعهده حين غادر البلدة آخـــر مرة، لكن أدنى النهر ظل غيـــر مكترث لأهميتها التاريخية الطارئة.

كانت الكتيبة تنتشر على الضفة اليسرى. كانت هناك سلسلة مـــن الحفر في أعلى الضفة وفيهـــا بضعة رجال. لاحظ نك أين

(٦٦) تقع فورناســـي في الجنوب الغربي لإيطاليا، وهي تطل على خليج مســـينا الذي يفصل بين إيطاليا وجزيرة صقلية [المترجم].

ترتكز المدافع الرشاشة كما شاهد شهب الإشارة مكدسة في رفوفها. كان الرجال ينامون في الحفر التي بجانب الضفة. لم يعترض طريقه أحد. تابع مسيره وعندما انعطف عند أحد المنعطفات في الضفة الطينية وجد ملازما شابا ذا لحية لم تحلق منذ أيام وعينين بلون الدم، وجده يصوب مسدسا نحوه.

«من أنت؟».

أخبره نك من هو.

«وكيف لي أن أعرف هذا؟».

أراه نك بطاقة هويته وصورته عليها، ممهورة بختم الجيش الثالث. أخذها الضابط وقال:

«سأحتفظ بهذه».

«لن يكون لك هذا»، قال له نك. «أعطني البطاقة وأبعد عني مسدسك. هناك. في جرابه».

«وكيف لي أن أعرف من أنت؟».

«البطاقة تقول لك».

«وإن كانت البطاقة مزورة؟ أعطني تلك البطاقة».

«لا تكن أحمق»، قال له نك مداعبا. «خذني إلى قائد سريتك».

«يجب أن أرسلك إلى مقر قيادة الكتيبة».

«لا بأس»، قال نك. «قل لي، هل تعرف النقيب پارافيسيني؟ ذلك الرجل الطويل ذي الشارب الصغير الذي كان مهندسا معماريا ويتحدث الإنجليزية؟».

«أتعرفه؟».

«قليلا».

«أي سرية يقود؟».

«الثانية».

«إنه الآن قائد الكتيبة».

«رائـــع»، قال نك. لقد ســـره أن يعرف أن پـــارا بخير. «دعنا نذهب إلى الكتيبة».

عندما غادر نك طرف البلدة انفجرت ثلاث قنابل متشـــظية فـــوق أحد المنازل المدمرة وعلى جانبـــه الأيمن، وانقطع القصف بعـــد ذلك. لكن وجـــه هذا الضابط بدا كأنـــه وجه رجل تعرض للقصف. كان وجهه مشـــدودا ولم تكن نبرة صوته طبيعية، وكان نك متوترا من مسدسه.

«أبعـــده عني»، قـــال له نـــك. «إن النهر بأكملـــه يحول بينك وبينهم».

«لـــو ظننت أنك جاســـوس لأطلقـــت النار عليـــك الآن»، قال الملازم.

«هيا بنا»، قال له نـــك. «دعنا نذهب إلى الكتيبة». لقد جعله هذا الملازم شديد التوتر.

كان النقيب پارافيســـيني، الذي ينوب مناب رائد مؤقتا، أكثر نحافة وملامحه أكثر إنجليزيـــة من قبل. نهض عندما حياه نك من خلف الطاولة في المخبأ الذي كان مقر قيادة الكتيبة.

«أهلا بك»، قال له. «لم أعرفك. ماذا تفعل بهذا الزي؟».

«لقد ألبسوني إياه».

«أنا سعيد جدا برؤيتك، يا نيكولو».

«من دون شك. تبدو بخير. كيف كان العرض؟».

«لقد قمنا بهجوم رائع جدا. حقا. هجوم رائع جدا. سأريك. انظر».

أراه على الخريطة كيف سار الهجوم.

«لقد جئت من فورناسي»، قال نك. «وقد عرفت كيف سار الهجوم. كان هجوما جيدا».

«بل كان ممتازا. كان على العموم ممتازا. هل لك علاقة بالفوج؟».

«لا. بل أنا مطالب بالتجوال لكي يروني بهذا الزي».

«هذا غريب».

«لو رأوا زيا أمريكيا واحدا، لاعتقدوا أن الآخرين قادمون».

«لكن كيف لهم أن يعرفوا أنه زي أمريكي؟».

«أنت ستقول لهم».

«أوه، طبعا. لقد فهمت الآن. سأرسل معك عريفا ليتجول معك على خطوط الجبهة».

«مثل سياسي لعين»، قال نك.

«كان بإمكانك أن تكون أكثر تميزا بملابس مدنية. إنها حقا أكثر تميزا».

«مع طاقية هامبورغية»، قال نك.

«أو طاقية فيدورا الصوفية».

«يفترض أن تكون جيوبي مملوءة بالسجائر والبطاقات البريدية وما شابهها»، قال نك. «وأن تكون عندي حقيبة مملوءة بالشوكولاتة. وعلي أن أوزع مع كل حبة كلمة لطيفة وتربيتة

علـى الظهر. لكـن لم تكن هناك سـجائر أو بطاقات بريدية أو شوكولاتة. لذلك قالوا لي أن أتجول في كل الأحوال».

«أنا واثق بأن وجودك سيثلج صدور الجنود».

«أتمنى لو تكف عن هذا القول»، قال نك. «إذ يكفيني ما أشعر به من إحـراج. من حيث المبدأ، كان علـي أن أجلب لك زجاجة مشروب».

«مـن حيث المبدأ»، قال پارا وابتسـم للمـرة الأولى، فظهرت أسنانه الصفراء. «هذا تعبير جميل. هل تريد بعض الغراپا؟».

«لا، شكرا لك»، قال نك.

«إنها بلا إتير».

«لا يزال مذاقها في فمي»، قال نك، وطوفان الذكريات ينداح عليه فجأة.

«هل تعلم أنني لم أعرف أنك ثمل إلى أن رحت تتحدث ونحن عائدون في الشاحنات؟».

«لقد فشلت فشلا ذريعا في كل هجوم»، قال نك.

«لا يمكننـي فعل ذلك»، قال پارا. «لقد فعلت ذلك في العرض الأول، نعم، في العرض الأول، ولم يفلح ذلك إلا في جعلي منزعجا جدا وعطشا جدا إلى درجة مخيفة».

«لست في حاجة إليه».

«أنت أكثر شجاعة مني في الهجوم».

«لا»، قـال نـك. «أنا أعرف من أنا، وأفضل أن أكون فاشـلا ولست أخجل من ذلك».

«لم أرك ثملا قط».

«حقا؟» سـألـه نك. «قط؟ ولا حتى عندما ركبنا من ميستري إلـى پورتوغراند[٦٧] في تلك الليلـة، وأردت أن ألتحف بالدراجة بدلا من البطانية، ووضعتها تحت ذقني؟».

«لم يكن ذلك في الجبهة».

«لنكـف عن الحديـث عني»، قال نك. «فمـا أعرفه عن هذا الموضوع يجعلني غير راغب في التفكير فيه إطلاقا».

«يجدر بك أن تتريث هنا قليلا»، قال پارافيسيني. «يمكنك أن تأخذ قيلولة إن شـئت. لم يتأثر هـذا المكان كثيرا بالقصف. إن الطقس شديد الحرارة ولا يسمح بالخروج».

«أظن أنه لا يوجد داع للاستعجال».

«كيف حالك، حقيقة؟».

«أنا بخير. على خير ما يرام».

«لا. لقد قصدت حقيقة».

«أنا بخير. لا أسـتطيع أن أنام من غير إضاءة أيا كانت. هذا ما لدي الآن».

«لقد قلت لك كان عليهم أن ينشـروا الجمجمة. لست طبيبا لكنني أعرف ذلك».

«لقد حبذوا أن يتركوها تمتص، وهذا ما لدي. لماذا؟ هل تظن أنني مجنون؟».

«بل تبدو في خير حال».

«إذا حكموا عليك بالجنون، فسـتعيش في جحيم مقيم»، قال نك. «إذ لا يعود أحد يثق بك ثانية».

---

(٦٧) كلتا المدينتين على الساحل الشمالي الشرقي لإيطاليا [المترجم].

«خـذ قيلولة، يا نيكولـو»، قال پارافيسيني. «ليس هذا هو مقر قيادة الكتيبة الذي عهدناه. نحن ننتظر إلى أن نسحب إلى مواقعنا. يجب ألا تخرج في هذا الحر الآن، إنه أمر مناف للعقل. استخدم ذلك السرير».

«يجدر بي أن أستلقي»، قال نك.

استلقى نك على السرير. خاب أمله لأنه شعر بذلك الشعور على هذا النحو، وخاب أمله أكثر لأن الأمر لم يكن خافيا على النقيب پارافيسيني. لم يكن المخبأ كبيرا بحجم مخبأ تلك الفصيلة من مجندي العام ١٨٩٩ التي خرجت من فورها إلى الجبهة، فأصيب أفرادها بالهستيريا في القصف التمهيدي قبل الهجوم، ما اضطره، بأمر من پارا، إلى إخراجهم اثنين اثنين ليريهم أنه لن يحدث شيء، في حين أنه هو كان يضع رباط الذقن بإحكام على فمه لكي يمنع شفتيه من الارتجاف. كان يعلم أنهم لن يصمدوا حينما يباغتهم الهجوم. وكان يعلم أن كل ما يقوم به هو عنتريات فارغة، ما دام لا يستطيع أن يكف عن البكاء أو عن التفكير في تهشيم أنفه لكي يلهي ذهنه بشيء آخر. سأطلق النار على أحدهم، لكنه فات الأوان الآن. ستتردى حالهم أكثر. إذن، فليهشم أنفه. لقد أجلوه حتى الخامسة والثلث. ليس لدينا سوى أربع دقائق. أهشم أنف ذلك التافه الحقير وأرفسه في مؤخرته. هل تظن أنهم سيتزحزحون؟ إن لم يفعلوا، أطلق النار على اثنين وحاول أن تخرج البقية بطريقة أو بأخرى. ابق وراءهم، أيها الرقيب. لا فائدة من المسير في المقدمة إن لم يكن هناك من يتبعك. انزحهم كما ينزح الماء من السفينة. يا لها من

عنتريات فارغة. لا بأس. أجل، هذا صحيح. ثم ينظر بعدها إلى الساعة، ذات اللون الهادئ الثمين، «سافويا»[٦٨]. تعامل مع الأمر بهدوء، إذ ليس لديه وقت ليبحث عن شخصيته الحقيقية بعد ذلك الانهيار - انهار طرف بأكمله - الذي جعلهم يتحركون. تعامل مع الأمر بهدوء وهم يصعدون ذلك المنحدر، وكانت تلك أول مرة ينجز فيها عملا من غير أن يفشل. وبعد أن احترق بيت التلفريك، فيما يبدو، ونزل بعض الجرحى بعد أربعة أيام وبعضهم لم ينزل، لكننا صعدنا وعدنا ثم نزلنا، كنا دائما ننزل. وكانت هناك غابي دليس[٦٩] وهذا أمر عجيب، مكسوة بالريش، لقد وصفتني بالطفل الحبيب منذ سنة وقلت إن من دواعي سروري أن أعرف ذلك الطفل، بالريش أو من غيره، غابي تلك العظيمة، وأنا أيضا اسمي هاري پلسر[٧٠]، وكنا نترجل من الجانب الآخر لسيارات الأجرة عندما يصبح صعود الرابية شاهقا، وكان بإمكانه أن يرى تلك الرابية كل ليلة عندما يحلم بينما «القلب المقدس» تنتفخ بياضا مثل فقاعة صابون[٧١]، كانت حبيبته معه في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى مع غيره، فلم يكن يفهم

---

(٦٨) لم أتمكن من معرفة المقصود بكلمة «سافويا» التي هي اسم أحد الفنادق الذي أقام فيه همنغواي في مدينة جنوى، وهي أيضا اسم لطائرة حربية، كما أنها تسمية لفوج الفرسان الثالث في الجيش الإيطالي الذي مر به نك في يوم من الأيام (انظر نهاية القصة). ومما يزيد في صعوبة مقصد همنغواي هو أن الكلمة ترد على لسان شخصية على حافة الانهيار العقلي، ولا يوجد رابط منطقي بين سيل الذكريات التي يستعيدها الراوي في هذه اللحظات [المترجم].

(٦٩) غابي دليس (١٨٨١ - ١٩٢٠): ممثلة استعراضية فرنسية، وكانت تظهر في بعض أفلامها لابسة الريش على رأسها [المترجم].

(٧٠) هاري پلسر (١٨٨٥ - ١٩٦١): ممثل استعراضي أمريكي اشترك في بعض الأفلام مع غابي دليس، وفي مسرحية «ڤيرا ڤيوليتا» العام ١٩١١ [المترجم].

(٧١) برغم أن هناك عدة فنادق في فرنسا وإيطاليا تحمل اسم «القلب المقدس» إلا أن الإشارة إلى الانتفاخ والبياض تجعل من المرجح أن يكون المقصود هو كنيسة القلب المقدس الشهيرة في باريس [المترجم].

هذا الأمر، لكن تلك كانت ليالي يزداد فيها النهر عرضا وسكونا أكثـــر مما يجب، وخارج فوســـالتا كان هناك بيت خفيض مطلي بطلاء أصفر وتحيط به أشجار الصفصاف وفيه زريبة حيوانات خفيضـــة، وكانت هناك قناة، لكنه لـــم يرها برغم أنه كان هناك ألف مرة، وكانـــت تبدو للعيان كل ليلة كأنها رابية، لكنها تخيفه. كان البيت يهمه أكثر من أي شيء وكان يمتلكه كل ليلة. كان هذا ما يحتاج إليه لكنه كان يخيفه لاسيما عندما يرسو المركب بهدوء في القناة بين أشجار الصفصاف، لكن الضفاف لم تكن مثل هذا النهـــر. كانت كلها أخفض، كما هي الحال في پورتوغراند، حيث رأوهم يخوضون في الأرض المغمورة بالمياه ويرفعون بنادقهم فوق رؤوسهم ثم سقطوا وإياها في الماء. من أمر بذلك؟ لو لم تختلط الأمور إلى هذه الدرجة لاســـتطاع أن يتبعها بلا عناء. لهذا كان يلاحظ كل شـــيء بتفصيلاته كي تظـــل الأمور واضحة في ذهنه ويعـــرف أين هو، لكنها تشوشـــت بلا مبرر كمـــا حدث الآن وهو يستلقي على ســـرير في مقر قيادة الكتيبة التي تحت إمرة پارا، وهو في زيه الأمريكي البائس. اعتدل في جلسته ثم نظر حوله، وكان الجميع يراقبونه. عاد إلى الاستلقاء ثانية.

قصة باريس حدثت قبل ذلك ولم يكن يرعبه منها ســـوى أنها هربت مع شـــخص آخر وخشيته أن يأخذا السائق نفسه مرتين. كان هـــذا ما يرعبه فـــي الأمر. لم تكن الجبهة ما يرعبه. لم يعد الآن يحلـــم بالجبهة ولكن ما كان يخيفه إلى هـــذه الدرجـــة التـــي لا يســـتطيع أن يتخلص منهـــا هو ذلك البيـــت الأصفر الطويل والعـــرض المختلف للنهر. ها قد عاد الآن إلى النهر، ومر بالبلدة

ذاتها، فلم يجد بيتا هناك. وما كان النهر على تلك الشاكلة. إذن، أين كان يذهب كل ليلة، وما هو نوع الخطر، ولماذا يستيقظ وهو يتصبب عرقا، وأكثر رعبا مما لو كان تحت القصف، من أجل بيت وزريبة طويلة وقناة؟

اعتدل في جلسته، ودلى رجليه بحذر نحو الأسفل، كانتا تتخشبان كلما مددهما باستقامة لفترة طويلة، ثم راح يتبادل النظرات المحدقة مع المساعد وضباط الإشارة والمراسلين عند الباب، ثم اعتمر خوذته المغطاة بالقماش وقال لهم:

«يؤسفني أنه ليس معي شوكولاتة أو بطاقات بريدية أو سجائر، لكنني أرتدي الزي».

«سيعود الرائد حالا»، قال المساعد. في ذلك الجيش لا يعد المساعد من سلك الضباط.

«ليس الزي صحيحا تماما»، قال لهم نك. «لكنه يفي بالغرض. قريبا سيأتي بضعة ملايين من الأمريكان إلى هنا».

«هل تعتقد أنهم سيرسلون الأمريكيين إلى هنا؟» سأله المساعد.

«طبعا، طبعا. سيأتي أمريكيون أكبر مني حجما وأوفر مني صحة، ذوو قلوب نظيفة، ينامون الليل، لم يجرحوا قط، ولم يقصفوا قط، ولم تتهشم رؤوسهم قط، ولم يعرفوا الخوف قط، ولا يتعاطون المشروبات، ولا يخونون الحبيبات اللاتي خُلفن وراءهم، وكثير منهم لم يذق طعم السلطعون قط. شباب رائعون، وسترون ذلك».

«هل أنت إيطالي؟» سأله المساعد.

«لا، بل أنا أمريكي. انظر إلى الزي. لقد فصله سـبـاغنوليني، لكنه ليس صحيحا تماما».

«هل أنت من الشمال أم الجنوب في أمريكا؟».

«من الشمال»، قال نك. شعر بها آتية إليه. عليه أن يهدأ.

«لكنك تتكلم الإيطالية».

«ولـم لا؟ وهل تمانع لو تحدثت الإيطالية؟ أليس لي الحق في أن أتحدث الإيطالية؟».

«ولديك أوسمة إيطالية».

«مجرد شرائط وأوراق. أما الأوسمة فتأتي لاحقا. أو تعطيها لأناس كـي يحتفظوا بها لكنهم يذهبـون، أو تضيع مع أمتعتك. يمكنك أن تشـتري غيرها فـي ميلانو. إن ما يهم في هذا الأمر هو الأوراق. لا تجعلها تعكر مزاجك. ستنال بعضا منها إن مكثت في الجبهة مدة تكفي».

«أنـا أحـد مخضرمي الحملة علـى إريتريا»، قال المسـاعد بعصبية. «وقاتلت في طرابلس الغرب».

«إنـه لأمر جلل أن أقابلك»، قال نك وهـو يمـد يـده نحـوه. «لا بد أن تلك الأيام كانت أياما عصيبة. لقد لاحظت الشرائط. بالمناسبة، هل تصادف أن كنت في كارسو؟»(٧٢).

«لقد استدعيت مـن فوري لهذه الحرب. لقد شـاخ مجندو صفي».

«لقد كنت أنا تحت السـن القانونيـة في يوم من الأيام»، قال نك. «لكنني الآن طابت نفسي من الحرب».

---

(٧٢) كارسـو: منطقة سهول منبسـطة تطل على خليج تريسـتا (في يوغوسلافيا السابقة) في شمال شرق إيطاليا [المترجم].

«لكن لماذا أنت هنا الآن؟».

«لكــي أعرض الزي الأمريكي»، قــال نك. «ألا تعتقد أن لهذا أهمية؟ إنه ضيق عند القبة لكن قريبا سترون ملايين لا تحصى ترتدي هذا الزي، كأسراب الجراد. الجندب، كما تعرفون، أو ما نسميه الجندب في أمريكا، هو في الحقيقة نوع من أنواع الجراد. أما الجندب الحقيقي فهو صغير ذو لون أخضر وضعيف نسبيا. ومع ذلك، عليكم ألا تخلطوا بينه وبين الجراد الذي يعيش سـبع سنين، أو بينه وبين زيز الحصاد الذي يصدر صوتا طويلا غريبا لا أســتطيع الآن أن أتذكره. أحاول أن أتذكره لكنني لا أستطيع. أكاد أســمعه لكنه سرعان ما يتلاشى. هل لديكم مانع لو توقفت عن الحديث؟».

«اذهب وابحث عن الرائد»، قال المســاعد لأحد المراســلين.

«أرى أنك جرحت»، قال لنك.

«فــي عدة أماكن»، قال له نك. «إن كانت تهمك رؤية الندوب، فيمكنني أن أريك ندوبا مثيرة جدا، لكنني أفضل أن أتحدث عن الجنادب. أو ما نســميه الجنادب التــي هي في الحقيقة جراد. لقد أدت هذه الحشرات دورا مهما في حياتي ذات يوم. قد يهمك هذا الأمر ويمكنك أن تتفرج على الزي بينما أنا أتحدث».

أومأ المساعد بيده إلى المراسل الثاني، فخرج.

«ركــز نظرك على الزي. لقد فصله ســپاغنوليني، كما تعلم. ويمكنكــم أنتم أن تنظروا أيضا»، قال نك إلى ضباط الإشــارة. «ليســت لــدي أي رتبة فــي الواقع. فنحن تحت إمــرة القنصل الأمريكــي. لا مانــع على الإطــلاق من أن تنظروا. وإن شــئتم،

يمكنكم أن تحدقوا. سأخبركم عن الجراد الأمريكي. نحن دائما نفضل نوعا نسميه الجراد الحنطي. فهو الأكثر مقاومة للماء والأسماك تشتهيه. أما الجراد الطائر الكبير الذي يصدر صوتا يشبه إلى حد ما الصوت الذي تصدره ذات الأجراس حين تهز أجراسها، وهو صوت جاف جدا، فله أجنحة ذات ألوان زاهية كالأحمر القاني أو الأصفر المرصع بالأسود، لكن أجنحته تتفتت في الماء، فلا يصلح طعما، بينما الجراد الحنطي جراد مكتنز، متراص القوام، لذيذ، لذلك لا أجد غضاضة في أن أنصحكم به، هذا إن كان للمرء أن ينصحكم، أيها السادة، بشيء في الأرجح لن تجدوه قط. على أي حال، أؤكد لكم أن مطاردتها بأيديكم أو بمضرب لن يوفر لكم من الطعوم ما يكفي لرحلة صيد واحدة. فهذا هو العبث بعينه، ومضيعة للوقت أيما مضيعة. أكرر لكم، أيها السادة، إن هذا لن يجدي. فالطريقة الأسلم، وهي طريقة يجب أن تدرس لجميع الضباط الشباب في كل دورة عن الأسلحة الفردية، إن سألتموني رأيي، ومن يدري فقد يكون لي رأي في هذا، هي أن تستخدموا شبكة صيد ضخمة أو شبكة مما يستخدم عادة لصيد البعوض. في هذه الحال، يمسك ضابطان بالشبكة من طرفين متخالفين، أو لنقل كل يمسك بطرف، ثم ينحني فيمسك طرف الشبكة السفلي بيد وطرفها العلوي باليد الأخرى، ثم يركضان في مواجهة الريح. وهكذا تطير الجنادب القادمة مع الريح باتجاه الشبكة، فتعلق في ثناياها. لا يتطلب الأمر في الواقع براعة كبيرة لاصطياد كمية كبيرة من الجنادب، ويجب على كل ضابط، في رأيي، أن تكون لديه عدة ياردات من

شباك البعوض تصلح لصيد الجنادب. آمل، أن أكون قد أوضحت مرادي، أيها السـادة. هل هناك أي أسـئلة؟ إن كانت لديكم أي صعوبة في فهم أي شيء في هذه الدورة، فأرجوكم أن تسألوني. ارفع صوتك. لا توجد أسـئلة؟ إذن سـأختتم بقول السير هنري ولسن[٧٣] وهو محارب عظيم وسيد نبيل: أيها السادة، إما تكونوا حكاما أو محكومين. دعوني أكرر هذا القول. أيها السادة، أريدكم أن تتذكروا شيئا واحدا، شيئا تحملونه معكم وأنتم تغادرون هذه الغرفة. أيها السادة، كونوا حكاما، أو محكومين. هذا كل ما لدي، أيها السادة. طاب يومكم.

نـزع خوذته المغطاة بالقمـاش، ثم أعادها إلى رأسـه ثانية، وطأطأ رأسه، وخرج من مدخل المخبأ الخفيض. كان پارا قادما من جهة الطريق المنخفض، يرافقه المراسـلان. كانت الشـمس لاهبة، فنزع نك خوذته.

«يجب أن يكون لهذه الأشياء جهاز ترطيب»، قال نك. «سأبللها في النهر». ثم صعد الضفة.

«نيكولو»، ناداه پارا. «نيكولو، إلى أين أنت ذاهب؟».

«في الواقع، لست مضطرا إلى الذهاب». ثم نزل نك المنحدر، وهو يمسـك الخوذة بكلتا يديه. «هذه الأشـياء مزعجة، سـواء أكانت رطبة أم جافة. هل تلبس خوذتك دائما؟».

«دائمـا»، قال پارا. «لقد بدأ شـعري يتسـاقط. هيا بنا إلى الداخل».

---

(٧٣) هو الفيلد مارشـال هنري ولسـن (١٨٦٤ - ١٩٢٢)، الذي عمل قبل اندلاع الحرب العالمية الأولـى مديرا للعمليـات الحربية في الجيش البريطاني، ثم رئيسـا لهيئة الأركان الإمبراطورية العامـة. اغتالته مجموعة من أفراد الجيـش الجمهوري الإيرلندي بينما كان عائدا من عشـاء رسمي العام ١٩٢٢ [المترجم].

عندما دخلا، طلب منه پارا أن يجلس.

«هل تعلم أنها عديمة النفع تماما؟» قال له نك. «لا أزال أذكر كيف كانت هذه الأشـيـاء مريحة عندمـا حصلنا عليها أول مرة، لكن كم من خوذة رأيتها ملأى بمخ صاحبها!».

«نيكولـو»، قال له پارا. «أعتقد أنه يجـب عليك أن تعود من حيـث جئت. حبذا لو لـم تأت إلى الجبهة مـن دون تلك المؤن. ليس لك شـغل هنا. حتى لو تجولت هنـا وهناك وكان لديك ما هـو جدير بالتوزيع، فإن الرجال سـيلتفون حولك، وهذا مجلبة للقصف، ولن أسمح بهذا».

«أعلم أنها فكرة سخيفة»، قال نك. «لكنها لم تكن فكرتي. لقد سمعت أن اللواء متمركز هنا، فقلت أود أن أراك أو أرى شخصا آخر أعرفه. كان بإمكاني أن أذهب إلى زنزون أو سـان دونا[٧٤]، أود أن أذهب إلى سان دونا لأرى اللواء ثانية».

«لن أدعك تتجول بلا طائل»، قال النقيب پارافيسيني.

«لا بأس»، قال نك. شعر بها قادمة إليه مرة أخرى.

«مفهوم؟».

«طبعا»، قال نك، وهو يحاول أن يسيطر عليها.

«أي شيء من هذا القبيل يجب فعله ليلا».

«بالطبع»، قال نك، وقد عرف الآن أنه لم يعد باستطاعته كبحها.

«أنت تعلم أنني الآن قائد الكتيبة»، قال پارا.

«ولـم لا تكون كذلك؟» قـال نك. ها قد انتابتـه. «أنت تقرأ وتكتب، أليس كذلك؟».

---

(٧٤) بلدتان في الشمال الشرقي من إيطاليا [المترجم].

«بلى»، رد عليه پارا بلطف.

«المشـــكلة هي أنك تقود كتيبة صغيرة. ولم تكد تستعيد قوتها حتى يعيدوك إلى ســـريتك مرة أخرى. لمـــاذا لا يدفنون الموتى؟ لقد رأيتهـــم الآن، ولا أريد أن أراهم ثانية. في رأيي، يمكنهم أن يدفنوهـــم في أي وقت يشـــاءون، وهذا أفضل لك. ســـتمرضون جميعا مرضا شنيعا».

«أين تركت دراجتك؟».

«في آخر بيت».

«أتظن أنها ستكون على ما يرام؟».

«لا تقلق»، قال نك. «سأذهب بعد قليل».

«استلق قليلا، يا نيكولو».

«لا بأس».

أغمض نك عينيه، وبدلا من أن يرى رجلا ملتحيا ينظر إليه من جهاز التسديد في بندقيته، رابط الجأش قبل الإطلاق، فينطلق وميض أبيض ويرتمي على ركبتيه كأن عصا ضربته، ويصعد من جوفه سائل ساخن حلو يكاد يخنقه، فينقذف على الصخرة وهم يمرون به، رأى بيتا طويلا أصفر له زريبة منخفضة، ورأى النهر أعرض مما كان عليه وأكثـــر هدوءا. «يا إلهي»، قال نك. «يجدر بي أن أذهب».

هب واقفا.

«أنا ذاهب، يـــا پارا»، قال نك. «ســـأركب دراجتي وأعود في هذه الظهيرة. إذا وصلت المؤن سآتي بها الليلة. وإلا فسآتي ليلا عندما يكون لدي ما أجلبه».

«لا يزال الطقس حارا»، قال النقيب پارافيسيني.

«لا تقلــق»، قال له نــك. «صار لي مدة وأنا على ما يرام. لقد عاودتني النوبة مرة واحدة لكنها كانت هينة. حالي تتحسن كثيرا. أستطيع أن أتنبأ بمقدمها عندما أبدأ بالإفراط في الحديث».

«سأرسل معك أحد المراسلين».

«حبذا لو لم تفعل. فأنا أعرف الطريق».

«هل ستعود قريبا؟»

«بالتأكيد».

«دعني أرسل...».

«لا»، قال نك. «وليكن ذلك شهادة ثقة».

«وداعا، إذن».

«وداعا»، قــال نك. عاد أدراجه علــى الطريق المنخفض إلى حيــث ترك دراجته. ســيكون الطريق عند العصــر ظليلا حالما يجتاز القناة. فبعد تلك النقطة هناك أشــجار على كلا الجانبين لم تتعرض للقصف إطلاقــا. وفي تلك البقعة مروا راجلين ذات يوم بالفوج الثالث لفرســان ساڤويا، يشــقون طريقهم في الثلج وهم يمتشــقون رماحهم. وكان نفس خيولهم يصير كالريش في الهواء البارد. لا، لقد كان هذا في مكان آخر. ترى، أين كان؟

«يجدر بي أن أبلغ تلك الدراجة اللعــينة»، قــال نك لنفســه. «لا أريد أن أضل الطريق إلى فورناسي».

أم المخنث
[١٩٣٣]

عندما مات والده كان لايزال صبيا، فدفنه مدير أعماله مرة وإلى الأبد. أي أنه سيملك المدفن ملكية دائمة. أما عندما ماتت والدته، ظن مديره أن وئامهما لن يطول. كانا حبيبين، وكان من دون شك مخنثا، ألم تعرف ذلك؟ أجل، هو كذلك. لذلك دفنها لمدة خمس سنين فقط.

على أي حال، عندما عاد إلى المكسيك من إسبانيا تلقى الإشعار الأول. يقول الإشعار إن مدة السنوات الخمس قد انتهت، لذلك عليه أن يتخذ الترتيبات اللازمة من أجل أن تظل والدته مدفونة في قبرها. كانت تكلفة الدفن الدائم عشرين دولارا فقط. كان صندوق النقود بحوزتي حينها، فقلت له دعني أقم بالمهمة، يا پاكو. لكنه رفض وقال إنه سيتولى الأمر بنفسه.

وخلال أسبوع تلقى إشعارا ثانيا. قرأته له وقلت له: ظننتك توليت الأمر.

قال إنه لم يفعل.

«دعني أقم بالمهمة»، قلت له. «النقود موجودة هنا في الصندوق».

رفض ذلك. لا يستطيع أحد أن يملي عليه ما يجب فعله. سينجز الأمر بنفسه عندما يحين الوقت. «فما معنى أن ينفق المرء نقوده أبكر مما يجب؟».

«لا بأس»، قلت له. «لكن لا تنس أن تتولى الأمر». في هذه

الأثناء كان متعاقدا على خوض ست مباريات بقيمة أربعة آلاف بيزو للمباراة الواحدة، بالإضافة إلى مباراة خيرية واحدة. لقد جنى أكثر من خمسة عشر ألف دولار في العاصمة وحدها. لكنه كان بخيلا، لا أكثر ولا أقل.

ثم جاء الإشعار الثالث بعد أسبوع وقرأته له. يقول الإشعار إنه إن لم يسدد ما عليه من ديون قبل حلول السبت القادم، فهم سينبشون قبر أمه ويلقون رفاتها في محرقة العظام العمومية. قال إنه سيفعل ذلك عصر ذلك اليوم عندما يذهب إلى البلدة.

«لماذا لا تدعني أفعل ذلك عنك؟» قلت له.

«لا تتدخل في شؤوني»، قال لي. «هذا شأني وسأتولى أمره بنفسي».

«لا بأس، إن كان هذا هو موقفك»، قلت له. «قم بشغلك».

أخرج النقود من الصندوق، مع أنه كان دوما يحمل مائة بيزو أو أكثر، وقال إنه سيتولى الأمر. أخذ النقود وخرج، وهكذا ظننته تولى الأمر.

بعد أسبوع جاء إشعار يقول، نظرا إلى عدم تلقيهم استجابة لإنذارهم الأخير، فقد قاموا برمي رفات أمه في محرقة العظام العمومية.

«يا الله، يا الله!» قلت له. «لقد قلت إنك ستدفع المبلغ، وأخرجت النقود من الصندوق لهذا الغرض، فانظر ماذا حل بأمك. يا إلهي، تصور! لماذا لم تدعني أتولى الأمر بنفسي؟ لو فعلت لأرسلت إليهم النقود يوم جاءنا الإشعار الأول».

«هذا ليس من شأنك. فهي أمي أنا».

«نعم، إنه ليس من شـأني، ولكنه من شـأنك أنت. فأي إنسـان يترك أمه لهذا المصير؟ أنت لا تستحق أن تكون لك أم».

«إنهـا أمـي»، قال لي. «إنها الآن أغلى علـي بكثير. لم تعد الآن مدفونة في مكان واحـد، فأحزن لذلك. إنها الآن تطوف من حولي في الهواء، كالعصافير والأزهار. ستكون الآن معي دوما».

«قـل لي، أي دم يجري في عروقـك؟» قلت له. «لا أريد حتى أن أكلمك».

«إنها من حولي الآن، ولن أحزن أبدا»، قال لي.

في هذه الأثناء كان يسـرف في إنفاق المال على النساء، محاولا إيهام الناس بأنـه رجل، لكن ذلك لم يؤثر في الناس الذين يعرفونه حق المعرفة. كان مدينا لي بمبلغ يربو على ستمائة بيزو، وكان يرفض أن يسـدده لي. كان يقول لي: «لماذا تريده الآن؟ ألا تثق بي؟ ألسـنا أصدقاء؟».

«ليس للأمر علاقة بالثقة أو الصداقة. لقد سـددت حسـاباتك مـن مالي الخاص فـي غيابك، وأنا الآن في حاجـة إلى هذا المال، وأنت قادر على تسديده».

«ليس عندي مال».

«بـل عندك»، قلت له. «إنه موجود في الصندوق، وتسـتطيع أن تسدد ما لي عليك من دين».

«هـذا المـال يلزمني لغرض مـا»، قال لي. «وأنـت لا تعرف كل احتياجاتي للمال».

«لقد بقيت هنا طوال غيابك في إسـبانيا وقد فوضتني لتسديد ما يطرأ من مصاريف البيت، ولم ترسل مالا قط طوال غيابك، وقد

دفعت ما يزيد على ستمائة بيزو من مالي الخاص، وأنا محتاج إلى هذا المبلغ، وأنت قادر على تسديده».

«سأسدده لك قريبا»، قال لي. «أما الآن، فأنا في أمس الحاجة إليه».

«وما هي حاجتك الماسة إليه؟».

«لشأن يخصني».

«ولماذا لا تسدد لي قسطا منه؟».

«لا أستطيع»، قال لي. «أنا في أمس الحاجة إليه. لكنني سأسدده لك».

لم يخض سوى مباراتين في إسبانيا، إذ لم يطيقوه هناك بعد أن انكشف أمره بسرعة. لقد فصل لنفسه سبع بذلات مصارعة، وإليكم ما حدث: لم يحسن تجهيزها، فأتلف ماء البحر أربعا منها ولم تعد صالحة للبس.

«يا إلهي»، قلت له. «لقد ذهبت إلى إسبانيا، وبقيت هناك موسما كاملا فلا تصارع فيه سوى مرتين. لقد أنفقت كل ما أخذته معك من مال على بذلات مصارعة ثم تتلفها بماء البحر فلا تستطيع ارتداءها. هذا هو الموسم الذي ذهبت إليه، والآن تحدثني عن إدارتك لشؤونك شخصيا؟ لماذا لا تسدد لي ما عليك من دين كي أرحل؟».

«أريدك أن تبقى معي»، قال لي. «وسأدفع لك. لكنني الآن في حاجة إلى المال».

«أنت في أمس الحاجة إليه لتدفع ثمن قبر أمك كي تظل مدفونة، أليس كذلك؟» قلت له.

«أنا سعيد بما حدث لأمي»، رد علي. «وهذا ما لا يمكنك فهمه».

«أشكر الله أني لا أفهمه»، قلت له. «إما أن تدفع لي ما عليك من دين أو آخذه أنا من صندوق النقود».

«بل سأحتفظ بصندوق النقود شخصيا»، قال لي.

«لا، لن تفعل»، قلت له.

في عصر ذلك اليوم جاءني بصعلوك مفلس من بلدته، وقال، «هذا واحد من أبناء بلدتي ولا مال لديه ليزور أمه المريضة في البلدة». لم يكن هذا سوى صعلوك، وليكن في علمكم أنه لم يره من قبل، لكنه أراد أن يتباهى أمام ابن بلدته بأنه مصارع ثيران كبير ومعروف بكرمه.

«أعطه خمسين بيزو من الصندوق»، قال لي.

«لقد قلت لي قبل قليل إنك لا تملك المال لتسدد ديني عليك، والآن تريدني أن أعطي هذا الصعلوك خمسين بيزو؟» قلت له.

«إنه ابن بلدتي، وهو في ضائقة»، قال لي.

«يا لك من مخنث»، قلت له، ثم أعطيته مفتاح الصندوق. «أعطه أنت. أنا ذاهب إلى المدينة».

«لا تغضب مني»، قال لي. «سأدفع لك».

أخرجت السيارة لأذهب بها إلى المدينة. كانت سيارته، لكنه كان يعلم أنني خير منه في قيادتها. كل شيء يقوم به أستطيع أن أتفوق عليه فيه. وكان يعلم ذلك. بل لم يكن يقرأ أو يكتب. كنت ذاهبا لرؤية شخص لأرى كيف أجعله يدفع لي ما عليه. جاء وقال، «سأذهب معك - وسأدفع لك. أنا وأنت صديقان حميمان. ولا داعي للخصام».

ذهبنا إلى المدينة بالسيارة وكنت أنا الذي يقودها. قبل أن نصل إلى المدينة، أخرج عشرين بيزو وقال، «هاك نقودك».

«يا لك من مخنث لا أم له»، قلت له، ثم أخبرته ماذا بإمكانه أن يفعل بالفلوس. «تعطي لذلك الصعلوك خمسين بيزو، ثم تقدم لي عشرين مع أنك مدين لي بما يزيد على ستمائة؟ لن آخذ منك فلسا واحدا. أنت تعلم ماذا يمكنك أن تفعل بها».

خرجت من السيارة لا أملك بيزو واحدا في جيبي، ولم أكن أعلم أين سأنام تلك الليلة. ذهبت لاحقا مع صديق فأخذت أشيائي من بيته. لم أتحدث إليه ثانية حتى هذه السنة عندما التقيته وهو يسير ذات مساء مع ثلاثة أصدقاء في طريقهم إلى سينما كاياو في الشارع الكبير في مدريد. مد يده إلي قائلا:

«أهلا بك يا روجر، يا صديقي القديم. كيف حالك؟ يقول الناس إنك تنعتني، ظلما، بما ليس في».

«كل ما قلته هو أنك بلا أم»، رددت عليه. وهذه أسوأ إهانة يمكن أن توجهها إلى رجل باللغة الإسبانية.

«هذا صحيح. فقد ماتت أمي وأنا صغير جدا، فكأنني بلا أم. وهذا ما يحز في نفسي كثيرا».

هكذا هم المخنثون. لا تستطيع أن تمسهم بشيء. لا شيء، لا شيء على الإطلاق يمكن أن يمسهم. إنهم يسرفون في إنفاق الأموال إما على أنفسهم وإما ليتباهوا، لكنهم لا يسددون ديونهم. حاول أن تجعل واحدا منهم يدفع. لقد قلت له رأيي فيه، هناك في الشارع الكبير وأمام أصدقائه الثلاثة، ومع ذلك عندما يراني الآن يحدثني كما لو كنا صديقين. ترى، أي دم يجعل إنسانا على هذه الشاكلة؟

كتبت إحدى القارئات
[١٩٣٣]

كانت تجلس إلى الطاولة في غرفة نومها وأمامها صحيفة مفتوحة، ولم تكن تتوقف إلا لتنظر من النافذة إلى الثلج المتساقط على السطح فيذوب بمجرد سقوطه. كتبت الرسالة التالية، وكتبتها بيقين لا يتزعزع، يقين لا يعرف حاجة إلى شطب أو تنقيح.

عزيزي الدكتور...

رونوك، ڤيرجينيا
٦ فبراير ١٩٣٣

هل لي أن أكتب لك من أجل نصيحة مهمة جدا، علي أن أتخذ قرارا ولا أعرف بمن أثق ولا أجرؤ على سؤال والدي، لهذا أتوجه إليك، وذلك فقط لأنني لست في حاجة إلى رؤيتك، وهل لي أن أبوح لك بسر. والآن إلى وضعي، لقد تزوجت رجلا في القوات المسلحة الأمريكية العام ١٩٢٩ وفي تلك السنة أرسل إلى الصين، شنغهاي، بقي ثلاث سنوات، وعاد إلى الوطن، وسرح من الخدمة منذ نحو بضعة أشهر، وذهب إلى بيت أمه في هلينا، آركنسا. بعث إلي أن أذهب إليه، ذهبت، ووجدت أنه يأخذ مجموعة من الحقن، وبالطبع أسأله، فوجدت أن يعالج من أجل مرض لا أعرف حتى كيف أنطق اسمه لكنه يشبه كلمة «سيفيليوس»، هل تعرف ما أقصد؟ قل لي هل يمكنني أن أعيش معه بأمان

ثانيـــة، لم أقربه ولم يقربني منذ عودته من الصين. إنه يؤكد لي أنه ســيكون بخير بعدما ينتهي منه هذا الطبيب، هل تظن ذلك صحيحــا؟ غالبا ما ســمعت أبي يقول إن المصــاب بهذا المرض يتمنى لو يموت، أنا أصدق أبي لكني أريد أن أصدق زوجي أكثر، أرجــوك، أرجوك قل لي ماذا أفعــل، لدي طفلة ولدت بينما كان أبوها في الصين.

شكرا لك وأنا على تمام الثقة فيما تنصحني به.

التوقيع

ربما في إمكانه أن يقول لي ما الصواب لأفعله، قالت لنفسها. قــد يكون في إمكانه أن يخبرنــي. يبدو من صورته في الجريدة أنه يعرف. لا غبار على ذكائه. وكل يوم يقول لشخص ماذا يجب عليه أن يفعل. لا بد أنه يعرف. أريد أن أفعل ما هو صواب. لكنه مضــى زمن طويل. زمن طويل. أجــل، زمن طويل جدا. يا إلهي، لقد مضى زمن طويل. أعلم أنه كان عليه أن يذهب أينما أرسلوه، لكــن لا أعلم لماذا كان عليه أن يصاب بهذا. أوه، كم أتمنى لو أنه لــم يصب به. لا يهمني كيــف أصيب به. لكنني أتمنى صادقة لو لم يصب بــه إطلاقا. إذ يبدو أنه كان في إمكانه ألا يصــاب به. لا أعرف مــاذا أفعل. أتمنى صادقة لو لم يصــب بــأي مــرض. لا أعرف لماذا كان عليه أن يمرض.

بطاقة ثناء إلى سويسرا
[١٩٣٣]
الجزء الأول
صورة السيد ويلر في مونترو

كان الجـو داخل مقهى المحطـة دافئا ومضاء. كان خشـب الطاولات يلمع من كثرة المسح، وكانت هناك سلال من البسكويت المملح في أكيـاس ورقية لامعة. كانت الكراسـي منحوتة نحتا، لكن المقاعد كانت بالية ومريحة. وكانت هناك سـاعة خشـبية منحوتة علـى الجدار وبار في أقصى الغرفـة. كان الثلج يهطل خارج النافذة.

كان اثنـان من حمالي المحطة يجلسـان إلـى الطاولة تحت الساعة ويشربان مشروبا جديدا. دخل حمال آخر وقال إن قطار سامليون - الشرق السريع قد تأخر مدة ساعة في سان موريس. خرج الحمال وجاءت النادلة إلى طاولة السيد ويلر، وقالت:

«سـيتأخر القطار مدة ساعة، يا سيدي. هل يمكنني أن أقدم لك القهوة».

«إن كنت تظنين أنها لن تطرد النوم عني».

«عفوا؟» قالت النادلة.

«هات لي بعض القهوة»، قال لها السيد ويلر.

«شكرا لك».

جـاءت بالقهوة من المطبخ ونظر السـيد ويلر من النافذة إلى الثلج المتساقط تحت الضوء المنبعث من رصيف المحطة.

«هل تتحدثين لغات أخرى غير الإنجليزية؟» سأل النادلة.

«نعم، طبعا يا سيدي. أتحدث الألمانية والفرنسية مع اللهجات».

«هل تريدين أن تشربي شيئا؟».

«لا، لا يا سيدي. لا يسمح لنا بمجالسة الزبائن في المقهى».

«ولا تأخذين سيجارا؟».

«لا، لا يا سيدي. أنا لا أدخن، يا سيدي».

«لا بأس»، قال السيد ويلر. نظر خارج النافذة ثانية، وشرب قهوته، ثم أشعل سيجارا.

«يا آنسة»، نادى على النادلة فأقبلت نحوه.

«ما هو طلبك يا سيدي؟».

«أنت»، قال لها.

«كن جديا».

«أنا لا أمزح».

«إذن، فعليك ألا تقول هذا».

«ليس لدي وقت للمجادلة»، قال السيد ويلر. «سيأتي القطار بعد أربعين دقيقة. إن صعدت معي إلى فوق، سأعطيك مائة فرنك».

«يجب ألا تتفوه بمثل هذه الأشياء، يا سيدي. سأطلب من الحمال أن يتفاهم معك».

«لا أريد حمالا»، قال السيد ويلر. «ولا شرطيا ولا أي من أولئك الصبية الذين يبيعون السجائر. أريدك أنت».

«ما دمت تتحدث هكذا، فعليك الانصراف. لا يمكنك أن تبقى هنا وتتحدث هكذا».

«إذن، لماذا لا تتصرفين عني؟ إن انصرفت، فلن أتحدث إليك».

انصرفت النادلة. راقبها السيد ويلر ليرى إن كانت ستتحدث إلى الحمالين، لكنها لم تفعل.

«يا آنسة»، نادى عليها، فأقبلت عليه. «هات لي زجاجة سيون، من فضلك»[٧٥].

«أجل، يا سيدي».

راقبها السيد ويلر وهي تخرج، ثم وهي تعود إلى طاولته حاملة المشروب. نظر صوب الساعة، وقال لها:

«سأعطيك مائتي فرنك».

«أرجوك ألا تقول مثل هذه الأشياء».

«لكن مائتي فرنك مبلغ كبير من المال».

«لن تقول مثل هذه الأشياء»، قالت النادلة وقد بدأت تفقد سيطرتها على إنجليزيتها. نظر إليها السيد ويلر باهتمام.

«مائتا فرنك».

«أنت مخلوق كريه».

«إذن، لماذا لا تتصرفين عني؟ لو لم تكوني هنا لما كلمتك».

انصرفت النادلة وتوجهت إلى البار. شرب السيد ويلر المشروب وظل يبتسم لنفسه بعض الوقت.

«يا آنسة»، نادى على النادلة فتظاهرت بأنها لم تسمعه. «يا آنسة»، ناداها ثانية، فأقبلت إليه.

«هل تريد شيئا».

---

(٧٥) سيون: مشروب سويسري يحمل اسم مدينة في الجنوب الغربي من سويسرا، ويبدو أنها تسمية ذات منشأ توراتي، إذ تعني «صهيون»، وهو اسم جبل معروف في القدس [المترجم].

«يا ليت! سأعطيك ثلاثمائة فرنك».

«أنت مخلوق كريه».

«ثلاثمائة فرنك سويسري».

انصرفت وراح السيد ويلر يراقبها. فتح أحد الحمالين الباب، وقد كان الذي أودع عنده السيد ويلر حقائبه.

«القطار قادم، يا سـيدي» قال له بالفرنسـية، فنهض السيد ويلر.

«يا آنسـة»، نادى على النادلة فأقبلت نحو الطاولة. «كم ثمن المشروب؟».

«سبعة فرنكات».

عد السـيد ويلر ثمانية فرنكات وتركها على الطاولة. ارتدى معطفه ولحق بالحمال إلى الرصيف حيث كان الثلج يهطل.

«وداعا، يا آنسـتي»، قال لها بالفرنسـية، راقبته النادلة وهو ينصرف. إنه قبيح، قالت في نفسها، قبيح وكريه. ثلاثمائة فرنك من أجل شـيء تافه. كم مرة فعلت هـذا مجانا! ثم إنه لا يوجد مكان نذهب إليه هنا. لو كان عنده عقل لعرف أنه لا يوجد مكان هنـا. لا وقت ولا مكان. ثلاثمائة فرنك من أجل ذلك. أي بشـر هؤلاء الأمريكيون!

كان السيد ويلر يقف بجانب حقائبه على الرصيف الإسمنتي وهـو ينظر إلى قضبان السـكة باتجاه ضوء القطار وهو يشـق طريقـه بين ندف الثلج، وكان يحدث نفسـه أنه لم يدفع سـوى ثمـن زهيد لقاء تسـليته. فبالإضافة إلى العشـاء، لم ينفق في الواقع سوى سـبعة فرنكات ثمن زجاجة المشروب وفرنك واحد

للإكرامية. لو أنه دفع خمسة وسبعين سنتيما لكان ذلك أفضل. لو أن الإكرامية كانت خمسة وسبعين لكان شعوره أفضل. الفرنك السويسري يساوي خمسة فرنكات فرنسية. كان السيد ويلر متجها إلى باريس. كان حريصا جدا على نقوده ولم تكن النساء تهمه. لقد جاء إلى هذه المحطة من قبل، وهو يعرف أنه ليس فيها طابق علوي يذهب إليه. فالسيد ويلر لا يجازف أبدا.

الجزء الثاني
السيد جونسن يتحدث عن الموضوع في ڤيڤيه

كان الجو داخل مقهى المحطة دافئا ومضاء. وكانت الطاولات تلمع من كثرة المسح، وكان على بعضها قماش مخطط بالأحمر والأبيض، وبعضها مخطط بالأزرق والأبيض، وعليها جميعا سلال من البسكويت المملح في أكياس ورقية لامعة. كانت الكراسي منحوتة نحتا، والطاولات بالية ومريحة. وكانت هناك ساعة جدار وبار من الزنك في أقصى الغرفة، وكان الثلج يهطل خارج النافذة. كان اثنان من حمالي المحطة يجلسان إلى الطاولة تحت الساعة ويشربان مشروبا جديدا.

دخل حمال آخر وقال إن قطار سامپلون - الشرق السريع سيتأخر مدة ساعة في سان موريس. جاءت النادلة إلى طاولة السيد جونسن، وقالت له:

«سيتأخر القطار مدة ساعة، يا سيدي. هل يمكنني أن أقدم لك القهوة».

«إن لم يكن في ذلك عناء كبير لك».

«عفوا؟» سألته النادلة.

«نعم، سأشرب القهوة»، قال لها السيد جونسن.

«شكرا لك».

جاءت بالقهوة من المطبخ ونظر السيد جونسن من النافذة إلى الثلج المتساقط تحت الضوء المنبعث من رصيف المحطة.

«هل تتحدثين لغات أخرى غير الإنجليزية؟» سأل النادلة.

«نعم، طبعا. أتحدث الألمانية والفرنسية مع اللهجات».
«هل تريدين أن تشربي شيئا؟».
«لا، لا يا سيدي. لا يسمح لنا بمجالسة الزبائن في المقهى».
«هل تريدين سيجارا؟».
«لا، لا يا سيدي»، قالت ضاحكة. «أنا لا أدخن يا سيدي».
«ولا أنا»، قال جونسن. «إنها عادة قذرة».
انصرفت النادلة فأشعل جونسن سيجارة وشرب القهوة. كانت الساعة تشير إلى العاشرة إلا ربعا. كانت ساعته مسبقة قليلا. كان وصول القطار متوقعا في العاشرة والنصف، وتأخره ساعة يعني أنه سيصل في الحادية عشرة والنصف. نادى جونسن على النادلة.
«يا آنسة!».
«ماذا تريد، يا سيدي؟».
«ألا ترغبين في اللهو معي؟» سألها جونسن، فاحمر وجه النادلة خجلا.
«لا، يا سيدي».
«لا أقصد شيئا عنيفا. ألا ترغبين في حفلة نرى فيها حياة الليل في ڤيڤيه؟ هات واحدة من صديقاتك إن شئت».
«لدي عمل»، قالت النادلة. «لدي واجب هنا».
«أعرف ذلك»، قال جونسن. «لكن ألا تستطيعين أن تجلبي بديلا؟ كان هذا هو المعمول به خلال الحرب الأهلية».
«لا يا سيدي. يجب أن أقوم بواجبي شخصيا».
«أين تعلمت إنجليزيتك؟».

«في جامعة بيرلتز، يا سيدي».

«أخبريني عنها»، قال جونسن. «هل كان طلاب بيرلتز من النوع الجامح؟ هل كانوا يتداعبون ويتعانقون؟ هل كان هناك كثير من محترفي الغزل؟ هل رأيت سكوت فيتزجيرالد؟ (٧٦)».

«عفوا؟».

«أقصد هل كانت أيامك في الجامعة أسعد أيام حياتك؟ ما الفريق الرياضي الذي كان في بيرلتز في الخريف الماضي؟».

«هل أنت تمازحني، يا سيدي؟».

«قليلا فقط»، قال جونسن. «أنت فتاة رائعة، ولا تريدين اللهو معي؟».

«لا، لا، يا سيدي»، قالت النادلة. «هل تريدني أن أجلب لك شيئا؟».

«نعم»، قال جونسن. «هلا جلبت لي قائمة المشروبات؟».

«أجل، يا سيدي».

حمل جونسن قائمة المشروبات وتوجه بها إلى الحمالين الثلاثة. تطلعوا إليه وكانوا جميعا مسنين، ثم سألهم بالألمانية:

«هل تريدون أن تشربوا؟».

«هز أحدهم رأسه موافقا وابتسم، وقال بالفرنسية:

«نعم، يا سيدي».

«أنت تتحدث الفرنسية؟».

«نعم، يا سيدي».

«ماذا سنشرب؟ هل تعرفون أنواع المشروب؟».

---

(٧٦) هو الروائي الأمريكي الشهير فرانسس سكوت فيتزجيرالد (١٨٩٦ - ١٩٤٠) الذي عاش عيشة لاهية ماجنة أيام شبابه [المترجم].

«لا، يا سيدي».

«عليكم أن تعرفوها»، قال جونسن. «يا آنسة»، نادى على النادلة بالألمانية وقال: «سنشرب المشروب».

«أي نوع من المشروب تفضل، يا سيدي؟».

«الأفضل»، قال جونسن، ثم سأل الحمالين بالفرنسية «أيها الأفضل؟».

«الأفضل؟» سأله الحمال الذي كان أول من تحدث.

«طبعا!».

أخرج الحمال زوجا من العدسات ذات الإطار الذهبي من جيب معطفه وراح يتفحص القائمة.

مرر إصبعه على قائمة الأسماء الأربعة المطبوعة بالآلة الكاتبة وأسعارها وقال:

«سبورتسمن. سبورتسمن هي الأفضل».

«هل توافقون، أيها السادة؟» سأل جونسن الحمالين الآخرين.

هز أحدهما رأسه موافقا، والثاني قال بالفرنسية: «أنا شخصيا لم أجربها لكنني سمعت عن سبورتسمن. إنها جيدة».

«زجاجة سبورتسمن»، قال جونسن للنادلة. نظر إلى الثمن المكتوب على قائمة المشروبات: أحد عشر فرنكا سويسريا. «هات زجاجتي سبورتسمن. هل لديك مانع إن جلست هنا معكم؟» سأل الحمال الذي اقترح عليه سبورتسمن.

«اجلس. ضع نفسك هنا، أرجوك»، قال له الحمال مبتسما، وكان يطوي نظارتيه ويضعهما في محفظتهما. «هل اليوم عيد ميلاد السيد؟»[٧٧].

«لا»، قال جونسن. «إنها ليست حفلة. لقد قررت زوجتي أن تطلقني».

«هكذا إذن»، قال الحمال. «آمل ألا يكون ذلك». هز الحمال الآخر رأسه، أما الثالث فيبدو أن سمعه ثقيل.

«إنها من دون شك قضية شائعة، مثلها مثل الزيارة الأولى لطبيب الأسنان أو أول ألم يلم بفتاة»، قال جونسن. «لكنني منزعج».

«هذا مفهوم»، قال الحمال الأكبر. «أنا أفهم ذلك».

«هل بينكم من هو مطلق، أيها السادة؟» سألهم جونسن. لقد كف الآن عن التهريج بالفرنسية، فراح يتحدثها بطلاقة كما كان من قبل.

«لا»، قال الحمال الذي طلب المشروب. «ليس الطلاق شائعا هنا. هناك بعض المطلقين، لكنهم ليسوا كثيرين».

«الأمر مختلف عندنا»، قال جونسن. «عمليا، كلنا مطلقون».

«هذا صحيح»، قال الحمال مصدقا قول جونسن. «لقد قرأت ذلك في الجريدة».

«أنا شخصيا تأخرت قليلا عن أترابي»، قال جونسن متابعا حديثه. «هذه أول مرة أطلق فيها، وأنا في الخامسة والثلاثين».

---

(٧٧) برغم أن همنغواي يورد حديث الحمال هنا بالإنجليزية، فإن القارئ يلاحظ، وهذا ما يريده همنغواي، أن أسلوبه في التعبير هو أسلوب فرنسي لا إنجليزي، كقوله «ضع نفسك هنا» بدلا من «اجلس هنا»، أو «هل اليوم عيد ميلاد السيد؟» بدلا من «هل اليوم عيد ميلادك، يا سيدي؟» [المترجم].

«لكنك لا تزال في مقتبل العمر»، قال الحمال، ثم قال شارحا للحمالين الآخرين: «إن السيد في الخامسة والثلاثين فقط». هز الحمالان الآخران رأسيهما، وقال أحدهما: «إنه في مقتبل العمر».

«وهل هذه حقا المرة الأولى التي تطلق فيها؟» سأله الحمال.

«بالتأكيد»، قال جونسن. «أرجوك، افتحي الزجاجة، يا آنسة».

«وهل يكلف كثيرا؟».

«عشرة آلاف فرنك».

«سويسري؟».

«لا، فرنسي».

«آه، نعم. ألفا فرنك فرنسي سويسري. لكنه ليس مبلغا قليلا».

«لا».

«ولماذا يطلق المرء؟».

«لأنه مطلوب منه».

«ولماذا يطلب منه هذا؟».

«للزواج من غيره».

«لكن هذا غباء».

«أتفق معك»، قال جونسن. ملأت النادلة الكؤوس الأربع، فرفع كل كأسه.

«في صحتكم»، قال جونسن بالألمانية.

«في صحتك، يا سيدي»، قال الحمال. بينما اكتفى الحمالان

الآخران بكلمة «في صحتك». كان طعم المشروب يشبه عصير التفاح الحلو ذي اللون الوردي.

«هل هي عادة عند الناس هنا في سويسرا أن يردوا بلغة مختلفة؟» سألهم جونسن.

«لا»، قال الحمال، «فاللغة الفرنسية أكثر رقيا. أضف إلى ذلك أننا في الروماند السويسري»[٧٨].

«ولكنكم تتحدثون الألمانية؟».

«نعم، فأنا من منطقة تتحدث الألمانية».

«لقد فهمت»، قال جونسن. «إنك تقول إنك لم تطلق أبدا؟».

«لا، لم أطلق أبدا. الطلاق مكلف. أضف إلى ذلك أنني لم أتزوج قط».

«آه»، قال جونسن. «وماذا عن السيدين؟».

«إنهما متزوجان».

«ما رأيك في الزواج؟» سأل جونسن أحد الحمالين.

«ماذا؟».

«هل تحب الحياة الزوجية؟».

«نعم. إنها شيء عادي».

«بالضبط»، قال جونسن. «وأنت، يا سيدي؟».

«لا بأس»، قال الحمال الآخر.

«أما زواجي»، قال جونسن، «ففيه كل البأس».

«السيد مقدم على طلاق»، قال الحمال الأول شارحا.

«أوه»، قال الحمال الثاني.

---

(٧٨) الروماند السويسري هي المنطقة الغربية من الاتحاد السويسري، وهي المنطقة الناطقة بالفرنسية، وتقع مدينة فيفيه التي تدور فيها أحداث هذه القصة في تلك المنطقة [المترجم].

«آه، ها»، قال الحمال الثالث.

«حسن، يبدو أن الموضوع قد استهلك»، قال جونسن. «أنتم لا تبدون اهتماما بمشكلاتي»، قال مخاطبا الحمال الأول.

«لكننا مهتمون»، قال الحمال.

«حسن، دعونا نتحدث عن شيء آخر».

«كما تشاء».

«عن أي شيء يمكننا أن نتحدث؟».

«هل تمارس الرياضة؟».

«لا، لكن زوجتي تمارسها»، قال جونسن.

«ما الذي تفعله لتسلي نفسك؟».

«أنا كاتب».

«وهل يدر عليك هذا مالا كثيرا؟».

«لا، لكنه سيكون كذلك فيما بعد عندما أصبح مشهورا».

«هذا ممتع».

«لا، ليس ممتعا»، قال جونسن. «أنا آسف، أيها السادة، عليّ أن أترككم. هلا شربتم الزجاجة الأخرى؟».

«لكن القطار لن يأتي قبل ثلاثة أرباع الساعة».

«أعرف ذلك»، قال جونسن. جاءت النادلة، فدفع ثمن المشروب والعشاء.

«هل أنت خارج، يا سيدي؟» سألته.

«نعم»، قال جونسن. «أريد أن أمشي قليلا. سأترك حقائبي هنا».

ارتدى لفاعه، ومعطفه، وقبعته. كان الثلج يهطل في الخارج

بغزارة. التفت إلى الوراء ونظر من خلال النافذة إلى الحمالين الثلاثة وهم يتحلقون حول الطاولة. كانت النادلة تصب ما تبقى من الزجاجة المفتوحة في كؤوسهم، ثم أعادت الزجاجة المختومة إلى المقهى. هذا سيدر على كل واحد منهم أكثر من ثلاثة فرنكات، قال جونسن في سره. التفت وراح يمشي على الرصيف. عندما كان في المقهى ظن أن الحديث عن الموضوع سيخفف من وطأته عليه، لكن هذه الوطأة لم تخف. لم يفلح الحديث إلا في زيادة الطين بلة.

الجزء الثالث
ابن أحد الزملاء الأعضاء في تيريتيه

كان الجو في مقهى المحطة في تيريتيه دافئا كثيرا، وكانت المصابيح براقة والطاولات تلمع من كثرة المسح. كانت هناك سلال من البسكويت المملح في أكياس ورقية لامعة على الطاولات وواقيات كؤوس الشراب من الورق المقوى لتوضع عليها فلا تترك آثارا مستديرة على الخشب. كانت الكراسي منحوتة نحتا، لكن المقاعد كانت بالية ومريحة. وكانت هناك ساعة جدار في أقصى الغرفة، ومكان المشروبات، وكان الثلج يهطل خارج النافذة. كان هناك عجوز يشرب القهوة على طاولة تحت ساعة الجدار ويقرأ جريدة المساء. دخل حمال وقال إن قطار سامپلون -الشرق السريع سيتأخر ساعة في سان

موريس. جاءت النادلة إلى طاولة السيد هارس الذي انتهى من فوره من تناول العشاء، وقالت له:

«سيتأخر القطار مدة ساعة، يا سيدي. هل أجلب لك القهوة؟».

«إن شئت ذلك».

«عفوا؟» سألته النادلة.

«لا بأس»، قال لها السيد هارس.

«شكرا لك، يا سيدي»، قالت النادلة.

جاءت بالقهوة من المطبخ، فوضع فيها السيد هارس مكعبات من السكر ثم طحنها بملعقته، ونظر خارج النافذة إلى الثلج المتساقط تحت الضوء المنبعث من رصيف المحطة.

«هل تتحدثين لغات أخرى غير الإنجليزية؟» سأل النادلة.

«نعم، يا سيدي. أتحدث الألمانية والفرنسية مع اللهجات».

«أيها تفضلين على غيرها؟».

«كلها سواسية يا سيدي. لا أستطيع أن أقول إنني أحب واحدة أكثر من الأخرى».

«هل تودين أن تشربي شيئا أو فنجانا من القهوة؟».

«أوه، لا، يا سيدي. ليس مسموحا لنا بمجالسة الزبائن والشرب معهم في المقهى».

«ولا تدخنين سيجارا؟».

«أوه، لا، يا سيدي»، قالت ضاحكة. «فأنا لا أدخن، يا سيدي».

«ولا أنا»، قال هارس. «أنا لا أتفق مع ديفد بلاسكو»[٧٩].

---

(٧٩) ديفد بلاسكو ممثل وكاتب مسرحي أمريكي (١٨٥٤ - ١٩٣١) [المترجم].

«عفوا؟».

«بلاسكو. ديفد بلاسكو. لا يمكن أن يخطئه المرء لأنه دائما يرتدي قبته بالمقلوب. لكنني لا أتفق معه. ثم إنه ميت الآن».

«هلا أعذرتني، يا سيدي؟» طلبت منه النادلة.

«بكل تأكيد»، قال هارس. انكب إلى الأمام في كرسيه ونظر خارج النافذة. في الطرف الآخر من الغرفة كان العجوز قد طوى جريدته. نظر إلى السيد هارس ثم حمل فنجانه وصحيفته واتجه نحو طاولة هارس.

«معذرة على التطفل»، قال بالإنجليزية، «لكنه خطر لي أنك قد تكون عضوا في جمعية ناشنل جيوغرافك»(٨٠).

«تفضل بالجلوس»، قال هارس، فجلس الرجل.

«ألا تشرب فنجانا آخر من القهوة أو كأسا من المشروب؟»

«لا، شكرا لك»، قال الرجل.

«ألا تشرب كأسا من الكيرش معي؟»(٨١).

«ربما. لكن عليك أن تشربها معي».

«لا. أنا مصر»، قال هارس ونادى على النادلة. أخرج الرجل العجوز كتاب جيب جلديا من أحد جيوب معطفه الداخلية. ثم نزع مشدا مطاطيا عريضا، وأخرج عدة أوراق، ثم انتقى منها واحدة، وناولها إلى هارس.

---

(٨٠) ناشنل جيوغرافك جمعية جغرافية أمريكية تأسست في واشنطن العام ١٨٨٨ «لنشر المعرفة الجغرافية» وهي لا تزال إلى يومنا هذا تصدر مجلة شهرية شهيرة تحمل اسم الجمعية، وهي مجلة علمية تثقيفية [المترجم].

(٨١) الكيرش هو عصير كرز مخمر، وأصل الكلمة ألماني [المترجم].

«هــذه هــي بطاقة عضويتــي»، قال الرجــل. «هل تعرف فردريك ج. رسل في أمريكا؟»[٨٢].

«للأسف لا».

«أظن أنه رجل بارز جدا».

«من أين هو؟ من أين هو في أمريكا؟».

«من واشنطن، طبعا. أليست واشنطن مقر الجمعية؟».

«أعتقد ذلك».

«تعتقد ذلك؟ ألست متأكدا؟».

«لقد غبت عن البلاد طويلا»، قال هارس.

«إذن، أنت لست عضوا؟».

«لا، لكن أبي عضو. إنه عضو منذ زمن بعيد».

«إذن، لا بد أنه يعرف فردريك ج. رسل. إنه أحد المسؤولين في الجمعيــة. وليكن في علمك أن الســيد رســل هو الذي رشحني للعضوية».

«أنا في غاية السرور».

«أنا آسف لأنك لست عضوا. ولكن ألا تستطيع أن تحصل على ترشيح من طريق والدك؟».

«أظن ذلــك»، قــال هــارس. «يجــب أن أنتســب عندما أعود».

«أنصحك بذلك»، قال الرجل. «بالطبع، ترى المجلة؟».

«بالتأكيد».

---

(٨٢) لم أعثر على اسـم فردريك ج. رسـل في أرشـيف الجمعية، وقد راسـلت الجمعية بشأنه فلم يعثروا له على اسـم أيضا، وهذا يقودنا إلى الاعتقاد بأنه شخصية من نسج خيال همنغواي [المترجم].

«هــل رأيت العدد عــن الصفائح العظميــة الملونة لحيوانات شمال أمريكا؟».

«نعم، إنه موجود لدي في باريس».

«والعدد الذي يحتوي مسحا شاملا للبراكين في ألاسكا؟».

«لقد كان عددا رائعا».

«كمــا أنني اســتمتعت كثيرا بصــور الحيوانــات البرية التي التقطها جورج شيرس ثلاثة»(٨٣).

«ما ألعن تلك الصور!».

«عفوا؟».

«لقد كانت فائقة الروعة. إن صاحبنا شيرس...».

«تدعوه صاحبك؟».

«نحن صديقان قديمان»، قال هارس.

«لقد فهمت. أنت تعرف جورج شيرس ثلاثة. لا بد أنه شخص يثير الاهتمام»(٨٤).

«وهو كذلك. يكاد يكون أكثر معارفي إثارة للاهتمام».

«وهــل تعرف جورج شــيرس اثنين؟ وهل هــو مثير للاهتمام أيضا؟».

«أوه، إنه ليس مثيرا للاهتمام كثيرا».

«كنت أتصور أنه مثير للاهتمام».

---

(٨٣) هنا يخطئ العجوز في استخدام اللغة الإنجليزية، إذ يجب أن يقول «جورج شيرس الثالث» (أي الحفيد)، والكلمة تستخدم لتفريق اسم الشخص المعني عن اسم جده وأبيه [المترجم].

(٨٤) بالفعل كان جورج شــيرس، الحفيد، هذا مثيرا للاهتمام، فقد كان محاميا ناجحا وعضوا في الكونغرس الأمريكي، لكنه ظل مولعا بالحياة البرية على مدى ســبعين عاما أو أكثر، ونشرت له مجلة «ناشــنل جيوغرافيك» ٧٤ صورة للحياة البرية في شــمال أمريكا في عدد يوليو ١٩٠٦، ثم استكملت ذلك في أعوام ١٩١٣ و١٩٢١ و ١٩٣٦ [المترجم].

«إنــه أمر غريب ألا يكــون مثيرا للاهتمام إلــى هذا الحد. ولطالما تساءلت عن السبب»[٨٥].

«كنــت أظن أن كل واحد في تلك العائلة مثير للاهتمام»، قال العجوز.

«هل تذكر المسح الشامل للصحراء الكبرى؟» سأله هارس.

«الصحــراء الكبرى؟ لقــد كان هذا منذ نحو خمس عشــرة سنة».

«صحيح. كان ذلك من الأعداد الأثيرة لدى أبي».

«ألا يحبذ الأعداد الأحدث؟».

«ربما، لكنه كان مولعا بالعدد عن الصحراء الكبرى».

«لقد كان عددا ممتازا. لكنني أرى أن قيمة العدد الفنية تفوق قيمته العلمية».

«لا أعرف»، قال هارس. «كانت الريح تعصف بالرمال وأعرابي مع جمله ساجد باتجاه مكة».

«على ما أذكر كان الأعرابي واقفا ويمسك بجمله».

«أنت محق تماما»، قال هارس. «لقد ذهب تفكيري إلى كتاب العقيد لورنس»[٨٦].

«إن كتــاب لورنــس يــدور حول الجزيــرة العربيــة، على ما أعتقد».

---

(٨٥) في الواقع، كان جورج شيرس الثاني (أو الأب) أحد القضاة التسعة في المحكمة الأمريكية العليا، وهي أعلى هيئة قضائية في الولايات المتحدة [المترجم].

(٨٦) الإشــارة هنا إلى ضابط الاســتخبارات الإنجليزي توماس إدورد لورنس (١٨٨٨ - ١٩٣٥) المعروف بلقب لورنس العرب. وبما أن هذه القصة نشــرت العام ١٩٣٣، لذلك فإن الكتاب الذي يشــير إليه السيد هارس هو «ثورة في الصحراء» الذي نشره لورنس العام ١٩٢٧، ثم أعاد نشره العام ١٩٣٥ بطبعة مختصرة تحت عنوان «أعمدة الحكمة السبعة» [المترجم].

«من دون شــك»، قال هــارس. «إن الأعرابي هو الذي ذكرني بالكتاب».

«لا بد أنه شاب ظريف جدا».

«أعتقد أنه كذلك».

«هل تعلم ماذا يفعل هذه الأيام؟»

«إنه في سلاح الجو الملكي».

«ولماذا يفعل ذلك؟»

«لأنه يحب ذلك».

«هل تعلم إن كان عضوا في جمعية ناشنل جيوغرافك؟».

«لا أعرف إن كان كذلك».

«أعتقد أنه سيكون عضوا صالحا جدا. فهو يتحلى بالصفات التي يريدونها في العضو. وسيكون من دواعي سروري أن أرشحه إن كنت تظن أنهم سيرحبون به».

«أعتقد أنهم سيفعلون».

«لقــد رشــحت عالما من فيڤيــه وزميلا من لــوزان وقد قبل الاثنان. أعتقد أن ترشيحي للعقيد لورنس سيسرهم كثيرا».

«إنهــا فكــرة رائعــة»، قال هــارس. «هل ترتاد هــذا المقهى كثيرا؟»

«آتي لأشرب القهوة هنا بعد العشاء».

«هل أنت في الجامعة؟».

«لم أعد فعالا كما كنت من قبل».

«أنــا هنا أنتظر القطار»، قال هارس. «ســأذهب إلى باريس، وسأبحر من ميناء هاڤر إلى الولايات المتحدة».

«لم أزر أمريكا قط، لكنني أود ذلك كثيرا. قد أحضر أحد اجتماعات الجمعية في يوم من الأيام. وسيسعدني أن ألتقي بوالدك».

«أنا واثق بأنه كان سيسعد بلقائك لكنه مات السنة الماضية. تصور أنه أطلق النار على نفسه!».

«يؤسفني هذا حقا. لا بد أن فقده كان صدمة للعلم ولعائلته».

«أما العلم فقد احتمل الصدمة خير احتمال».

«هذه بطاقتي»، قال هارس. «اسمه إي جي بدلا من إي دي. أنا على ثقة بأنه كان سيسعد بمعرفتك».

«لو تم ذلك لكان سروري عظيما». أخرج العجوز بطاقة من محفظة في جيبه وأعطاها إلى هارس. تقول البطاقة:

د. سيغيزموند ڤاير، دكتوراه
عضو في جمعية ناشنل جيوغرافك
واشنطن، دي سي، الولايات المتحدة الأمريكية

«سأحافظ عليها بمنتهى الحرص»، قال هارس.

يوم من الانتظار
[١٩٣٣]

دخل الغرفة ليغلق النوافذ بينما كنا لا نزال نياما، فرأيت المرض باديا عليه. كان يرتجف ووجهه شاحب، وكان يتثاقل في مشيته كأنه يتألم حين يتحرك.

«ما بك، يا شاتز؟».

«رأسي يؤلمني».

«يجدر بك أن تعود إلى السرير».

«لا، أنا بخير».

«عد إلى السرير. سأراك عندما أرتدي ملابسي».

عندما نزلت إلى الطابق السفلي وجدته لابسا ثيابه، ويجلس بقرب النار، والتعاسة والشحوب باديان على وجهه ذي السنوات التسع. وضعت يدي على جبينه فأيقنت أنه مصاب بالحمى.

«عد إلى سريرك»، قلت له. «أنت مريض».

«أنا بخير»، قال لي.

عندما حضر الطبيب، قاس حرارة الولد.

«كم درجة؟» سألته.

«مائة ودرجتان».

ترك الطبيب ثلاثة أدوية مختلفة في كبسولات ملونة مختلفة مع إرشادات إعطائها. كان أحدها لتخفيض الحمى، والثاني لتطهير الأمعاء، والثالث للتخلص من حالة الحموضة. قال الطبيب إن جراثيم الإنفلونزا لا تعيش إلا بوجود حالة حموضة.

يبدو أنه كان يعرف كل شـيء عـن الإنفلونزا، وقال إنه لا داعي للقلـق ما لم تتجـاوز الحمى مائة وأربع درجـات. فهذا نوع من الإنفلونزا السـارية والخفيفة، ولا خطر منهـا ما لم تتطور إلى التهاب في الرئتين.

عدت إلى الغرفة، فدونت حرارة الولد، وسجلت موعد إعطاء كل كبسولة.

«هل تريدني أن أقرأ لك؟».

«لا بأس. إن شئت ذلك»، قال الولد. كان وجهه شديد الشحوب، وكانت هناك هالات سوداء تحت عينيه. كان يرقـد بلا حراك في سريره، وكان سادرا لا يعي ما يجري حوله.

قرأت له بصـوت عال من «كتاب القراصنـة» للكاتب هاورد پايل[٨٧]، لكنني كنت أرى أنه لم يكن يتابع ما أقرأ.

«كيف تشعر، يا شاتز؟» سألته.

«لا تغير حتى الآن»، قال لي.

جلسـت عند قدم السـرير ورحت أقرأ لنفسي إلى أن يحين موعـد إعطائه كبسـولة أخرى. كان من الطبيعـي أن ينام، لكن عندمـا تطلعت إليـه وجدته يرنو إلـى قدم السـرير بنظرات شاردة.

«لماذا لا تحاول أن تنام؟ سأوقظك حين يحين موعد الدواء».

«أفضل أن أبقى مستيقظا».

وبعد هنيهة قال لي: «لسـت مضطرا إلـى البقاء هـنا معـي، يا أبي، إن كان هذا يزعجك».

(٨٧) هـاورد پايل (١٨٥٣ - ١٩١١) رسـام وكاتـب أمريكي دأب على كتابة قصص الفروسـية والمغامرات الموجهة إلى الشباب وكان يزود هذه القصص برسوماته أيضا [المترجم].

«إنه لا يزعجني».

«أقصد أنك لست مضطرا إلى البقاء معي إن كان هذا يزعجك».

قلت في نفسي لعله يهذي قليلا، وبعد إعطائه الدواء الموصوف في الحادية عشرة خرجت قليلا.

كان يوما مشرقا باردا، وكانت الأرض مغطاة بمطر متجمد جعل كل الأشجار الجرداء والأجمات والأدغال المقطوعة والعشب والأرض الجرداء تبدو كأنها مكسوة بالجليد. أخذت الكلب الإيرلندي الصغير نتنزه على الطريق بمحاذاة جدول متجمد، لكنه كان يصعب علينا أن نتوقف أو نمشي فوق ذلك السطح البلوري، إذ كان الكلب يتخبط وينزلق، وأنا وقعت بشدة مرتين، فسقطت بندقيتي وراحت تنساب فوق الجليد.

أجفلنا سربا من طيور السلوى كانت تختبئ تحت جرف طيني عال تتدلى فوق حافته الأدغال، فقتلت اثنين منها عندما توارت فوق الجرف. حط بعضها على الأشجار، لكن معظمها تفرق بين أكوام الأغصان المتكسرة، ما اضطرني إلى القفز عدة مرات فوق هذه الأكوام المكسوة جليدا قبل أن تجفل. كان يصعب علي أن أصيدها، إذ كانت تخرج بينما أنا أترنح فوق تلك الأكوام الجليدية النابضية، لكنني قتلت اثنين وأخطأت خمسا. عدت مسرور الخاطر إذ وجدت سربا قريبا من المنزل ظل منه الكثير أعود إليه في يوم آخر.

في البيت قالوا إن الولد رفض أن يدع أيا كان أن يدخل غرفته، قائلا:

«لا يمكنكم الدخول. عليكم ألا تصابوا بما لدي».

صعدت إليه ووجدته تماما كما تركته، شاحب الوجه، وإن كانت الحمى قد وردت وجنتيه، وكان لا يزال يحدق في قدم السرير.

قست حرارته.

«كم؟».

«تقارب المائة»، قلت له. كانت حرارته مائة ودرجتين وأربعة أعشار من الدرجة.

«لقد كانت مائة ودرجتين»، قال لي.

«من قال ذلك؟».

«الطبيب».

«حرارتك على ما يرام»، قلت له. «لا داعي للقلق».

«لست قلقا، لكنني لا أستطيع أن أكف عن التفكير».

«لا تفكر»، قلت له. «هوِّن عليك».

«وهو كذلك»، قال وصوب نظراته إلى الأمام. كان واضحا أنه يتكتم على أمر ما.

«خذ هذه مع الماء».

«هل تظن أنها ستنفع؟».

«طبعا ستنفع».

جلست وفتحت «كتاب القراصنة» وبدأت القراءة، لكنه لم يكن يتابع معي، لذلك توقفت.

«متى تظن أنني سأموت، على وجه التقريب؟» سألني.

«ماذا؟».

«كم تبقى لي قبل أن أموت؟».

«لن تموت. ماذا أصابك؟».

«بل سأموت. لقد سمعته يقول مائة ودرجتين».

«لا يموت الناس بسبب ارتفاع حرارتهم إلى مائة ودرجتين. هذا كلام سخيف».

«لكنني أعلم أنهم يموتون. لقد قال لي الأولاد في المدرسة في فرنسا إن الإنسان يموت عند درجة أربع وأربعين. وأنا لدي مائة ودرجتان».

إذن، صار له ينتظر الموت منذ التاسعة صباحا.

«أنت مسكين، يا شاتز»، قلت له. «أنت مسكين. الأمر يشبه الأميال والكيلومترات. لن تموت، لأن ذلك مقياس حرارة مختلف. في ذلك المقياس تكون درجة الحرارة العادية سبعا وثلاثين. أما في هذا المقياس فهي ثمان وتسعون».

«هل أنت متأكد؟».

«بكل تأكيد»، قلت له. «إن الأمر يشبه الأميال والكيلومترات. أي مثل: كم كيلومترا تكون سرعة السيارة عندما تسير بسرعة سبعين ميلا؟».

«أوه».

لكن تحديقه في قدم السرير تراخى رويدا، رويدا. وأخيرا، خف انقباضه على نفسه، وفي اليوم التالي تراخى على أبعد الحدود إلى درجة أنه صار يبكي بسهولة لأتفه الأسباب.

التاريخ الطبيعي للأموات
[١٩٣٢ - ١٩٣٣]

لقــد بدا لــي منذ زمن طويــل أن الحرب شــطبت من حقل ملاحظات عالم الطبيعيات. لقد أعطانا المرحوم و. هـ. هدسن[٨٨] توصيفات ســاحرة وصادقة عن حيوانات پتاغونيا ونباتاتها[٨٩]، وقد كتب الكاهن غلبرت وايت أمتع وصف لطائر الهدهد وزياراته غير المنتظمة إلى ســلبورن[٩٠]، أما الأسقف ستانلي فقد أعطانا كتابا قيما، برغم شــعبيته، هو «قصة الطيور من قرب»[٩١]، إذن، ألا يمكننــا أن نــزود القارئ ببضع حقائــق منطقية وممتعة عن الأموات؟ هذا ما آمله.

عندمــا أصيب الرحالــة المثابر منغو پــارك[٩٢] بالإغماء في إحدى جولاته في الصحاري الأفريقية الشاســعة الموحشة، وكان عاريا وحيدا، وبدا له الأجل الداني فلم يتبق له سوى أن يستسلم ويموت، وقعت عينه على زهرة طحلبية صغيرة ذات جمال فائق. يقول پارك: «مع أن النبتة بكاملها لم تكن أكبر من إحدى أصابعي،

---

(٨٨) وليم هنري هدســن (١٨٤١ - ١٩٢٢): عالم طبيعيــات بريطاني من مواليد بوينس آيرس، وهو من أصل أمريكي [المترجم].

(٨٩) پتاغونيا: منطقة شــبه قاحلة في جنوبي الأرجنتــين تتميز بنباتاتها وحيواناتها البرية التي شدت إليها أنظار علماء الحيوانات والإحاثة [المترجم].

(٩٠) غلبرت وايت (١٧٢٠ - ١٧٩٣): عالم طبيعيات بريطاني، وهو في الأصل راعي أبرشية في قرية سلبورن في جنوبي إنجلترا [المترجم].

(٩١) هذا الكتاب من تأليف عالم طبيعيات بريطاني اســمه إدورد ســتانلي، وهو منشــور العام ١٨٨٠، ويبــدو أن همنغــواي خلط بين مؤلف هذا الكتاب وبين الأســقف آرثر بنــرين ســتانلي (١٨١٥ - ١٨٨١)، كبير أساقفة وستمنستر [المترجم].

(٩٢) منغو پارك (١٧٧١ - ١٨٠٦): طبيب ومستكشــف اســكتلندي ذهب إلى أفريقيا ومات فيها [المترجم].

لم أجد بدا من أن أتأمل بإعجاب تلك البنية الدقيقة لجذورها وأوراقها وأغشيتها. فهل يمكن لمن أنبت في هذا الجزء المجهول من العالم شيئا لا قيمة كبيرة له ثم سقاه ثم أتم خلقه، أيمكن أن ينظر بلا اكتراث إلى معاناة مخلوقاته التي صورها أحسن تصوير؟ قطعا لا. لم تسمح لي مثل هذه التأملات أن أقنط، فنهضت، غير آبه بالجوع والتعب، وتابعت مسيري وكلي يقين بأن الفرج قريب، وما خاب ظني».

إذا كان الإنسان بطبعه ميالا إلى الاندهاش والعشق على نحو ما يصف الأسقف ستانلي، فهل يمكنه أن يدرس أي فرع من أفرع التاريخ الطبيعي من دون أن يزداد إيمانه وعشقه وأمله الذي يحتاج إليه كل واحد منا في مسيرته في هذه الدنيا الموحشة؟ إذن، دعونا نر ما يمكن أن نستلهمه من الأموات.

عادة ما يكون موتى الحرب من الذكور من الجنس البشري، لكن هذا لا ينطبق على الحيوانات، إذ طالما رأيت أفراسا ميتة بين الأحصنة. ومن مظاهر الحرب المثيرة للاهتمام أيضا أنه لا يتسنى لعالم الطبيعيات أن يرى موتى البغال إلا في الحرب. فعلى مدى عشرين عاما من الحياة المدنية لم أشهد بغلا واحدا ميتا، لذلك أصبحت تساورني الشكوك فيما إذا كانت هذه الحيوانات قابلة للفناء. وفي مناسبات نادرة رأيت ما ظننتها بغالا ميتة، لكن لم أكد أقترب منها حتى تبين لي أنها مخلوقات حية تبدو كالميتة بفضل قدرتها على السكون المطلق. أما في الحرب، فإن هذه الحيوانات تستسلم كما تستسلم الخيول الأكثر عددا والأقل مقاومة من البغال.

معظم البغال التي رأيتها ميتة كانت طرق جبلية أو عند أسفل المنحدرات الشاهقة التي دفعت إليها دفعا كي لا تكون عائقا في الطرقات. كان مشـــهدها في الجبال أمـــرا مألوفا، حيث اعتاد المرء وجودها هناك، وأقل شذوذا من ذلك المنظر في إزمير حيث قام اليونانيون بكســر قوائم كل حيوانات الجر لديهم ثم دفعوها مـــن فوق رصيف الميناء كي تغرق في المياه الضحلة(٩٣)، كان عدد البغال والخيول المكســرة القوائم والغارقة في المياه الضحلة في حاجـــة إلى واحد مثل غويا لتصويرها(٩٤)، مع أنه، والحـق يقـال، لا يستطيع المرء أن يقول إنها في حاجة إلى واحد مثل غويا: أولا، لأنه لا يوجد ســوى غويا واحد وقد مـــات منذ زمن بعيد، ثانيا، لأنـــه من غير المعقول أن تطالب هـــذه الحيوانات، إن حق لها أن تطالـــب، بتمثيل تصويري لمحنتها، بل الأرجح أنها ســـتطالب، لو نطقت، بمن يخفف عنها ما هي فيه.

أمـــا فيما يتعلق بجنس الأموات فالحقيقة أن المرء يعتاد رؤية الموتـــى من الرجال حتى إنه يصعق تماما عندما يرى امرأة ميتة. لقد رأيت هذه الآية معكوسة لأول مرة بعدما انفجر مصنع للذخيرة في ميلانو في إيطاليا. ذهبنا إلى مكان الكارثة بالشاحنات على طـــرق يظللها الحور وتحاذيها خنادق تكتظ بحيوانات صغيرة لم أتمكن من مشاهدتها جليا بسبب سُحب الغبار التي كانت تثيرها الشاحنات. وعندما وصلنا إلى المكان الذي كان يقوم عليه مصنع

(٩٣) راجـــع قصة «على رصيـــف الميناء في أزمير» في هذا المجلد، وحاشـــيتنا على هامش تلك القصة [المترجم].

(٩٤) الإشارة هنا إلى الفنان الإسباني الشهير فرانسيسكو خوسيه دو غويا إي لوسينتيس (١٧٤٦ - ١٨٢٨) الذي كان معروفا بميله إلى التمثيل الواقعي في رسومه التي كانت تتخذ طابعا هجائيا ساخرا، مما جعله أعظم رسامي زمانه [المترجم].

الذخيــرة، عين بعضنا خفراء على مخازن الذخيرة الكبيرة التي، لسـبب من الأسـباب، لم تنفجر، بينما أوكل إلـى بعضنا الآخر مهمة إطفاء نار شـبت في حقل مجـاور. وبعد انتهائنا من هذه المهمة الأخيرة، تلقينا أمرا بالبحث عن جثث في الجوار القريب والحقـول المحيطة. وجدنا عددا هائلا من هــذه وحملناها إلى مسـتودع للجثث أعد على عجل، وعلي أن أعترف صراحة بأننا صعقنا عندما وجدنا الأموات نسـاء لا رجالا. في تلك الأيام، لم تكن النسـاء يقصرن شعورهن، كما فعلن لاحقا ولسنوات عديدة فـي أوروبا وأمريكا، فكان أكثر ما يصعقنـا، ربما لأنه أمر غير مألوف، هو وجود هذا الشـعر الطويل، بل ما صعقنا أكثر وأكثر هو غياب هذا الشـعر الطويـل أحيانا. أذكر أنه بعد انتهائنا من البحث عن الجثث الكاملة، رحنا نجمع الأشلاء. نزعنا كثيرا من هذه الأشـلاء عن سياج من الأسلاك الشائكة الثقيلة كان يحيط بموقـع المصنع، وعما بقي قائما من المصنع، حيث اسـتطعنا أن نجمع كثيرا من الأشـلاء المتناثرة التي دللت على هول الانفجار. وجدنا أشـلاء كثيرة على مسـافات بعيدة في الحقول، أشـلاء حملها ثقلها إلى هذه المسافات.

أذكـر لدى عودتنا إلـى ميلانو أن واحـدا أو اثنين منا راحا يتناقشان فيما حدث، فاستنتجا أن سمة اللاواقعية التي طبعت الحــدث، وغياب الجرحى جـردا الكارثة من رعب كان يمكن أن يكـون أعظم بكثير. أضف إلى ذلـك أن الكارثة كانت على هذه الدرجــة من القرب وأن ذلـك أدى بالنتيجة إلـى التخفيف من بشاعة حمل الموتى أو التعامل معهم، كل ذلك جعل الأمر مختلفا

عمـا ألفناه فـي حقل المعركة. وما عوضنا عن بشـاعة ما أوكل إلينـا هو تلك الرحلة الممتعة، على مـا فيها من غبار، عبر ريف لومباردي الجميل(٩٥)، ولدى عودتنا تبادلنا الانطباعات، فأدركنا جميعا أنه من حسـن الحظ أننا سيطرنا بسرعة على النار التي شـبت قبيل وصولنا، وقبل أن تصل إلى أي من مخازن الذخيرة الهائلة التي لم تنفجر. كما أننا استنتجنا أن مهمة جمع الأشلاء كانت عملا يفوق المألوف، إذ إن ما أذهلنا هو كيف يتناثر الجسم البشري إلى أشـلاء تتحدى أي نسق تشريحي، لكأنه في نزوته هذه يشبه التشظي الذي يحدثه انفجار عبوة ناسفة.

لكي تكون ملاحظات عالم الطبيعيات دقيقة، قد يقصر هذه الملاحظات على فترة محدودة، وأنا سأقتصر أولا على تلك الفترة التالية للهجوم النمسـاوي في يونيو ١٩١٨ في إيطاليا حيث بلغ عـدد الموتى أقصاه، بعـد أن أجبر المهاجمون علـى التراجع ثم تقدموا لاحقا لاسـتعادة الأراضي التـي فقدوها، أي إن المواقع بقيت هي هي بعد المعركة وقبلها باستثناء وجود الموتى. إن مظهر الأمـوات يتغير كل يوم ما لم يدفنوا. عند القوقازيين يتغير اللون مـن أبيض إلى أصفر ثم إلـى أصفر مائل للاخضـرار ثم إلى الأسود(٩٦)، وإذا تركت الجثة طويلا تحت الحرارة فإن لونها يصبح كلون قطران الفحم، لاسـيما إذا كانـت ممزقة، ولها تقزح لوني واضح يشبه تقزح الفحم. ويظل الأموات يتورمون كل يوم إلى أن تضيق أحيانا ملابسهم وتنتفخ إلى حد الانفجار. قد يزداد حجم كل طرف من الأطراف إلى حد لا يصدق، وتَنشدُّ الوجوه وتتكور

(٩٥) لومباردي هو أحد أقاليم إيطاليا ويقع في جزئها الشمالي [المترجم].

(٩٦) القوقازي هو تصنيف لوني لا عرقي ويشير إلى أي شخص ذي بشرة بيضاء [المترجم].

حتى تصبح كالبالونات. أما المفاجأة، فضلا عن تورم الجثث التدريجي، فهي كمية الأوراق المتناثرة حول الموتى. ويعتمد موقع الأوراق في المحصلة، حتى قبل أن تطرح مسألة الدفن، على موقع الجيوب في كل زي. ففي الجيش النمساوي توضع هذه الجيوب في ظهر البنطال، وبما أن الموتى ينكبون على وجوههم بعد فترة قصيرة، فإن جيبي الورك يندلعان إلى الخارج، فتندلق منهما الأوراق وتتناثر بين الأعشاب. إن الانطباعات التي تحتفظ بها الذاكرة هي انطباعات عن الحرارة والذباب ومواضع الجثث بين الأعشاب وكمية الأوراق المتناثرة هنا وهناك. أما رائحة حقل المعركة في الطقس الحار فهي أمر عسير على الذاكرة. يستطيع المرء أن يتذكر أنه كانت هناك رائحة، لكنه لا فائدة من محاولة استرجاعها. إنها تختلف عن رائحة الفوج التي قد تعاودك فجأة وأنت في عربة الترام، فإذا ما نظرت أمامك فسوف تجد الرجل الذي جلبها إليك. أما تلك فإنها تتلاشى تماما كيوم كنت عاشقا، حيث تستطيع تذكر الأشياء التي حدثت لكنك تعجز عن استرجاع ذلك الإحساس.

ترى، لو شهد منغو پارك، ذلك الرحالة الذي لا يكل، لو شهد أرض المعركة ذات يوم حار، فما الذي كان سيعيد إليه ثقته؟ لم تكن حقول القمح تخلو من الجراء في أواخر يونيو ويوليو، كما أن أشجار التوت تكون مورقة تماما، ويستطيع المرء أن يرى موجات الحرارة عبر حجب الأوراق عندما ترتطم أشعة الشمس بمواسير الرشاشات، والأرض تنقلب صفراء ناصعة عند حافة الحفر التي حفرتها القذائف الحاملة لغاز الخردل، وتبدو البيوت

المتصدعـــة خيرا من البيوت التي تعرضت للقصف، لكن قلة هم الرحالة الذين سيملأون صدورهم من هواء ذلك الصيف الباكر، أو تدور في خلدهم خواطر كتلك التي دارت في خلد منغو پارك عن مخلوقات صاغها الله(٩٧).

إن أول ما تكتشـــفه عن الموتى، إذا كانت إصابتهم بالغة، هو أنهم يموتون ميتة الحيوانات. بعضهم يموت ســـريعا من جرح صغيـــر لا تظن أنه يقتل أرنبا. إنهـــم يموتون أحيانا تماما كما تمـــوت الأرانب من ثلاث أو أربع حبـــات خردق لا تكاد تخترق الجلد. وآخرون يموتون كالقطط، حيث تجد الجمجمة مهشمة وقد اســـتقرت قطعة حديـــد في الدماغ، ويظلـــون أحياء مدة يومـــين، ثم يزحفون كما تزحـــف القطط داخل صندوق للفحم بعد أن اســـتقرت رصاصة فـــي دماغها، ولا تموت ما لم تقطع رأســـها. ربما لا تموت القطط عندها، إذ يقولون إن لها تســـع أرواح، لا أعـــرف، لكن معـــظم الرجـــال يموتون كالحيـــوانات لا كالرجال. لم أشـــهد في حياتـــي موتا طبيعيا، لذلك وضعت اللوم على الحرب، وكنـــت أعلم، مثل منغو پارك، ذلك الرحالة الـــذي لا يكل، أن هناك شـــيئا غير ذلك، شـــيئا غائبا دائما. وأخيرا شهدت واحدا.

الموت الطبيعي الوحيد الذي رأيته، غير الموت الذي يســـببه فقدان الدم، وهو ليس بالأمر السيئ، هو الموت بسبب الإنفلونزا الإسبانية، حيث يغرق المصاب بالمخاط ويختنق. أما كيف تعرف أن المريض ســـيموت، فمما يلي: يتحول المريض في النهاية إلى

(٩٧) تبدو الفكرة في هذه الجملة التشـــاؤمية متناقضة مع روح الأمل التي بشـــرنا بها همنغواي في نهاية الفقرة الثالثة من هذه القصة [المترجم].

طفل صغير، برغم قوته ورجولته، ثم يودع سريره، تماما كما يفعل طفل في حفاضه، بطوفان هائل من سائل أصفر يظل يتدفق ويقطر منه حتى بعد موته. لذلك أريد أن أشهد الآن موت أي ممن يدعون أنهم من أتباع الحركة الإنسانية لأنني وذلك الرحالة الذي لا يكل، منغو پارك، لا نزال على قيد الحياة(٩٨)، وربما سنظل كذلك إلى أن نشهد الموت الفعلي لأفراد هذه الطائفة الأدبية لنرى أي منقلب ينقلبون(٩٩)، لقد خطر لي وأنا أتأمل هذا الأمر تأمل عالم في الطبيعيات أنه يتحتم على البعض أن يتخلوا عن اللياقة، برغم أنها شيء ممتاز، إذا أريد للمسيرة الإنسانية أن تستمر، حيث الترتيب الموصوف للتكاثر لا يدل على اللياقة، بل أبعد ما يكون عن اللياقة. كما خطر لي أيضا أنه قد يكون هؤلاء الناس (أتباع الحركة الإنسانية) نسل تعايش لائق، أو هكذا كانوا. لكن بغض النظر عن كيفية منشئهم، فإني آمل أن أرى نهاية بضعة منهم وأن أتخيل كيف سيأتي الدود على عقمهم المصون دهرا، وأن تذهب كراساتهم أدراج الرياح، وأن يذهب كل شبقهم شذر مذر.

قد لا توجد غضاضة في أن يعامل أدعياء المواطنة هؤلاء ضمن إطار التاريخ الطبيعي للأموات، مع أن تصنيفهم هكذا قد لا يعني شيئا عند نشر هذا العمل، بيد أنه مجحف للأموات الآخرين الذين لم يموتوا في شبابهم طواعية، أولئك الذين

---

(٩٨) لا ندري إن كان همنغواي قد وقع في مغالطة تاريخية، أم أنه يقصد ذلك القول من باب المجاز، إذ إن منغو بارك توفي العام ١٨٠٦، أي قبل ١٢٦ عاما من نشر هذه القصة [المترجم].

(٩٩) أستميح القارئ عذرا لذكر هذه الظاهرة المنقرضة. لقد آثرت الإبقاء على هذه الإشارة لما فيها من فائدة تاريخية ولأن حذفها سيفسد التناغم في القصة، وإن كانت هذه الإشارة، ككل الإشارات إلى الأنماط السائدة، تطبع القصة بطابع زمني محدود [المترجم].

لم يملكوا مجلة في حياتهم والذين نجزم أن كثيرا منهم لم يقرأ ولو مقالة واحدة، مجحف للذين ماتوا في لهيب الطقس وقد رعى الدود أفواههم. لم يكن الأموات دوما عرضة لحرارة الطقس، بل كانوا في كثير من الأحيان عرضة للأمطار التي إما تزخ عليهم في العراء، أو تجعل مدافنهم تحت التراب رخوة، أو تظل تزخ حتى تخرجهم من مدافنهم، فتضطر إلى دفنهم ثانية. وإن ماتوا في الشتاء في الجبال، فيتعين عليك أن تدفنهم في الثلج، ولا يكاد الثلج يذوب في الربيع حتى يتعين على أحد غيرك أن يدفنهم. إن أجمل المدافن هي مدافن الجبال، فالحرب في الجبال هي أجمل الحروب قاطبة. في واحدة من هذه الحروب وفي مكان يدعى بوكول(١٠٠)، دفن جنرال اخترقت رأسه رصاصة قناص. إن الذين يكتبون كتبا تدعى «الجنرالات يموتون في فراشهم»(١٠١) هم كتاب مخطئون، لأن هذا الجنرال مات في خندق حفر في الثلج في أعالي الجبال، وكان يرتدي قبعة ألبية(١٠٢) تزينها ريشة نسر وثقب من الأمام لا تستطيع أن تدخل فيه خنصرك فيه، وثقب من الخلف يمكنك، إن شئت، أن تدخل فيه قبضة يدك، إن كانت صغيرة، وقد خضب الثلج بدمه الغزير. كان جنرالا رائعا، وكذلك كان الجنرال فون بير(١٠٣)

---

(١٠٠) بوكول: بلدة تقع في الشمال الشرقي من إيطاليا [المترجم].

(١٠١) «الجنرالات يموتون في فراشهم» (١٩٣٠) أول رواية للكاتب الكندي - الأمريكي تشارلز ييل هاريسن (١٨٩٨ - ١٩٥٤)، التي يروي فيها ما شهده من أحداث خلال الحرب العالمية الأولى [المترجم].

(١٠٢) نسبة إلى جبال الألب [المترجم].

(١٠٣) لم أعثر على ذكر للجنرال فون بير، لا في موسوعة الحرب العالمية الأولى ولا في المصادر الألمانية المنشورة على الإنترنت [المترجم].

الـــذي كان قائد فيلق الألب الباقـــاري[١٠٤] الذي قتل في معركة كابوريتو[١٠٥] على يد قوات الإســـناد الخلفـــي الإيطالية عندما كان يقود ســـيارته إلى أوديني[١٠٦] فـــي مقدمة قواته. لذا يجب أن تكون عناوين مثـــل هذه الكتب «الجنرالات عادة يموتون في فراشهم»، إن شئنا الدقة في مثل هذه الأمور.

كان الثلج أيضا يتســـاقط في بعـــض الأحيان على الموتى في الجبال خارج مركز الإســـعاف القائـــم على الجانب الذي يحميه الجبل من أي قصف. كان الموتى يحملون إلى كهف حُفر في سفح الجبـــل قبل أن تتجمد الأرض. في هـــذا الكهف كان يرقد رجل يومين وليلة، وكان رأســـه مهشما كما يتهشم أصيص الزهور، مع أنه ظل متماسكا بفضل الأغشية وضمادة ربطت بمهارة وصارت الآن منقوعة ومتيبسة، كما اخترقت دماغه شظية فولاذية. طلب حاملو النقالة من الطبيب أن يذهب ويلقي نظرة عليه. كانوا يرونه كلما أتوا بنقلة، وكانوا يسمعون أنفاسه حتى وإن لم ينظروا إليه. كانت عينا الطبيب محمرتين وجفناه متورمين، ويكادان يغمضان من الغاز المســـيل للدموع. نظر إلى الرجل مرتين: مرة في النهار ومرة على ضوء مشعل كهربائي. مصدر إلهام جيد لغويا، أقصد الزيارة على ضوء المشـــعل الكهربائي. لم يصدق الطبيب حاملي النقالة أن الجندي لا يزال على قيد الحياة إلا بعد أن ألقى عليه نظرة ثانية.

---

(١٠٤) تأسس فيلق الألب الباقاري في ٢١ مايو العام ١٩١٥ وذلك لمساعدة النمسا في الدفاع عن حدودها الجنوبية، وهو فيلق مدرب للقتال في المناطق الجبلية [المترجم].

(١٠٥) بدأت معركة كابوريتو على الجبهة الإيطالية يوم ٢٤ أكتوبر ١٩١٧ [المترجم].

(١٠٦) أوديني بلدة تقع في الشمال الشرقي لإيطاليا [المترجم].

«وماذا تريدون أن أفعل بشأنه؟» قال لهم.

لم يكونوا يريدون منه أن يفعل أي شيء. لكن بعد قليل طلبوا إليـــه أن يأذن لهم أن يخرجوه مـــن الكهف ويضعوه مع المصابين بجراح بالغة.

«لا. لا. لا!» قال الطبيب الـــذي كان منهمكا في عمله. «ماذا جرى لكم؟ هل تخافون منه؟».

«بل لا نود أن نسمعه بين الموتى».

«لا تستمعوا إليه. إن أخرجتموه من هناك، فستضطرون إلى إعادته فورا».

«لا مانع لدينا، سيدي النقيب الطبيب».

«لا»، قال الطبيب. «لا. ألم تسمعوني أقول لا؟».

«لماذا لا تعطيه جرعة مضاعفة من المورفين». ســـأله ضابط مدفعية كان ينتظر أن تضمد ذراعه الجريحة.

«وهل تظن أن المورفين لا يســـتخدم لغير هـــذا؟ أتريدني أن أجري عمليات بلا مورفين؟ بما أن لديك مسدسا، لماذا لا تذهب وتطلق النار عليه بنفسك؟».

«لقـــد أُصيب بطلق ناري ســـلفا»، قال الضابـــط. «لو أصيب بعضكم، أيها الأطباء، لاختلف الأمر».

«شكرا جزيلا لك»، قال الطبيب وهو يلوح بملقط في الهواء. «شكرا لك ألف مرة. وهاتان العينان؟» قال وهو يشـــير إلى عينيه بالملقط. «ما رأيك لو أصيبت عيناك بما أصيبت به هاتان العينان؟».

«هذا غاز مســـيل للدموع. لو كانت المسألة مسألة غاز مسيل للدموع، لكنا محظوظين».

«لأنكم تتركون الجبهة»، قـــال الطبيب. «لأنكم تأتون إلى هنا تتراكضون تريدون إخلاءكم من الغاز المسيل للدموع. إنكم تفركون البصل في عيونكم».

«أنت منفعل. لست أبالي بإهاناتك لأنك مجنون».

دخل حاملو النقالة، وقال أحدهم:

«سيدي النقيب الطبيب».

«اخرجوا من هنا»، قال الطبيب، فخرجوا.

«ســـأطلق النار على ذلك المسكين»، قال ضابط المدفعية. «أنا إنسان ولن أدعه يتعذب».

«على الرحب والسعة»، قال الطبيب. «أطلق عليه النار. تحمل المسؤولية، وسأعد تقريرا يقول إن ملازما في سلاح المدفعية قد أطلـــق النار على الجريح في أول مركز للعلاج. أطلق عليه النار. هيا أطلق عليه النار».

«أنت لست بشرا».

«إن شـــغلي هو العناية بالجرحى لا قتلهم. فذاك شغل رجال المدفعية».

«إذن، لماذا لا تعتني به؟».

«لقد فعلت. لقد فعلت كل ما في وسعي».

«لماذا لا ترسله إلى سكة الحديد المعلقة؟».

«مـــن أنت كي تســـألني؟ هل أنت رئيســـي الأعلى؟ هل مركز الإسعاف تحت إمرتك؟ تكرم عليّ وأجبني».

ظـــل ضابط المدفعية صامتا. كان الآخرون في الغرفة جميعا من الجنود، وليس بينهم ضابط سوى هذا.

«أجبني»، قال الطبيب وهو يمسك إبرة بالملقط. «أعطني جوابا».

«تفوه عليك»، قال له ضابط المدفعية.

«هكذا، أنت قلتها»، قال الطبيب. «حسن، حسن، سنرى».

هب ضابط المدفعية واقفا واتجه نحوه.

«تفوه عليك»، قال للطبيب. «تفوه عليك. تفوه على أمك. تفوه على أختك...».

كان الطبيب يحمل صحفة مملوءة باليود، فرشقها على وجهه. توجه الملازم نحوه، وهو يتحسس مسدسه كالأعمى. قفز الطبيب وراءه بسرعة، ثم عرقله، فسقط على الأرض، ورفسه مرات عدة ثم انتزع منه المسدس بقفازيه المطاطيين. جلس الملازم على الأرض وهو يضع يده السليمة على عينيه.

«سأقتلك»، قال للطبيب. «سأقتلك حالما أراك».

«أنا القائد هنا»، قال الطبيب. «عفا الله عما مضى ما دمت تعلم أنني أنا القائد. لن تستطيع قتلي لأن مسدسك عندي. أيها الرقيب! أيها المساعد! أيها المساعد!».

«المساعد عند سكة الحديد المعلقة»، قال الرقيب.

«امسح عيني هذا الضابط بالكحول والماء. لقد دخل فيهما اليود. اجلب لي الحوض لأغسل يدي. لقد أتى دور هذا الضابط».

«لن تلمسني».

«أمسكه بإحكام، فهو يعاني من هذيان بسيط».

جاء أحد حاملي النقالة.

«سيدي النقيب الطبيب».

«ماذا تريد؟».

«الرجل الموجود في بيت الموتى...».

«اخرج من هنا».

«لقد مات، سيدي النقيب الطبيب. ظننت أن هذا الخبر سيسرك».

«هل رأيت، أيها الملازم المسكين؟ نحن نتخاصم من أجل لا شيء. في زمن الحرب ونتخاصم من أجل لا شيء».

«تفوه عليك»، قال ضابط المدفعية. كان لا يزال غير قادر على الرؤية. «لقد أعميتني».

«إنها لا شيء»، قال الطبيب. «ستكون عيناك على ما يرام. إنها لا شيء. خلاف حول لا شيء».

«آي، آي، آي»، راح الملازم يصرخ فجأة. «لقد أعميتني! لقد أعميتني!».

«أمسكه بإحكام»، قال الطبيب. «إنه يتألم كثيرا. أمسكه بإحكام شديد».

لاعب الورق والراهبة والمذياع
[١٩٣٣]

جـــاءوا بهم فـــي نحو منتصـــف الليل، وكان صوت الروســـي مسموعا للجميع على طول الممر.

«أين أُصيب؟» سأل السيد فريزر الممرضةَ الليلية.

«في الفخذ، على ما أعتقد».

«وكيف حال الآخر؟».

«أوه، أخشى أنه سيموت».

«أين أصيب؟».

«لقد أصيب بطلقتين في بطنه. لكنهم لم يجدوا ســـوى طلقة واحدة».

كان الاثنان يعملان في الشَّـــوَنْدَر. أحدهما مكسيكي والآخر روســـي، وكانا يجلســـان في مطعم ليلي ويشربان القهوة، عندما دخل أحدهم وراح يطلق النار على المكســـيكي، انبطح الروســـي تحت الطاولة، لكنه في النهاية أصابته طلقة طائشة أُطلقت على المكسيكي الممدد على الأرض بعد أن استقرت طلقتان في بطنه. هذا ما قالته الجريدة.

قال المكســـيكي للشـــرطة إنه لا يعرف من الـــذي أطلق النار عليه. كان يعتقد أن الأمر مجرد مصادفة.

«مجـــرد مصادفة وقـــد أطلق عليك ثمانـــي طلقات وأصابك مرتين هنا؟».

«نعم، يا سيدي»، قال المكسيكي المدعو كايتانو رويز.

«بل المصادفة أن ذلك الكابْرون أصابني»، قال للمترجم[١٠٧].

«ماذا يقول؟» سأل رقيبُ المباحث وهو ينظر إلى المترجم قُبالته على الطرف الآخر من السرير.

«يقول إنها كانت مجرد مصادفة».

«قل له أن يقول الحقيقة وأنه سيموت»، قال الرقيب.

«لا»، قال كايتانو. «ولكن قل له إنني مريض جدا وإنني أفضل ألا أتحدث كثيرا».

«يقول إنه يقول الحقيقة»، قال المترجم. ثم قال للرقيب بنبرةِ مَنْ يفشي سرا، «إنه لا يعرف من أطلق النار عليه. لقد أصيبُ في ظهره».

«أجل»، قال رقيب المباحث. «أفهم هذا، لكن لماذا أصابته كل الرصاصات من الأمام؟».

«ربما كان يدور حول نفسه»، قال المترجم.

«استمع إليَّ»، قال رقيب المباحث، وهو يهز إصبعه أمام أنف كايتانو الذي كان بارزا كالشمع الأصفر من وجهه الذي لا حياة فيه سوى عينين يقظتين كعَيْنَي صقر. «لا يهمني من الذي أطلق النار عليك، لكن عليَّ أن أنهي هذا الموضوع. ألا تريد أن يُعاقَب الذي أطلق النار عليك؟ قل له ذلك»، قال للمترجم.

«يقول لك: عليك أن تخبره بمن أطلق النار عليك».

«ماندارلو آل كاراخو»، قال كايتانو الذي كان يشعر بإعياء شديد[١٠٨].

---

(١٠٧) «كابرون»: كلمة إسبانية تعني أصلا «تَيْس» (ذكر الماعز أو الغزال) لكنْ لها معانٍ مجازية قدْحيّة كثيرة منها، ابن زنا، دَيّوث، إلخ. أما في أمريكا اللاتينية الناطقة بالإسبانية فتعني «قوّاد» [المترجم].

(١٠٨) «ماندارلو آل كاراخو»: كلمات شتيمة بالإسبانية تعني «لِيَذْهَبْ إلى الجحيم»، لكن المترجم لا يترجمها [المترجم].

«يقول إنه لم ير الشـخص إطلاقا»، قال المترجم. «أجزم لك بأن النار أُطلقت عليه من الخلف».

«اسـأله من الذي أطلق النار على الروسي».

«مسـكين ذلك الروسـي»، قال كايتانـو. «كان منبطحا على الأرض ورأسـه بين يديه. راح يصـرخ عندما أطلقوا النار عليه، ولا يزال يصرخ حتى الآن. مسكين ذلك الروسي».

«يقول إنه شـخص لا يعرفه. ربما يكون الشـخص ذاته الذي أطلق النار عليه».

«استمع إليَّ»، قال رقيب المباحث. «هذه ليست شيكاغو. أنت لسـت فردا في عصابة. ليس لزاما عليك أن تتصرف كأنك في فيلم سـينمائي. لا بأس في أن تخبرنـا عمن أطلق النار عليك. لا أحد يتسـتَّر على من يطلقون النـار عليهم. لا بأس في ذلك. افترض أنه سـيطلق النار على غيرك إن لم تخبرنا عنه. افترض أنه سـيطلق النار على امرأة أو طفل. هل تطاوعك نفسـك على أن يفلت منا؟ أنت قل له ذلك»، قال للسـيد فريزر. «فأنا لا أثق بذلك المترجم اللعين».

«بل أنـا موثوقٌ جدا»، قال المترجم. نظر كايتانو إلى السـيد فريزر الذي قال له:

«اسـتمع إلي يا صديقي. يقول لك الشـرطي إننا لسـنا في شـيكاغو بل في هيلي، مونتانا. أنت لسـت رجل عصابات وهذا الأمر لا علاقة له بالسينما».

«أنا أصدِّقه»، قال كايتانو بصوت خفيض. «بالتأكيد».

«لا عيـب في أن يُخبر المرء عمَّن يهاجمـه. الكل هنا يفعلون

هــذا، يقول لك. ويقول لك، مــاذا لو قام هذا الرجل الذي أطلق النار عليك بإطلاق النار على امرأة أو طفل؟».

«لستُ متزوجا»، قال كايتانو.

«يقول لك أي امرأة أو أي طفل».

«ليس الرجل مجنونا»، قال كايتانو.

«يطلب منك أن تخبره عن الرجل»، قال الســيد فريزر، مُنْهِيا حديثه.

«أشكرك»، قال كايتانو. «إنك من أعظم المترجمين. أنا أتحدث الإنجليزية، لكن على نحوٍ ســيئ. ليست لدي مشكلة في فهمها. كيف كسرت ساقك؟».

«سقطت عن الحصان».

«يا لحظك العاثر! أنا آسف جدا. هل تؤلمك كثيرا؟».

«ليس الآن. أما في البداية، فَنَعم».

«اســتمع إلي، يا صديقي»، قال كايتانو. «أشعر بوهن شديد. وأرجــوك أن تعذرنــي. كما أنني أتألم كثيرا. لــدي من الألم ما يكفي. وربما سأموت. لذلك أرجوك أن تُخرج هذا الشرطي من هنا لأنني شديد التعب». ثم همَّ بالانقلاب على أحد جانبيه، لكنه أحجم عن ذلك.

«لقــد قلت له كل شــيء كما أخبرتني تمامــا، فطلب مني أن أخبــرك، بصدق، أنه لا يعرف من أطلق النــار عليه، وأنه واهنٌ جدا، ويتمنى أن تحقق معه لاحقا»، قال السيد فريزر.

«من المحتمل أنه سيموت لاحقا».

«هذا واردٌ تماما».

«ولهذا أريد أن أستنطِقه الآن».

«قلت لك إن أحدهم أطلق النار عليه من الخلف»، قال المترجم.

«أوه، دَعْكَ من هذا»، قال رقيب المباحث، ثم وضع المحضَر في جيبه.

كان رقيب المباحث يقف في الممر مع المترجم بجانب كرسي السيد فريزر المتحرك.

«وهل تظن أنت أيضا أن أحدهم أطلق النار عليه من الخلف؟».

«نعم»، قال فريزر. «لقد أطلق أحدهم النار عليه من الخلف. وماذا يهُمُّك أنت؟».

«لا داعي للنزق»، قال رقيب المباحث. «أتمنى لو أستطيع التحدث بتلك اللغة الحقيرة».

«ولماذا لا تتعلمها؟».

«لا داعي للنزق. فأنا لا أجد متعة في استنطاق هذا المكسيكي الحقير. لو كنت أستطيع الحديث بتلك اللغة الحقيرة، لاختلف الأمر».

«لستَ بحاجة إلى الحديث بالإسبانية»، قال المترجم. «فأنا مترجم موثوق جدا».

«أوه، دعك من هذا»، قال رقيب المباحث. «الوداع، إذن. سآتي مرة أخرى وأراكم».

«شكرا. أنا موجودٌ دائما».

«أظن أنك بخير. لم يكن ذلك سوى حظك العاثر. حظك

العاثر ما من شك».

«إنها في تحسن الآن منذ أن جَبر العظم».

«نعم، لكن مضى وقت طويل. وقت طويل، طويل».

«لا تدع أحدا يطلق النار عليك من الخلف».

«أنت على حق، أنت على حق. على أي حال، أنا سعيدٌ أنك لست نزقا».

«الوداع»، قال السيد فريزر.

لم يتسنَّ للسيد فريزر رؤية كايتانو إلا بعد مرور وقت طويل، لكن الأخت سيسيليا كانت تحمل إليه أنباء عنه كل يوم. تقول إنه لم يعد يتذمر إطلاقا، لكنه الآن أصبح في وضع مُتَردٍّ. لقد التهب لديه الصِّفاق، ويُعتَقد أنه لن يعيش. تقول إنه مسكين. له يدان جميلتان ووجه وسيم ولا يشكو قَطّ. لكن رائحته الآن أصبحت لا تُطاق. تقول إنه كان يشير بإصبعه إلى أنفه ثم يبتسم ويهز رأسه. تقول الأخت سيسيليا إنه كان يشعر بالحرج بسبب الرائحة. أوه، يا له من مريض رائع. كان بشوشا دائما. لن يذهب إلى الكاهن للاعتراف، لكنه وعد بأن يصلّي، ولم يأتِهِ مكسيكيٌّ واحد منذ أن أُدخِل إلى المستشفى. أما الروسي فسيخرج في نهاية الأسبوع. تقول الأخت سيسيليا إنها لا تشعر بشيء على الإطلاق تجاه هذا الروسي. إنه مسكين، فهو يتألّم كذلك. كانت إصابته برصاصة قذرة، مما جعل الجرح يلتهب، فراح يصرخ، وأنا دائما مولعٌ بالأشرار. وكايتانو هذا واحدٌ منهم. أوه، لا بد أنه شرير بلا شك، شرير من رأسه حتى قدميه، ووسيم جدا ورقيق ولم يقم بعمل يدوي قط. إنه لا يعمل في الشوندر. أنا أعرف

أنه لا يعمل في الشوندر. فيداه ناعمتان لا أثرَ لتصلُّبٍ فيهما. أنا أعرف أنه شرير من نوعٍ ما. سأذهب الآن لأصلّي من أجله. مسكينٌ كايتانو، يمر بأوقاتٍ عصيبة ولا يفتح فمه بهمسة. لماذا أطلقوا النار عليه؟ أوه، مسكين كايتانو. سأذهب فورا وأصلي من أجله».

ذهبتُ فورا وصلّت من أجله.

في ذلك المستشفى لم يكن المذياع يعمل بصورة جيدة جدا إلا بعد الغَسَق. يقولون إن السبب عائدٌ لوجود الكثير من خامات المعادن في الأرض أو لأمر يتعلق بالجبال، لكنه على أي حال لم يكن يعمل بصورة جيدة جدا إلا بعد حلول الظلام. أما في الليل فكان يعمل بصورة رائعة، فإذا توقفتْ محطةٌ عن الإرسال، يمكنك أن تمضي غربا بحثا عن أخرى. آخر محطة يمكنك أن تلتقطها هي محطة سِياتِل، في ولاية واشنطن، التي تتوقف في الساعة الرابعة صباحا، وبسبب الفرق في التوقيت تكون الساعة في المستشفى هي الخامسة صباحا. وفي السادسة يمكنك أن تلتقط جوقة المرح الصاخب الصباحية في مِنْيابوليس، وهذا أيضا بفضل الفرق في التوقيت. كان يحلو للسيد فريزر أن يتخيل جوقة المرح الصاخب الصباحية لدى وصولهم إلى الاستوديو، ويتخيل منظرهم وهم ينزلون من عربة الترام قبل الفجر، حاملين أدواتهم. قد يكون هذا خطأ لأنهم ربما يتركون أدواتهم في مكان لَهْوِهم، لكنه كان دائما يتصورهم مع أدواتهم. لم يَزُر منيابوليس قط، ويرجِّح أنه لن يفعل ذلك في المستقبل، لكنه كان يعرف كيف تبدو في تلك الساعة المبكرة من الصباح.

يمكنك أن تطل من نافذة المستشفى على حقل، فترى نباتاتٍ شوكية بارزة من تحت الثلج، ثم هضبة طينية جرداء شديدة الانحدار. أراد الطبيب ذات صباح أن يُري السيد فريزر طائرَيْ تدرُّج يتبختران في الثلج، فسحب السرير باتجاه النافذة، فوقع مصباح القراءة عن هيكل السرير الحديدي، فأصاب السيد فريزر في رأسه. لا يبدو الأمر مضحكا الآن، لكنه كان كذلك حينها. كان الجميع يطلون من النافذة، وكان الطبيب (الذي لا غبارَ على كفاءته) يشير إلى الطائرين وبينما هو يسحب السرير باتجاه النافذة، ضربت قاعدة المصباح الرصاصية السيد فريزر على أعلى رأسه فصرعته، تماما كما يحدث في المقطوعات الكوميدية. بدا الأمر منافيا للاستشفاء أو لأي شيء يقصده الناس في المستشفيات، فاعتقد الجميع أنها نكتة مضحكة جدا على السيد فريزر والطبيب. كل شيء في المستشفى يبدو أكثر بساطة، حتى النكات.

إذا أدرتَ السرير يمكنك أن تطل من النافذة الأخرى على المدينة، فترى فوقها قليلا من دخان، وجبال دوسون التي يجعلها ثلج الشتاء تبدو كجبالٍ حقيقية. ليس لديك سوى هذين المنظرين، إذ تَبَيَّن أن الكرسيّ المتحرك سابق لأوانه. إن أفضل شيء في الواقع هو أن تبقى في السرير إذا كنت في مستشفى، لأنه إذا كان لديك منظران ومتسعٌ من الوقت لمشاهدتهما من غرفةٍ تتحكم أنت في حرارتها، فهما أفضل بكثير من أي عددٍ من المناظر التي تشاهدها لبضع دقائق من غرف حارة فارغةٍ إما تنتظر مَقْدَم شخصٍ غيرك أو تُرِكَت لتوها، بينما

أنت تطوف عليها بكرسيك المتحرك. وإذا أطلتَ المكوث في غرفةٍ، فإن المنظر، أيا كان، يكتسب قيمة كبيرة ويصبح مهما جدا حتى إنك لا تريد تغييره، ولو من زاوية مختلفة. هناك أشياء معينة، كالمذياع تماما، تستأثر بمحبتك وتلقى لديك ترحيبا، فتُنَفِّرك من الأشياء الجديدة. أفضل الأغاني التي كانوا يذيعونها في ذلك الشتاء هي: «غَنِّ شيئا بسيطا»، «فتاةٌ رتيبة»، «أكاذيب بيضاء صغيرة». كان السيد فريزر يشعر بأنه لا توجد أغنية أخرى تضاهي هذه الأغاني. كانت أغنية «بِتي في سكنٍ مختلط» أغنية جيدة أيضا، لكن خيال السيد فريزر كان يقوم، رغما عنه، بتحوير كلمات الأغنية تحويرا ساخرا ثم يصير التحوير بذيئا على نحو متزايد ومُطرد، وعندما لا يجد، في نهاية المطاف، مَنْ يقدِّر هذه البذاءة حق قدرها يدع الأغنية تعود إلى كرة القدم(١٠٩).

نحو التاسعة صباحا يبدأ تشغيل آلة الأشعة السينية، مما يجعل المذياع، الذي لا يعود الآن يلتقط سوى محطة هيلي، عديم النفع. كان كثيرٌ ممن يمتلكون أجهزة مذياع يحتجون على تشغيل المستشفى لآلة الأشعة السينية لأنها تعطل الاستقبال الإذاعي الصباحي، لكنهم لم يتخذوا أي إجراء ضد المستشفى، رغم أن الكثيرين كانوا يعتقدون أنه من المعيب ألاّ تُشَغَّل آلةُ الأشعة في المستشفى عندما لا يكون الناس يستمعون إلى المذياع.

---

(١٠٩) في الحقيقة لا علاقة لهذه الأغنية الراقصة بكرة القدم، بل تحكي عن فتاة جامعية مِغناج يحبها كل الطلاب في كبرى الجامعات الأمريكية، وقد لاقت هذه الأغنية رواجا كبيرا عندما طُرحت في الأسواق الأمريكية في منتصف سنة ١٩٣٠، وهي من تأليف وألحان ج بول فوغارتي ورودي ڤاليه، وأداء رودي ڤاليه [المترجم].

ما كاد يحين الوقت لإطفاء المذياع حتى دخلت الأخت سيسيليا، فسألها السيد فريزر:

«كيف حال كايتانو، يا أخت سيسيليا؟».

«أوه، إنه في حالٍ سيئة».

«هل خرج عن طوره؟».

«لا، لكنني أخشى أن يموت».

«كيف حالكِ أنتِ؟».

«أنا قلقة عليه، وهل تعلم أنه لم يأتِ أحدٌ على الإطلاق لرؤيته؟ قد يموت ميتة الكلب ولن يحرك ذلك في المكسيكيين ساكنا. إنهم حقا مرعِبون».

«هل تودين المجيء للاستماع إلى المباراة عصر هذا اليوم؟».

«أوه، لا»، قالت. «هذا سيثير انفعالاتي أيما إثارة. لذلك سأقضي وقتي في الصلاة».

«أرجو أن نتمكن من سماعها بشكل جيد»، قال السيد فريزر. «تجري المباراة في المنطقة الساحلية [الغربية]، والفرق في التوقيت سيجعل نقلها متأخرا بما يكفي لالتقاطها بصورة جيدة».

«أوه، لا أستطيع. لقد كادت مباريات بطولة البيسبول تقضي عليَّ(١١٠). فعندما كان الرياضيون يستعدون لأخذ أدوارهم في ضرب الكرة، كنت أدعو الله بصوت عالٍ، اللهم، لا تُزِغ أبصارهم! اللهم، سدِّد كُراتِهم! اللهم، اجعل كُراتِهم آمنة! وعندما اتخذوا

---

(١١٠) بطولة البيسبول (أو كرة القاعدة، كما تُسمَّى بالعربية) هي سلسلة مباريات تقام في الولايات المتحدة سنويا في الخريف بين الفرق الفائزة من اتحادَيْ البيسبول الرئيسيين، وذلك لتحديد بطل الدوري السنوي [المترجم].

مواقعهـــم قبل المباراة الثالثـــة، إذا كنت تذكر، لـــم أعد أحتمل، [فَرُحت أدعو]: اللهم أزِغ كُراتهم عن أهدافها! اللهم اجعل كُراتِهم تمضي من فوق الســياج! أمّا عندما اصطــف فريق الكاردينالز لأخــذ أدوارهم في ضرب الكرة، كما تعلــم، فقد كان الأمر بكل بســاطة مُريعا. [رُحت أدعو]: اللهم، أعْمِ أبصارهم عنها! اللهم، أعْمِ أبصارهم عنها! اللهم، خَيِّب ضرباتهم. أما هذه المباراة فهي أســوأ. إنهم فريق نوتردام. فريق سيدتنا. لا، سأقضي وقتي في الصلاة. من أجل ســيدتنا. إنهم يلعبون من أجل ســيدتنا. ليتك تكتب في يوم من الأيام شــيئا من أجل سيدتنا. أنت أهلٌ لذلك. وأنت، يا سيد فريزر، تعلم أنك أهلٌ لذلك».

«لا أعرف عنها شــيئا أكتبُهُ. لقد كُتِب كلُّ شيء تقريبا»، قال الســيد فريزر. «لن تعجبك طريقتي في الكتابة. ولن تكترث هي لما أكتب».

«ستكتب عنها في يوم من الأيام»، قالت الأخت. «أنا أعلم أنك ستفعل. عليك أن تكتب عن سيدتنا».

«يجدر بكِ أن توافيني للاستماع إلى المباراة».

«ســيكون الأمر أكبر من طاقتي. لا، سأكون في المُصلّى لفعل ما أستطيع».

ما إن انقضت خمس دقائق على بدء المباراة عصر ذلك اليوم حتى دخل غرفةَ الســيد فريزر راهبٌ مُتــدرب ليقول له، «تريد الأخت سيسيليا أن تعرف كيف تسير المباراة».

«قل لها لقد سجلوا هدفا».

وبعد هنيهة جاء الراهب المتدرب ثانية.

«قل لها إنهم يكتسحون منافسيهم اكتساحا»، قال له السيد فريزر.

وبعد قليل قرع السيد فريزر الجرس طالبا ممرضة الطابق المناوبة وقال لها، «هلا ذهبتِ إلى المُصلّى أو أرسلتِ من يخبر الأخت سيسيليا أن فريق نوتردام سجل أربعة عشر هدفا مقابل لا شيء في نهاية الربع الأول وأن الأمور تسير على ما يرام. بإمكانها أن تتوقف عن الدعاء».

وخلال بضع دقائق جاءت الأخت سيسيليا إلى غرفته. كانت الإثارة الشديدة بادية عليها.

«ماذا يعني أربعة عشر هدفا مقابل لا شيء؟ لا أعرف شيئا البتّة عن هذه المباراة. في البيسبول هذا تقدمٌ رائع لا خوفَ بعده. لكنني لا أعرف شيئا البتّة عن كرة القدم. قد لا يعني شيئا. سأعود إلى المُصلّى وسأظل أدعو إلى أن تنتهي المباراة».

«لقد هزموهم»، قال السيد فريزر. «هذا وعدٌ مني. ابقي معي واستمعي».

«لا. لا. لا. لا. لا. لا. لا»، قالت الأخت. «سأذهب إلى المُصلّى لأدعو».

كان السيد فريزر يرسل الأخبار إلى الأخت سيسيليا كلما سجل نوتردام هدفا، وأخيرا وبعد حلول الظلام بوقت طويل أرسل إليها النتيجة النهائية.

«كيف حال الأخت سيسيليا؟».

«إنهم جميعا في المُصلّى»، قالت.

في صباح اليوم التالي جاءته الأخت سيسيليا. كان السرور والاعتداد البالغين باديين عليها، فقالت:

«كنت أعلم أنهم لن يهزموا سيدتنا. ليس هذا باستطاعتهم. وقد تحسنت حال كايتانو أيضا. لقد تحسن كثيرا. سيأتيه زائرون. لن يستطيعوا رؤيته الآن، لكنهم سيأتون، مما سيترك في نفسه أحسن الأثر إذ يعلم أن أبناء وطنه لم ينسوه. لقد ذهبت إلى مقر قيادة الشرطة وقابلت هذا الولد المدعو أوبراين وقلت له إن عليه أن يرسل بعض المكسيكيين لرؤية هذا المسكين كايتانو، وسيرسلهم عصر هذا اليوم، وعندئذ ستتحسن حال المسكين كثيرا. ما أقسى ألاّ يزوره أحدٌ!».

في عصر ذلك اليوم حضر ثلاثة مكسيكيين إلى غرفة السيد فريزر.

«هل تسمح؟» سأله أضخمهم، وكان ذا شفتين غليظتين وكان رجلا بدينا جدا.

«ولم لا؟» قال السيد فريزر. «اجلسوا، أيها السادة. تفضلوا، اشربوا».

«لك جزيل الشكر»، قال أضخمهم.

«شكرا»، قال أصغرهم وأكثرهم سُمرة.

«لا، شكرا»، قال أنحفهم. «إنه يصعد إلى رأسي». ثم قرع رأسه.

أحضرت الممرضة بعض الأقداح. «أَعطيهم الزجاجة من فضلك»، قال السيد فريزر. «إنها من رِد لودج»، أضاف شارحا.

«إذا كانت من رد لودج فهي الأفضل»، قال أضخمهم. «أفضل

بكثير مما يُباع في بِغ تِمّبَر»[١١١].

«هذا واضح»، قال أصغرهم. «وثمنه أغلى أيضا».

«في رد لودج، تأتي المشروبات بأسعار مختلفة»، قال أضخمهم.

«كم أنبوبا للمذياع؟» سأل الذي لم يشرب.

«سبعة».

«جميل جدا. كم ثمنه؟».

«لا أعرف، لقد استأجرته»، قال السيد فريزر. «هل أنتم أيها السادة أصدقاء كايتانو؟».

«لا، بل أصدقاء الذي جَرَحَهُ».

«لقد أرسلتنا الشرطة إلى هنا»، قال أصغرهم.

«لدينا محلٌّ صغير»، قال أضخمهم. «أنا وهو»، قال وهو يشير إلى الذي لم يشرب. «وهو أيضا لديه محلٌّ صغير»، وأشار إلى أصغرهم الأسمر. «أخبرتنا الشرطة أنه يجب علينا أن نأتي، فأتينا».

«أنا سعيد لأنكم أتيتم».

«بالمثل»، قال أضخمهم.

«هلاّ شربت قدحا صغيرا آخر؟».

«ولِمَ لا؟» قال أضخمهم.

«بعد إذنك»، قال أصغرهم.

«اعذروني»، قال أنحفهم. «إنه يصعد إلى رأسي».

«إنه جيد جدا»، قال أصغرهم.

---

(١١١) «رد لودج» (المسكن الأحمر) و«بغ تمبر» (الكوخ الكبير) هما اسمان لبلدتين صغيرتين في ولاية مونتانا [المترجم].

«ولِـمَ لا تجرب قليلا منه؟» قال السـيد فريزر. «دعه يصعد إلى رأسك».

«وبعد ذلك يأتي الصداع»، قال أنحفهم.

«هلاّ أرسلتم أصدقاء كايتانو ليروه؟» سألهم السيد فريزر.

«ليس لديه أصدقاء».

«لكل إنسانٍ أصدقاء».

«إلا هذا».

«ما هو عمله؟».

«لاعب ورق».

«هل هو بارع؟».

«أعتقد ذلك».

«لقد ربح منـي مائة وثمانين دولارا»، قال أنحفهم. «والآن لم يَعُد في العالم مائة وثمانون دولارا».

«أما مني فقد ربح مائتين وأحد عشـر دولارا. تفضل وتصوَّر هذا الرقم!».

«أما أنا فلم ألاعبه قط»، قال أسمنهم.

«لا بد أنه غني جدا»، قال السيد فريزر.

«بل هو أفقر منا»، قال المكسيكي الصغير. «إنه لا يملك سوى القميص الذي على ظهره».

«وبعـد أن امتلأ هذا القميـص ثقوبا، لم تعد له قيمة تُذكر»، قال السيد فريزر.

«هذا أكيد».

«وهل الذي جرحه لاعب ورق؟».

«لا، بل عامل شوندر. اضطر لمغادرة البلدة».

«تصور!» قال أصغرهم. «كان أفضل عازف غيتار في تاريخ هذه البلدة. وأروعهم».

«هذا معيب».

«صحيح»، قال أضخمهم. «تخيل كيف كان يداعب الغيتار بأنامله».

«ألَم يتبقَّ عازفو غيتار جيدون؟».

«ولا حتى أثرٌ لواحدٍ منهم».

«هناك عازف أكورديون لا بأس به»، قال أنحفهم.

«قلةٌ هم الذين يعزفون على آلات مختلفة»، قال أضخمهم.

«هل تحب الموسيقى؟».

«وكيف لا أحبها؟».

«سنجيء في إحدى الليالي ونعزف لك. لكن هل تعتقد أن الراهبة ستسمح بذلك؟ تبدو ودودة جدا».

«أنا واثق أنها ستسمح بذلك عندما يصبح كايتانو قادرا على سماعها».

«هل هي مخبولةٌ قليلا؟» سأل أنحفهم.

«مَنْ؟».

«تلك الراهبة».

«لا»، قال السيد فريزر. «إنها امرأة رائعة وذاتُ عقلٍ وقلبٍ كبيرين».

«أنا لا أثق بأي من القساوسة، أو الرهبان، أو الراهبات»، قال أنحفهم.

«لقد مرَّ بتجارب سيئة عندما كان صبيًّا»، قال أصغرهم.

«لقد كنت أساعد القسيس في إقامة القُدّاس»، قال أنحفهم باعتداد. «أما الآن فلم أعُد أؤمن بشيء. ولم أعد أذهب للقداس».

«لماذا؟ هل يصعد إلى رأسك؟».

«لا»، قال أنحفهم. «المشروبات هي التي تصعد إلى رأسي. أما الدين فهو من الممنوعات التي يتداولها الفقراء»[١١٢].

«كنت أظن أن الماريجوانا هي من الممنوعات التي يتناولها الفقراء»، قال فريزر.

«هل سبق لك أن تعاطيت الممنوعات؟» سأله أضخمهم.

«لا».

«ولا أنا. يبدو أنه سيئ جدا. بمجرد أن يبدأ المرء تعاطيه يُدمِنه. إنه أمر قبيح».

«كالدين»، قال أنحفهم.

«هذا الرجل»، قال المكسيكي الصغير، «يعادي الدين بشدة».

«لا بد للمرء من شيء يعاديه بشدة»، قال السيد فريزر بأدب.

«أنا أحترم الذين لديهم إيمان رغم جهلهم»، قال أنحفهم.

«جيد»، قال السيد فريزر.

«ماذا يمكننا أن نجلب لك؟» سأله المكسيكي الضخم. «هل ينقصك شيء؟».

«يَسُرُّني أن أشتري بعض الشراب إن كانت من النوع الجيد».

---

(١١٢) هذا تحوير لمقولة كارل ماركس الشهيرة [المترجم].

«سنجلب معنا الشراب».

«قدحٌ آخر قبل أن تذهبوا؟».

«إنه مشروب جيدٌ جدا».

«لقد نَهَبْناكَ».

«لا أستطيع تناوله. يصعد إلى رأسي. وبعد ذلك أُصاب بالصداع والغثيان».

«وداعا، أيها السادة».

«وداعا وشكرا».

خرجوا وجيء بطعام العشاء وجاء وقت المذياع الذي أُديرَ مفتاحُ الصوت فيه إلى أخفض ما يمكن، وأخيرا راحت الإذاعات تُغلق وفق الترتيب التالي: دِنْفَر، سولت ليك سِتي، لوس أنجلوس، وسِياتِل. لم يتمكن السيد فريزر من تشكيل أي تصور لدِنْفَر من خلال الإذاعة. كان بإمكانه أن يرى دِنْفَر من خلال جريدة «دِنْفَر پوست» ويصحح صورتها من خلال جريدة «روكي ماونتِن نيوز». ولم يتمكن أيضا من استكناه أي صفة خاصة لأيّ من سولت ليك ستي أو لوس أنجلوس مما سمعه عن هاتين المدينتين. كل ما كوَّنه عن سولت ليك سيتي هو أنها نظيفة ومملة وتوجد في كثير من فنادقها الكبيرة قاعات كثيرة للرقص حجبت عنه صورة لوس أنجلوس. لم تستهْوِه قاعاتُ الرقص. لكنه اكتسب معرفة جيدة بلوس أنجلوس، ولا سيما شركة سيارات الأجرة بسياراتها البيضاء الكبيرة (حيث كل سيارة مزودة بجهاز راديو) التي كان يستقلها كل ليلة إلى ذلك

النُّزل الريفي من جهة الحدود الكندية ويتابع مسيرة الحفلات مـن خلال ما يطلبه المسـتمعون من مختارات موسـيقية عبر الهاتف. كان يعيش في سـياتل كل ليلة من بعد الثانية ويستمع إلى كل ما يطلبه المسـتمعون، وكان يعيش في الأجواء نفسـها الواقعية التي كان يعيشـها في مِنّيابولِـس عندما تغادر فرقة المرح الصاخب أسِـرَّتَها كل صباح وتتجه إلى الاستوديو. صار السيد فريزر مغرما بسياتل، ولاية واشنطن.

جاء المكسـيكيون وأحضروا معهم الشراب لكنه لم يكن شرابا جيـدا. رآهم السـيد فريزر لكنـه لم يكن راغبـا في الحديث، وعندمـا غادروا كان يعلـم أنهم لن يعودوا. كانـت أعصابه قد أصبحت حساسـة جدا، فكان ينفر من رؤية الناس وهو في هذه الحال. وسـاءت حال أعصابه جدا بعد خمسة أسابيع، ومع أنه كان سـعيدا لأنها صمدت كل هذه الفترة ولكنه كان يمتعض من إجراء ذات التجربة التي يعرف نتيجتها سـلفا. لقد مرَّ السـيد فريـزر بكل هذا من قبل. الجديد الوحيد في حياته هو الراديو. كان يشغِّله طوال الليل، وكان يخفض صوته حتى لا يكاد يسمعه، وراح يتعود على الاستماع إليه من غير تفكير.

جاءت الأخت سيسيليا إلى غرفته في نحو العاشرة من صباح ذلك اليـوم وهي تحمل البريد. كانت جميلة جدا، وكان السـيد فريزر يود أن يراها ويتحدث إليها، لكن البريد، بِزَعْم أنه آتٍ من عالم آخر، كان أكثـر أهمية. لكن البريد لم يحمل إلَيه ما يَجدر بالاهتمام.

«يبدو أنك تحسنت كثيرا»، قالت الأخت. «ستغادرنا قريبا».

«نعم»، قال السـيد فريـزر. «تبدين في غاية السـعادة هذا الصباح».

«أوه، هـذا صحيح. أشـعر هـذا الصباح بأنني قـد أُصبِح قديسة».

فوجئ السيد فريزر بهذا القول قليلا.

«أجل»، تابعت الأخت سيسـيليا. «هذا مـا أريده. أن أكون قديسـة. منذ أن كنت فتاة صغيرة وأنا أريد أن أكون قديسـة. فـي صغري كنت أظن أنني لو زهدت فـي الدنيا ودخلت بيت الراهبات سـأصير قديسـة. كان هـذا ما أردتـه وما ظننته المطلوب لأصبح قديسة. توقعت أن أصبح قديسة. وكنت واثقة تماما بأنني سأكون كذلك. وللحظةٍ ظننتُ أنني صرت قديسة. غمرتني السعادة، وبدا الأمر سهلا وبسيطا. وعندما استيقظت صباحا، توقعت أنني أصبحت قديسة، لكنني لم أكن كذلك. لم أصبح قديسـة قَط. لو تعلم كم أريد أن أكون قديسـة. كل ما أريده هو أن أكون قديسة. ما أردت في حياتي شيئا سوى هذا. وهذا الصباح أشـعر بأنني قد أصبح قديسـة. أوه، آمل أنني سأكون كذلك».

«سـتكونين كذلك. كل امرئٍ ينـال مُرادَه. هذا مـا يُقال لي دائما».

«لم أعُد أعرف الآن. في صغري بدا الأمر سهلا. كنت أعرف أنني سأكون قديسة. وعندما لم يحدث الأمر فجأة رحت أعتقد أنه يستغرق بعض الوقت. أما الآن فيبدو مستحيلا».

«أعتقد أنه لا تزال أمامك فرصة طيبة».

«هــل تعتقد ذلك حقا؟ لا أريــدك أن تجاملني فقط. لا ترفع معنوياتي فقط. أريد أن أكون قديســة. لو تعلم كم أريد أن أكون قديسة».

«طبعا ستصبحين قديسة»، قال السيد فريزر.

«لا، من الأرجح أنني لن أصير كذلك. آه، لو أصبحت قديسة لاكتملت سعادتي».

«ستكونين قديسة ثلاثمائة بالمائة».

«لا، لا تجاملنــي. آه، لــو أصبحت قديســة! آه، لو أصبحت قديسة فقط!».

«كيف صديقك كايتانو؟».

«ستتحســن حاله لكنه مشــلول. أصابت إحدى الرصاصات العصب الكبير النازل من الفخذ فَشَــلَّت ساقه. لم يكتشفوا ذلك إلا بعد أن تحسن وبدأ يتحرك».

«قد يَتَرمَّم العصب».

«إني أصلّي من أجل أن يَتَرمَّم»، قالت الأخت سيسيليا. «عليك أن تراه».

«لا أشعر برغبة في رؤية أحد».

«أنت تعلم أنك سَــتَوَدُّ رؤيته. يمكنهــم أن يحضروه إليك هنا على سريره النقّال».

«لا بأس».

أحضروه على ســريره النقال، وكان نحيفا، صافيَ البشــرة، أســودَ الشــعر، طويلَه، ضاحكَ العينين، منخورَ الأسنان عندما يبتسم.

«مرحبا، يا صديقي! كيف الحال؟».

«كما ترى»، قال السيد فريزر. «كيف حالك أنت؟».

«على قيد الحياة لكن ساقي مشلولة».

«هذا مؤسف»، قال السيد فريزر. «لكن قد يَتَرمَّم العصب ويعود كما كان».

«هذا ما يقولونه لي».

«وماذا عن الألم؟».

«لا ألمَ الآن. كدت أن أجن من الألم في بطني في فترة من الفترات. وكنت أظن أن الألم وحده كافٍ لقتلي».

كانت الأخت سيسيليا تراقبهما مُغتبطة.

«قالت لي إنك لم تُصدِر صوتا».

«ناسٌ كثيرون في الجناح»، قال المكسيكي مُستهجِنا. «من أي صنفٍ الألمُ الذي لديك؟».

«مِن الصنف الكبير. لكن من الواضح أنه ليس سيئا بقدر ألمك. عندما تخرج الممرضة، أبكي مدة ساعة أو ساعتين. البكاء يريحني. أعصابي مُرهَقة الآن».

«لديك المذياع. لو كان عندي غرفة خاصة ومذياع لقضيت الليل بطوله أبكي وأصرخ».

«أشُكُّ في ذلك».

«صدِّقني يا رجل. إنه مفيد جدا للصحة. لكن لا يمكنك البكاء أمام حشدٍ من الناس».

«لا تزال يداك على الأقل صالحتين»، قال السيد فريزر. «يقولون لي إنك تكسب عيشك بيديك».

«ورأســـي أيضا»، قــال وهــو ينــقــر على جبهــتــه. «لكن الرأس لا يساوي شيئا يُذكر».

«جاء ثلاثة من أبناء بلدك إلى هنا».

«أرسلتهم الشرطة ليروني».

«وجاءوا بالشراب».

«أغلب الظن أنه رديء».

«وهي كذلك».

«وسترســـلهم الشـــرطة هذه الليلة لمؤانســـتي بموســـيقاهم المرعبة»، قال ضاحـــكا، ثم نقر على معدته. «لا أزال عاجزا عن الضحك».

«وهل الذي أطلق النار عليك أيضا موسيقيٌّ مرعب؟».

«إنـــه أحمق آخر. لقد ربحت منه ثمانية وثلاثين دولارا. مبلغٌ لا يستحق أن تَقْتُل من أجله».

«قال لي الثلاثة إنك تجني مالا كثيرا».

«ولا أزال أشدَّ فقرا من العصافير».

«كيف؟».

«أنـــا مثاليٌّ فقير. أنا ضحية الأوهام». ضحك، ثم كشـــر عن أسنانه، ونقر على معدته. «أنا لاعب ورقٍ محترف لكنني أحب أن ألعب. أقصد اللعب الحقيقي. اللعب البســـيط كله مُلْتَوٍ. أما في اللعب الحقيقي فأنت بحاجة إلى الحظ. وأنا ليس لديَّ حظ».

«إطلاقا؟».

«إطلاقـــا. أنا رجل عاثر الحظ تمامـــا. انظر إلى هذا القوّاد الذي أصابني. هل يســـتطيع فعـــلا أن يطلق النار؟ لا. أطلق أول

طلقة فلم تُصِب شيئا. أطلق الثانية فاعترض طريقها روسيٌّ مسكين. قد يبدو هذا حظا. لكن ما الذي يحدث؟ يصيبني بطلقتين في بطني. إنه رجل محظوظ. أما أنا فلا حظَّ لي. إنه لا يستطيع أن يصيب حصانا ولو كان يمسك بِركابِه. المسألة كلها مسألة حظ».

«ظننت أنه أصابك أولا والروسي لاحقا».

«لا، الروسي أولا وأنا لاحقا. ما قالته الجريدة خطأ».

«لماذا لم ترد عليه بالمثل؟».

«أنا لم أحمل مسدسا قطّ. لو كان لدي مسدس، وعلى ما أنا فيه من حظ، لَشُنِقْتُ عشر مرات في السنة. أنا لاعب ورق رخيص، ليس إلا». توقف، ثم تابع. «عندما أفوز بمبلغ من المال فأنا ألعب، وعندما ألعب فأنا أخسر. لقد تخليت عن دوري في رمي حجر النرد من أجل ثلاثة آلاف دولار وخسرت الستة بحجر النرد الجيد. أكثر من مرة».

«ولماذا تستمر؟».

«إن عِشتُ طويلا فسيتغير الحظ. لقد مرت عليَّ خمسة عشر عاما من الحظ التعيس. لو أصابني حظٌّ جيدٌ مرة في العمر لأصبحت غنيا». ثم افترَّ ثغره عن تكشيرة. «أنا لاعب ورق جيد، ولو أصبحت غنيا لاستمتعت بذلك حقا».

«هل حظك سيئ في كل الألعاب؟».

«في كل شيء حتى مع النساء». ابتسم ثانية فظهرت أسنانه المنخورة.

«حقا؟».

«حقا».

«وما العمل؟».

«أن أواصل ببطء وأنتظر حتى يتغير حظي».

«وكيف مع النساء؟».

«لا حظَّ للاعب الورق مع النساء. فهو منهمكٌ تماما في التفكير. وهو يعمل ليلا. في الوقت الذي يجب أن يكون فيه مع المرأة. لا يستطيع رجل يعمل ليلا أن يُمسك بامرأة محترمة».

«أنت فيلسوف».

«لا، يا رجل. بل لاعب ورق في مدنٍ صغيرة. مدينة صغيرة، فأخرى، فأخرى، وبعدها مدينة كبيرة، ثم أُعيد الكَرَّة من جديد».

«وبعدها تُصاب بطلق ناري في البطن».

«أول مرة»، قال. «لقد حدث هذا مرة واحدة فقط».

«هل أُرهقُك بحديثي؟» سأله السيد فريزر.

«لا»، ردَّ عليه. «بل أنا الذي يرهقك».

«والساق؟».

«لا أجد نفعا كبيرا للساق. أنا بخير بها ومن دونها. سأكون قادرا على الحركة».

«أتمنى لك، حقا، حظا سعيدا من كل قلبي»، قال السيد فريزر.

«بالمِثْل»، رد عليه. «وأن يتوقف الألم».

«إنه لن يدوم، هذا مؤكد. إنه ألم عابر. لا أهمية له».

«وأن يمضي بسرعة».

«بالمِثْل».

فـــي تلـــك الليلة جاء المكســـيكيون إلى الجنـــاح وعزفوا على الأكورديـــون وآلاتٍ أخرى، فامتـــلأ الممر طربا وضجَّ بتقاســـيم الأكورديون، ورنـــين الأجراس، وآلات النقـــر، والطبول. كان في الجناح مصارع ثيران خرج من الشـــلالات علـــى متن «مِدْنايت» ذات عصـــر حار مُغبَرٍّ على مرأى من جمهـــورٍ كبير، أما بعد أن انكســـر ظهره الآن فقد أصبح لزاما عليه أن يتعلم صنعة الجلود وتقشـــيش الكراسي حالما تتحســـن حاله ويخرج من المستشفى. وكان هناك نجارٌ كان قد سقط عن سقالة فكسر كاحلاه ورُسغَاه. كان قد وقع كالقطة لكن من غير رشـــاقتها. يستطيع الأطباء أن يعالجـــوه بحيث يتمكـــن من مزاولة عمله ثانيـــة، لكن هذا الأمر يســـتغرق طويلا. وهناك صبي ريفي في نحو السادســـة عشرة من عمره قد كُســـرت ســـاقه، فجبَّروها له بشـــكل خاطئ لذلك سيضطرون إلى إعادة كســـرها. وكان هناك كايتانو رويز، لاعب ورق على مســـتوى بلدة صغيرة، بساق مشلولة. كان السيد فريزر يستمع إليهم جميعا في أقصى الممر وهم يتضاحكون على أنغام الموســـيقى التي يعزفها المكسيكيون الذين أرسلتهم الشرطة. كان المكسيكيون في غاية السعادة. جاءوا لرؤية السيد فريزر، والإثارة بادية عليهم، وســـألوه إن كان يريد منهم أن يعزفوا له شـــيئا، ثم عادوا ليلا مرتين ليعزفوا له من تلقاء أنفسهم.

عندما عزفوا آخر معزوفة لهم كان الســـيد فريزر يســـتلقي وباب غرفته مفتوح، وكان يســـتمع إلى تلك الموســـيقى الصاخبة الرديئة، ولم يســـتطع أن يكفَّ عن التفكير. وعندما ســـألوه عمّا

يرغب في الاستماع إليه، طلب منهم أن يغنوا أغنية «كوكاراتشا»، التي كانت تتمتع بكل تلك الخفة والرشـــاقة المشؤومة التي تمتاز بهما كثيرٌ من الألحان التي دفعت رجالا إلى حتفهم(١١٣). عزفوها بصخــب وانفعال. كان اللحن في رأي الســـيد فريزر أفضل من معظم الأغاني الشبيهة، لكن تأثيرها كان نفسه.

لكن الســـيد فريزر ظل يفكر برغم إدخـــال عنصر الانفعال. كان عادة يتفادى التفكير قدر استطاعته، اللهم إلا إذا كان يكتب، لكنه الآن كان يفكر في العازفين وما قاله أصغرهم.

الديـــن تخدّر به الشـــعوب. لقـــد كان هذا مـــا يؤمن به ذلك الحانوتي الصغير المتشائم. أجل، والموسيقى أيضا كذلك لتخدير الشعوب. هذا لم يخطر ببال صاحبنا الذي يصعد المشروب إلى رأسه. والآن الاقتصاد أيضا كذلك، وحب الوطن يخدر الشعوب فـــي إيطاليا وألمانيـــا(١١٤) وماذا عن الاتصال الجنســـي، هل كان هو أيضـــا كذلك؟ لبعض الناس. بل لبعـــض أفضل الناس. لكن المشروب كان سيدَّ الممنوعات التي تتناولها الشعوب، بلى إنه نوعٌ ممتاز. وهناك من يفضل الإذاعة، وهي نوع آخر للشـــعوب، ونوع رخيص كان يســـتخدمه قبل قليـــل. وإذا كان هناك ممنوع، فإن أقدم الممنوعات تعاطته الشـــعوب هـــو لعب الورق. والطموح نوع ممنوع آخر للشعوب، مثله في ذلك مثل الاعتقاد بأي شكل جديدٍ للحكـــم. إن ما يريده الإنســـان دوما هو أدنى قَـــدْرٍ من الحُكم.

---

(١١٣) «كوكاراتشـــا»: كلمة إســـبانية تعني «الصرصور». لكن المقصود هنا هو اللقب الذي أطلقه الثوار المكسيكيون على عربة زعيمهم الثوري پانتشو ڤيّا (١٨٧٧ - ١٩٢٣) لكثرة ما كانت تتعطل. ثم ألّفوا حول هذه العربة طَقطوقة بعنوان «كوكاراتشا» سرعان ما انتشرت وأصبحت من الأغاني الشعبية التي لا تزال متداولة حتى يومنا هذا [المترجم].

(١١٤) الإشارة هنا إلى الفاشية الإيطالية والنازية الألمانية [المترجم].

والحرية التي كنا نؤمن بها أصبحت الآن اسما لإحدى المنشورات التي يُصْدِرها مَكْفادن(١١٥). لقد آمنا بها برغم أنهم لم يجدوا لها اسما جديدا بعد(١١٦). لكن ما هو اسمها الحقيقي؟ ماذا كان الممنوع الفعلي الحقيقي للشعوب؟ لقد كان يعرفه معرفة جيدة جدا. إنه [الممنوع] يكمن بُعَيْدَ الركن في ذلك الجزء الذي يُضيء من عقله بعد كأسين أو أكثر في المساء؛ كان يعلم أنه موجود هناك (لكنه في الحقيقة لا وجود له طبعا). تُرى، ما هو؟ كان يعرفه جيدا. تُرى، ما هو؟ بالطبع، إنه الخبز. هذا هو الممنوع الذي تتناوله الشعوب. تُرى، هل سيتذكر ذلك، وهل يبدو هذا القول منطقيا في ضوء النهار؟ الخبز هو الممنوع الذي تتناوله الشعوب.

«اسمعي»، قال السيد فريزر للممرضة عندما جاءته. «هلاّ أرسلت إليَّ ذلك المكسيكي النحيف الصغير، من فضلك؟».

«هل أعْجَبَتْك؟» قال المكسيكي من عند الباب.

«كثيرا».

«إنها نشيد تاريخي»، قال المكسيكي. «إنها نشيد الثورة الحقيقية».

«اسمع»، قال السيد فريزر. «لماذا تُجرى للناس عمليات جراحية من دون مُخَدِّر؟».

---

(١١٥) برنار مكفادن: ناشر أمريكي من أصول إسكتلندية وإيرلندية، ويعد من عمالقة النشر في أمريكا في القرن العشرين، حيث كان ينشر، بالإضافة إلى الكتب والمجلات، عددا هائلا من الصحف اليومية. ولم يكن مكفادن المؤسس الحقيقي لمجلة Liberty (الحرية) بل اشتراها من ناشرها الأصلي [المترجم].

(١١٦) المقصود بـ «هم» في هذه الجملة هم زعماء الاستقلال الأمريكي أو ما يُسمَّون بلقب «الآباء المؤسسين» [المترجم].

«لا أفهمك».

«لماذا لا تكون الممنوعات التي تتناولها الشعوب كلها جيدة؟ ما الذي تريد أن تفعله بالشعوب؟».

«يجب إنقاذها من الجهل».

«لا تَتَفَوَّه بهذا الهراء. التعليم هو واحدٌ من الممنوعات التي تتناولها الشعوب. عليك أن تعرف ذلك. لقد نِلْتَ شيئا منه».

«ألا تؤمن بالتعليم؟».

«لا»، قال السيد فريزر. «لكنني أؤمن بالمعرفة».

«أنا لا أفهمك».

«في كثير من الأحيان أنا لا أفهم نفسي، وبكل سرور».

«هل تريد أن نُسْمِعكَ كوكاراتشا مرة أخرى؟» سأله المكسيكي حائرا، قلقا.

«أجل»، قال السيد فريزر. «اعزفوا لي نشيد كوكاراتشا مرة أخرى. إنها أفضل من الراديو».

قال السيد فريزر في نفسه: الثورة ليست شيئا ممنوعا. الثورة تطهير، الثورة نشوة لا تدوم من غير استبداد. الممنوعات وُجِدت من أجل ما هو قبل وما هو بعد. إنه يفكر الآن على نحوٍ صحيح، وصحيح جدا.

سيذهبون بعد قليل، قال في نفسه، وسيأخذون «كوكاراتشا» معهم. عندئذ سيتناول قليلا من ذلك المُسَكِّن الهائل ويشغِّل المذياع على نحو لا يكاد يسمعه.

آباءٌ وأبناء
[١٩٣٣]

كانت هناك إشـــارةُ تحويلةٍ في منتصف الشارع الرئيسي لهذه البلدة، بيد أن الســيارات تابعت مســيرها غيــر آبهة بها، وهكذا ظــن نِكولاس آدمــز أن إصلاحا ما قد تم وانتهى، فقاد ســيارته عبر البلدة ســالكا الشــارع الخالي، المرصوف بالقرميد، ولم يكن يتوقف إلا عند إشــارات المرور التي كانت تضيء وتنطفئ في هذا اليوم الأحد الذي لا سَيْرَ فيه، لكنها ستُزاح في العام القادم لعدم توافر المال لدفع الأقســاط، وســار تحت ظلال الأشجار الهائلة للبلــدة الصغيرة التي يهفــو إليها قلبُك إن كانــت بلدتَك وتَفَيَّأت ظلَّ أشــجارها، بيــد أنها للغريب هائلة فقط، وتحجب الشــمس عن البيوت، فَيَخالُها مُتَعفِّنة من الرطوبة، وعند آخر بيت غادرها ســالكا الطريق الســريع الذي كان يعلو ويهبط فــي الأفق البعيد أمامــه، وعلى كل جانب منه ضفةٌ أنيقةٌ من تراب أحمر، تُرَصِّعها شــجيراتٌ كانت تنمو من جديد بعد قطعها. لم يكن هذا موطنه، لكن بما أن الوقت كان في منتصف الخريف فإن هذا المرج كله كان جديرا بالمرور به ومشــاهدته. قُطِف القطن وزُرعت في الأراضي التي قُطِعت أشجارُها رُقَعٌ من الذرة، وكان بعضها مُخَضَّبا بخطوط من السَّــرغوم الأحمر(١١٧)، وكان لا يجد مشقة في قيادة السيارة وابنه نائمٌ على المقعد بجانبه، وبما أنه قد أنجز عمل يومه، ويعرف في أي بلدة ســيبيت، راح نك يراقب في أي حقل من حقول الذرة

---

(١١٧) السَّرغوم: نوعٌ من أنواع الذرة، يُستخرج منه عصيٌر سكَّري شديدُ الحلاوة [المترجم].

يُــزرَع فول الصويا وفي أيٍّ تُزرع البــازلاء، وكيف تتجاور الأدغال مع الأراضي المقطوعة أشــجارُها، وأيــن تَتَوضَّع الأكواخ والبيوت بالنســبة إلى الحقول والأدغال، وكان يجوب هذه المروج في خياله بحثا عن صيد، وكان يُقَدِّر ما توفره كل فُسحةٍ مقطوعةِ الأشجار من مرعــى ومَكْمنٍ للطيور، ثم يقوم بحســابٍ أين يمكنه أن يجد أسرابا صغيرة منها وإلى أي وجهة ستطير.

لصيد السُّــمّانى عليك ألا تحول بينها وبين مَكمَنها المألوف، لأنــه لا تكاد الكلابُ تكتشــف مخبأها، أو تطيــر مُجفِلة، حتى تتوارد عليــك كَوابلِ المطر، بعضها يحلِّق عاليــا، وبعضها يحُفُّ أذنيك، تطير في الجو أســرابا وبحجم لم تشهده عينك من قبل، لذلــك فإن الطريقــة الوحيدة لصيدها هــي أن تلتفت وتتلقَّفها وهي تطير من فوق كتفك قبل أن تقرر أن تَنْقَضَّ باتجاه الأجَمة. وبما أن نِكولاس آدمز جاء هذه المروج لصيد السُّــمّانى كما علَّمه والده، فقد راح يفكر في والده. كانت عينا والده دائما هي أول ما يتذكره. أما قوامه الهائل، وحركاته الرشيقة، ومنكباه العريضان، وأنفه المعقوف كأنــف الصقر، واللحية التي تغطي ذقنه الواهن، فلم تخطــر له ببال قَطّ. كانت العينان: دائما وأبدا. كان شــكل جبينه المميز يوفر لهما حماية من نوع خاص، إذ كانت تغوران في رأســه بشــكلٍ يوحي بأنه ابتُكر لحماية وسيلة ثمينة جدا. كانت عيناه أبعد نظرا وأســرع من العين البشــرية. لقــد كانتا أعظم هبــة لدى والــده الذي يرى، بلا مبالغة، كما يرى نســرٌ أو كبشٌ جبلي(١١٨).

---

(١١٨) بعــض الصفــات المذكورة في هذه الفقرة والفقرات اللاحقــة تنطبق على والد همنغواي نفسه [المترجم].

حتى عندما كانت عيناه هو بخير، كان يقف مع أبيه على شاطئ البحيرة، فيقل له: «لقد رفعوا العَلَم». وكان نك لا يستطيع رؤية العلم أو ساريته. كان والده يقول له: «انظر هناك، إنها أختك دوروثي. لقد رفعت العلم وها هي الآن تتخطى على رصيف السفن».

كان نك يرنو ببصره عبر البحيرة فلا يرى على طرفها الآخر سوى شاطئها المشجَّر الطويل، والأحراجِ العالية وراء ذلك، والنقطةِ التي تحرس الخليج، وتلالِ مزرعتهم الواضحة وكوخِهم الأبيض بين الأشجار، وبياضِ الشاطئ وانحنائه، لكنه لم يتمكن من رؤية سارية العلم ولا أي رصيفٍ للسفن.

«هل ترى الأغنام على سفح الهضبة باتجاه نقطة الحراسة؟».

«نعم».

كانت هذه مجرد بقعة ضاربة إلى البياض فوق هضبةٍ شاحبة الاخضرار.

«أستطيع أن أعدها لك».

كان والده عصبيا جدا، ككل الرجال الذين يتمتعون بمَلَكةٍ تفوق حاجاتهم البشرية. ولكنه أيضا كان عاطفيا، وكان، كمعظم العاطفيين، قاسيا ومظلوما في آنٍ معا. وكان أيضا عاثرَ الحظ كثيرا، ولم يكن ذلك دائما من صنع يده. لقد مات في فخ لم يكن له في نصبه سوى سهم قليل، لكنهم جميعا غدروا به بمختلف الوسائل قبل موته. كل العاطفيين عُرضةٌ للغدر مَرّاتٍ ومرات. لم يحنِ الوقتُ بعد ليتمكن نك من الكتابة عن والده، برغم أنه ينوي

ذلك مستقبلا، لكن السمانى والمروج هي التي ذكّرته به كما كان عندما كان نك صبيا، فشعر بامتنان عظيم له من أجل شيئين: صيد الأسماك والرماية. كانت معرفة والده بهذين الأمرين لا يَعْدِلُها سوى جهله بأمور الجنس، على سبيل المثال، لكن نك كان سعيدا لأن الأمور سارت على هذا النحو، لأنه لا بد لأحدهم أن يعطيك بندقيتك الأولى أو يمنحك فرصة للحصول عليها واستخدامها، وعليك أن تعيش حيث تكثر الأسماك أو الطرائد إن كنت تنوي أن تكون صيادا، أمّا وقد أصبح الآن في الثامنة والثلاثين من العمر فقد كان شَغوفا بالصيد تماما كما كان أول مرة عندما ذهب مع والده. كان الصيد عنده شَغفا لم يَرْتَو قط، وكان شديد الامتنان لوالده لأنه علّمه إياه.

أما في الموضوع الآخر الذي كان والده جاهلا فيه، فقد كان كل ما يلزمه متوافرا، حيث يتعلم المرء ما يحتاج إلى تعلمه من غير مَشُورة، ولا فرق إن عاش هنا أو هناك. تذكر نك معلومتين يتيمتين لا ثالثة لهما كان قد تعلمهما من والده عن هذا الموضوع. كانت المرة الأولى عندما كانا يصطادان معا، فأردى نك سنجابا من شجرة شَوكَران. سقط السنجاب الجريح أرضا، ولمّا حمله نك عاجَلَه السنجاب بعضّة في الإبهام من أنيابه.

«يا له من لوطيٍّ حقير»، قال نك وخبط رأس السنجاب على الشجرة. «انظر كيف عضّني».

نظر والده وقال: «مُصَّ الجرح جيدا وضع عليه اليود حالما تصل البيت».

«يا له من لوطيٍّ صغير»، قال نك.

«هل تعرف معنى كلمة لوطي؟» سأله أبوه.

«نحن نسمّي كل شيء لوطيا»، قال نك.

«إن اللوطي هو من يقيم علاقات مع الحيوانات»(١١٩).

«لماذا؟».

«لا أعرف»، قال والده. «لكنها جريمة نكراء»(١٢٠).

التهب خيال نك وارتَعب في آنٍ معا، فراح يستعرض عددا من الحيوانات فلم يجد أيا منها جذابا أو عمليا، وفيما خلا موضوع آخر كان هذا هو الحاصل الإجمالي للمعرفة الجنسية المباشرة التي ورّثه إياها والده. قرأ ذات يوم في الجريدة أن إنريكو كاروزو اعتُقل بتهمة التحرُّش الجنسي(١٢١).

«ما هو التحرش الجنسي؟».

«إنه من أكثر الجرائم بشاعة»، أجاب أبوه. راح نك يتخيل المغني الكبير وهو يمسك بهرّاسة(١٢٢) بطاطا ويمارس شيئا غريبا، شاذا، منكرا مع سيدة جميلة تشبه صورتها صور آنا هلد على الأغلفة الداخلية لعلب السيجار(١٢٣). لذلك قرر، ورعبٌ

(١١٩) في الواقع لا تُطلَق كلمة bugger التي يستخدمها همنغواي هنا، لا حرفيا ولا مجازا، على الشخص الذي يمارس الشذوذ الجنسي مع الحيوانات. فالمعنى الحرفي للكلمة (حتى في الإنجليزية الأمريكية) هو «اللوطي»، أما مجازا فتعني «شخص حقير»، كما يمكن أن تعني أيضا «صاحب» (لكن من باب الدعابة أو التَحَبُّب فقط) [المترجم].

(١٢٠) بالفعل، كان القانون الأمريكي أيام العهد البيوريتاني (القرن السابع عشر) يَعُدُّ هذه الممارسة الشاذة جريمة نكراء، تُعاقَب عليها حتى الدابّة (بالموت أو الحرق عادة) [المترجم].

(١٢١) إنريكو كاروزو: مُغني أوبرا إيطالي (١٨٧٣ - ١٩٢١) ذاع صيته في أكثر من خمسين دورٍ أداها في أوروبا والولايات المتحدة وأمريكا اللاتينية [المترجم].

(١٢٢) السبب في خلط نك بين التحرش الجنسي والهرس هو أن كلتا الكلمتين مشتقٌ من جذر لغوي واحد هو mash [المترجم].

(١٢٣) آنا هلد (١٨٧٣ - ١٩١٨): ممثلةٌ استعراضيةٌ مغناج من أصول يهودية بولندية وفرنسية، استقدمها المخرج المسرحي الأمريكي فلورنتس زيغفلد (١٨٦٩ - ١٩٣٢) من لندن إلى نيويورك العام ١٨٩٦، ثم راح زيغفلد يروج صورها المثيرة في الصحف وكل منابر الدعاية، بما في ذلك علب السيجار [المترجم].

هائل يعتريه، أن يجرب التحرش/الهرس عندما يكبر، على الأقل مرة واحدة.

لقد لخص له والده المسألة برمتها بقوله إن الاستمناء يولِّد العمى، والجنون، والموت، كما أن الذي يصاحب بنات الهوى يعرض نفسه لأمراض تناسلية قبيحة، لذلك فإن التعفف هو أسلم السبل. لكن من جهة أخرى، كانت لوالده أجمل عينين رآهما في حياته وقد أحبه نك كثيرا ولوقت طويل. أمّا وقد عرف الآن ما عرف، فلم يعد استذكار تلك الأيام الخوالي قبل أن تتدهور الأمور ذكرى طيبة. لو كتب عن الأمر لتخلَّص منه. لقد تخلص من أشياء كثيرة بالكتابة عنها. لكن الأوان لم يحن بعد. لا يزال هناك أناس كثيرون. لهذا قرر أن يفكر في شيء آخر. ليس لديه ما يفعله إزاء والده، وقد فكر في الأمر مَليّا مرات عديدة. لم تَبْهُتْ من ذهنه صورةُ العمل الرائع الذي أدّاه متعهدُ الدفن على وجه والده، أما البقية الباقية فلا تزال ماثلة بوضوح تام، بما في ذلك المسؤوليات التي تولاها المتعهد. لقد أثنى علىً المتعهد، الذي انتشى زهوا وافتخارا. لكن اللمسة الأخيرة على وجه والده لم تكن من تدبير المتعهد الذي لم يقم بأكثر من بعض الإصلاحات السريعة المشكوك في قيمتها الفنية. كان الوجه يُسَوّي ذاته ويُسَوّى منذ زمن طويل. لقد اتخذ شكله سريعا في السنوات الثلاث الأخيرة. هذه قصة جيدة لكن لا تزال هناك كثرة من الناس على قيد الحياة تمنعه من كتابتها.

لقد اكتسب نك معرفته بتلك المسائل المبكرة في أدغال الشوكران خلف المخيم الهندي. كان هناك درب إلى المخيم يمتد

من الكوخ إلى المزرعة مرورا بالغابات، ثم ينضمُّ إلى طريق متعرج يؤدي إلى المخيم. لو يســتطيع الآن أن يشعر بِمَلْمَس ذلك الدرب على قدميــه الحافيتين. بداية كانت هناك تربة خصبة ممزوجة بأبر الصنوبر تغطي غابات الشــوكران خلف الكوخ حيث تَتَفَتَّت الزنود المتســاقطة فتصير غبارا من خشــب، وكانت هناك قطع خشبية طويلة مشقوقة تتدلى كالرماح من شجرة صعقها البرق. ليس لك خيار ســوى أن تعبر على أحد الزنود، وإن زلَّت قدمك عنه فســيلاقيك وحل المستنقع الأسود الآســن. وإذا قفزت من الغابة فوق الســياج، فستجد الشمس تَسْفَعُ الدرب على الطرف الآخر للحقل الذي جُزَّ عُشــبُه وتنمو فيه نباتات الحُمّاض وآذان الدبّ، وعلى يســارك سَــبْخةٌ رجراجة في قعــر الجدول تقتاتُ فيهــا طيور الزقزاق. كان البيــت الربيعي في ذلك الجدول. كان روثٌ جديــد دافئ يتكدَّس تحت الحظيــرة، أما الطبقة القديمة المجففة فقد كانت فوقه. ثم ســياجٌ آخر ودرب لاهبٌ قاسٍ يمتد من الحظيرة إلى البيت وطريق رملي لاهب يؤدّي إلى الغابة، هذه المرة عبر جســرا يمر من فوق الجــدول حيث تنمو نباتات التّيفا التي أغرقْتَها بالكيروسين لكي تصنع منها مصابيح تصطاد على ضوئها الأسماك.

ثــم ينعطف الطريق الرئيســي نحو اليســار، فيُحاذي الغابة ويتســلق الهضبــة، بينما أنت تســلك طريقــا عريضا من طين وصلصال يخترق الغابة، وتظلله الأشــجار بظلها البارد، ويتَّسِــع ليســمح بدحرجة لحاء الشوكران الذي يقشره الهنود. كان لحاء الشــوكران يُكَدَّس في صفوف طويلة، ثم تُســقَف هذه الصفوف

باللحاء كما تُسقف البيوت بينما تُتْرَك الزنود التي نزع لحاؤها، صفراءَ هائلة، حيث قُطعت الأشجار. كانوا يتركون الزنود حتى تتفسّخ في الغابة، إذ لم يكلفوا أنفسهم عناء إزاحتها عن الطريق أو حرقها. كان كل مبتغاهم هو اللحاء الذي يقشرونه من أجل معمل الدباغة في بُوِيْنْ سِتي(١٢٤)، حيث كانوا يدحرجونه على جليد البحيرة شتاء، وكانت الغابة تتناقص سنويا، بينما تتزايد الأراضي الجرداء الملتهبة التي أصبحت منبتا للأعشاب الضارة.

لكن بقي كثيرٌ من الحِراج العذراء التي كانت أشجارها تتطاول كثيرا قبل أن تنمو لها أغصان، وكنت تمشي على تلك الأرضية السمراء النظيفة النابضة بأبر الأشجار التي لا عشب ينمو تحتها وكان الجو باردا حتى في أكثر الأيام قيظا وكنتم أنتم الثلاثة تستندون على جذع شجرة شوكران أعرض من طول سريرين، وكان النسيم يداعب قمم الأشجار والنور الخافت يأتي على شكل بقع، فقال بِلي:

«هل تريد ترودي مرة أخرى؟».

«تريدين ذلك؟».

«أي، نعم».

«هيّا بنا».

«لا، هنا».

«لكن بلي».

«لا يهمُّني بِلي. فهو أخي».

---

(١٢٤) بوين سِتي: مدينة في ولاية مِشيغَن [المترجم].

وبعد ذلك جلس الثلاثة ينصتون إلى سنجاب أسود يتوارى بين الأغصان العالية فلا يرونه. كانوا ينتظرون أن ينبح ثانية، إذ إن النباح يجعل ذيله يَنخَع، عندئذ سيطلق نِك النار عندما يرى أدنى حركة. كان أبوه يعطيه ثلاث خرطوشات يصطاد بها يوميا، وكانت لديه بندقية بندقية ذات ماسورة طويلة مفردة وعيار جَفّها عشرون(١٢٥).

«ابن الكلب لا يتحرك».

«أنت تطلق عليه، يا نِك. أرعِبه. نراه يقفز. أطلق عليه ثانية»، قالت ترودي. كان هذا كلاما طويلا لها(١٢٦).

«لدي طلقتان فقط»، قال نِك.

«ابن كلب»، قال بِلي.

استندوا على جذع الشجرة صامتين. كان نِك يشعر بالخواء والسعادة.

«إدي هو يقول رح يجي بالليل ينام بالسرير مع دوروثي، أخت إنتَ».

«ماذا؟».

«هو قال».

أومأت ترودي برأسها وقالت:

«هذا كل شيء يريد». كان إدي أخاهم غير الشقيق. كان في السابعة عشرة.

---

(١٢٥) الجفّ هو قطر فوهة الماسورة [المترجم].

(١٢٦) من يقرأ القصة بلغتها الأصلية يلاحظ فعلا أن ترودي وأخاها بلي لا يجيدان الإنجليزية، وهذا ما دفعني، قدر المستطاع، إلى ترجمة أقوالهما بلغة عربية مُخَلخلة لتوازي الخلخلة في النص الأصلي [المترجم].

«إذا جاء إدي غِلْبي ليلا أو حتى تكلم مع دوروثي، هل تعرفين ماذا سأفعل به؟ سأقتله هكذا». ثم أصلى نك ديك بندقيته ومن غير أن يسدد بعناية ضغط على الزناد، فإذا به يصنع ثُقبا بحجم يدك إما في رأس ذلك النغل المُهَجَّن إدي غلبي أو بطنه. «هكذا. سأقتله هكذا».

«إذن، من الأفضل ألاّ يأتي»، قالت ترودي، ثم دسّت يدها في جيب نِك.

«من الأفضل أن يحترس كثيرا».

«إنه متبجّح كبير»، قالت ترودي ويدها تستطلع ما في جيب نك. «لكن لا تقتله. إنت بعدين في مشكلة كبيرة».

«سأقتله هكذا»، قال نك، فإذا بإدي غِلْبي ممددٌ على الأرض أمامه وقد نسفت صدرَه طلقةٌ بعيدا. ثم داس عليه نك بقدمه فخورا.

«سأسلخ فروة رأسه»، قال نك(١٢٧).

«لا»، قالت ترودي. «هذه فعلة قذرة».

«سأسلخ فروة رأسه وأرسلها إلى أمه».

«أمه ماتت»، قالت ترودي. «لا تقتله، يا نِكي. لا تقتله من أجلي».

«وبعد أن أسلخ فروة رأسه، سأرميه للكلاب».

اغتمَّ بلي غما شديدا، فقال، «من الأفضل أن يحترس».

«وستقطّعه إربا، إربا»، قال نك، وقد أعجبته الصورة. وبعد أن سلخ فروة رأس ذلك المُرتدّ المُهَجَّن، وقف يشاهد الكلاب تمزقه

---

(١٢٧) سلخ فروة رأس العدو يُعَدّ مَفخرة حربية لدى الهنود الحمر [المترجم].

تمزيقا، دون أن يمتقع وجهه، فاستند إلى الشجرة وراءه، فإذا بترودي تُحْكِم قبضتها حول رقبته حتى تكاد تخنقه وتصيح، «أنت ما يقتل بلي. ما يقتل. ما يقتل. لا. لا. لا. نِكي. نكي. نكي!».

«ماذا جرى لكِ؟».

«أنت ما يقتل بلي».

«لكن يجب أن أقتله».

«إنه مجرد متبجِّح ثرثار».

«حسنٌ»، قال نك. «لن أقتله إلا إذا اقترب من بيتنا. والآن أطلِقيني».

«هكذا جيد»، قالت ترودي. «يخطر على بالك شي الآن؟ أنا في مزاج جيد».

«إذا ابتعد عنا بلي». لقد قتل نك إدي غلبي، ثم وهبه حياته، وهاهو الآن أصبح رجلا.

«اذهب، يا بلي. أنت لا تفارقنا أبدا. هيّا».

«ابن الكلب»، قال بلي. «تَعِبْت من هذا. لماذا جئنا؟ للصيد أم لماذا؟».

«يمكنك أن تأخذ البندقية. لا تزال فيها خرطوشة واحدة».

«طيب. سأصطاد واحدا كبيرا أسود».

«سأناديك»، قال نِك.

مضى وقت طويل ولم يعُد بلي.

«برأيك، سوّينا طفل؟» قالت ترودي وهي تثني ساقيها السمراوين، مغتبطة، وتَلِزُّ صوبه. غار شيءٌ في داخله غورا بعيدا.

«لا أعتقد ذلك»، قال لها.

سمعا بلي يطلق النار.

«تُرى، هل حَظَي بصيد؟».

«لا يهمُّني».

جاء بلي من بين الأشـجار، حامـلا البندقية على كتفه، وكان يُمسك بسنجاب أسود من قدميه الأماميتين، وقال:

«انظر. إنه أكبر من القط. انتهيتما؟».

«أين وجدته؟».

«هناك. رأيته يقفز أولا».

«عليَّ أن أعود إلى البيت»، قال نك.

«لا»، قالت ترودي.

«يجب أن أكون هناك قبل العَشاء».

«لا بأس».

«هل تريد أن تأتي للصيد غدا؟».

«لا بأس».

«خُذِ السنجاب، فهو لك».

«طيب».

«نراكَ بعد العشاء؟».

«لا».

«كيف تشعر؟».

«بخير».

«طيب».

«أعطني قُبلة على الوجه»، قالت ترودي.

بينما كان نك يقود سيارته على الطريق السريع والظلام يحلُّ تدريجيا، تلاشت ذكرى والده من تفكيره. لم تسمح له نهايةُ اليوم قط بـأن يفكر به. فنهاية اليوم ملكٌ لِنِـك وحده، وهو لا يعرف طعـم الراحة ما لم تكن له وحــده. كان أبوه يُعاوِده في الخريف أو فـي بداية الربيع عندما يـرى طيور الشُّـنقُب[١٢٨] تمرح في المـروج، أو يرى أكداس الذرة، أو بحيرة، أو حصانا، أو عربة، أو عندما يرى أو يسمع الإوز البري، أو عندما يختبئ في كمين عن البط، فيتذكر نسرا ينقضُّ أثناء عاصفة ثلجية نحو طُعْم مُغطى بِقِنَّـب، فَيُحلِّق، وجناحاه يخفقان، ومخالبه عالقة بالقنبً. فجأة صار والده معه، في بســاتين مهجورة وحقولٍ حديثةِ الحَرْث، في الأجمــات، وعلى هضابٍ صغيرة، أو عندما يمر بين الأعشــاب الميتة، أو كلما احتطب أو وَرَدَ الماء، عند مطاحن القمح، ومصانع العصيــر، والســدود، ودائما عند النيران في الهــواء الطلق. لم تكن البلدات التي عاش فيها بلدات يعرفها والده. بعد الخامسة عشرة لم يعد يجمع بينه وبين والده أي شيء.

كانت لحية والــده تتجمد عندما يكون الطقس باردا، ويتعرَّق بغــزارة عندما يكون الطقــس حارا. كان يحــب أن يعمل تحت الشــمس في مزرعته لأنه لم يكن مرغمــا على ذلك ولأنه يحب أن يعمل بيــده، بينما نك لم يكن كذلك. كان نك يحب أباه، لكنه كان يكره رائحته، فعندما أُجبِر ذات يوم على أن يلبس طقما من ملابس والده الداخلية التي ضاقت عليه، أصابه الغثيان، فخلعها ووضعهــا تحت حجرتين في الجدول وادّعــى أنه أضاعها. لقد

---

(١٢٨) الشُّنقُب: طائر صغير طويل المنقار، وله تسميات أخرى مثل: الجُهلول، الشُّكُب، البَكاسين [المترجم].

أخبر والده عن الرائحة عندما أجبره على لبسها، لكن أباه قال إنها غُسِلت حديثا. وهذا ما كان فعلا. وعندما طلب منه نك أن يشمها، شمّها غاضبا وقال إنها نظيفة ومعطَّرة. وعندما عاد نك إلى البيت من صيد السمك من دونها وادّعى أنه أضاعها جَلَدَه والده لأنه كَذَبَ.

بعد ذلك ذهب إلى الكوخ وجلس فيه، وترك بابه مفتوحا. كان ينظر إلى والده الذي يجلس قُبالَته على الرواق ويقرأ الجريدة. كانت بندقيته مُلَقَّمَة ومهيأة للإطلاق، فقال نك في سره، «أستطيع أن أرسله إلى الجحيم بطلقة واحدة. أستطيع أن أقتله». لكن غضبه تلاشى في النهاية، فندم قليلا لأن والده هو الذي أعطاه تلك البندقية. بعد ذلك راح إلى المخيم الهندي، سائرا في الظلام، كي يتخلص من الرائحة. لم يكن في عائلته سوى شخص واحد يحب رائحته: إحدى أخواته. أما البقية فكان يتفاداهم جميعا. لكن إحساسه هذا تَبَلَّد عندما بدأ يدخن. كان هذا تطورا محمودا، تطورٌ يصلح لكلبِ صيد، لكن لا فائدة منه مرجوَّة لرجلٍ.

«بابا، ماذا كان يعني لك، وأنت صبي صغير، أن تذهب للصيد مع الهنود؟».

«لا أعرف»، قال نك، مُجفِلا. لم ينتبه إلى أن الولد قد استيقظ. نظر إليه وهو يجلس بجانبه على المقعد. لقد كان يشعر بالوحدة، برغم أن هذا الولد كان معه. تساءل منذ متى وهو معه. «كنا نذهب طوال اليوم لنصيد السناجب السوداء. كان أبي لا يعطيني سوى ثلاث طلقات في اليوم الواحد لأن ذلك، برأيه، سيعلمني الصيد ولأنه ليس من مصلحة صبي أن يطلق

النــار هنا وهناك جُزافا. كنت أذهب مع صبي اســمه بلي غِلبي وأخته ترودي. في أحد الأصياف كنا نخرج كل يومٍ تقريبا».

«هذه أسماء مضحكة لا تناسب الهنود».

«أجل، إنها كذلك»، قال نك.

«لكن قل لي كيف كانا».

«كانا من الأوجبوا»[١٢٩]، قال نك. «وكانا لطيفين جدا».

«لكن قل لي كيف كان مَعْشرهُم؟».

«هـــذا أمرٌ يصعب وصفه»، قال نك آدمز. تُرى، أتقول له إنها كانت أول مَن فعلتْ ما عجزتْ عن مضاهاته الأخريات وتذكر له ســاقيها السمراوين المكتنزتين، وبطنَها الضامر، وصلابةَ نهديها الصغيرين، وَضَمَّةَ ذراعيها الرائعة، ولســانَها الرشــيقَ المتلهِّف، وعينيهــا الخافقتين، ومذاقَ فمهــا الرائع، وكيف كان ينتابك بعد ذلك ضيقٌ، فاحتباسٌ، فعذوبةٌ، فرطوبةٌ، فنشوةٌ، فاحتباسٌ، فألمٌ، فامتلاءٌ، فذروةٌ أزلية عميقة الغور تفاجئك أخيرا بالنهاية، فيحلِّق الطائر العظيم كتحليقِ بومةٍ ساعةَ السحَر، غير أنها ليست ساعة الســحر بل نهارٌ في غابةٍ، وأُبَرُ شــوكرانٍ تلتصق ببطنك، بحيث إنك عندما تذهب إلى موطنٍ كان يسكنه الهنود، تستطيع أن تشم رائحة رحيلهم حتى لَتَعجَزُ كلُّ زجاجات مُســكِّنات الألم الفارغة والذباب الطنّان عن أن تقتل رائحة الأعشــاب العطرية والدخان وتلك التي تشــبه رائحة جلدِ دَلَقٍ مدبــوغٍ حديثا[١٣٠]. لا النكات

---

(١٢٩) الأوجبــوا: إحــدى القبائل الهندية الأمريكية، يقطن معظمهم اليوم في ولايات مِشــيغَن، وَوِسكونسُن، ومنيسوتا [المترجم].

(١٣٠) الدَّلَق: حيوان جُرابي لاحِم يشــبه ابن عرس، ويُســمّى أيضا الخَز أو السِّنســار، وله فَرْوٌ ثمين [المترجم].

عنهم ولا العجائز تستطيع أن تُذْهِبَها. ولا تلك الرائحة الحلوة المقزِّزة التي لهم. ولا ما فعلوه في نهاية المطاف. ليست المسألة كيف انتهوا. فكلهم آلوا إلى ذات المصير. في الماضي خيرا، وفي الحاضر بؤسا.

أما عن الأمر الآخر، فعندما تصطاد طيرا وهو يطير، فكأنك اصطدت كل الطيور وهي تطير. فهي أنواع مُنَوَّعة وتطير بطرق شتى لكن الإحساس هو ذاته، وآخر إحساس كأول إحساس. يمكنه أن يعترف لوالده بهذا الفضل.

«قد لا تُحِبُّهم»، قال نك للولد. «لكنني أعتقد أنك ستفعل».

«ألَم يعش جدي بينهم عندما كان صبيّا؟».

«نعم. وعندما سألته عنهم قال إن له أصدقاء كثيرين من بينهم».

«أيُمكن أن أعيش معهم؟».

«لا أعرف»، قال نك. «هذا أمرٌ عائدٌ لك».

«في أي عمر يمكنني أن أحصل على بندقية وأذهب للصيد وحدي؟».

«في الثانية عشرة إن رأيتُ أنك حَذِر».

«أتمنى لو كنت في الثانية عشرة الآن».

«ستكون كذلك قريبا».

«كيف كان جدي؟ لا أذكر سوى أنه أعطاني بندقية هواء وعَلَما أمريكيا عندما أتيتُ من فرنسا في ذلك الوقت. كيف كان؟».

«ليس من السهل وصفه. لقد كان صيادا عظيما وله عينان رائعتان».

«هل كان أعظم منك؟».

«لقد كان أفضل مني بكثير في الرماية، وكان أبوه أيضا بارعا في صيد الطيور وهي في الجو».

«أراهنك أنه لم يكن أبرع منك».

«بلى، لقد كان كذلك. كانت رمايته سريعة وجميلة. أنا أُفَضِّلُه في الرماية على كل مَن أعرفه. لم يكن قَطُّ راضيا عن رمايتي».

«لماذا لا نذهب للصلاة على قبر جدي؟».

«لأننا نعيش في جزء آخر من البلاد. وقبره يبعد من هنا كثيرا».

«هذا الأمر لا يُشَكِّل مشكلة في فرنسا. لو كنا في فرنسا، لَذَهبنا. أعتقد أنه يجب عليَّ أن أذهب للصلاة على قبر جدي».

«سنذهب يوما ما».

«آمل ألا نعيش في مكان لا أستطيع أن أذهب فيه للصلاة على قبرك عندما تموت».

«علينا أن نتخذ ترتيبات خاصة لهذا الأمر».

«ألا تعتقد أنه يمكننا جميعا أن نُدفَن في مكان ملائم؟ يمكننا أن نُدفَن جميعا في فرنسا. سيكون هذا رائعا».

«لا أريد أن أُدفَن في فرنسا»، قال نك.

«إذن، في هذه الحال علينا أن نجد مكانا ملائما في أمريكا. ألا يمكننا أن نُدفَن جميعا في المزرعة؟».

«فكرة سديدة».

«عندئـــذ، يمكنني أن أتوقف للصـــلاة على قبر جدي وأنا في طريقي إلى المزرعة».

«أنت عَمَليٌّ جدا».

«لأنني لست مرتاحا إطلاقا، كوني لم أزر قبر جدي».

«علينا أن نذهب»، قال نك. «أرى أنه يجب علينا أن نذهب».

المؤلف في سطور

إرنست همنغواي

- ولد سنة ١٨٩٩ في أوك پارك، في ولاية إلينوي الأمريكية.
- بعد تخرجه في المدرسة الثانوية، عمل صحافيا لمدة ستة أشهر، قبل أن يلتحق بالجبهة الإيطالية بصفة سائق سيارة إسعاف متطوع خلال الحرب العالمية الأولى. ثم حصل على وسامين من الحكومة الإيطالية تقديرا لشجاعته.
- انتقل للعيش في باريس سنة ١٩٢١، حيث انضم إلى مجموعة كتاب المهجر الأمريكان من أمثال غيرترود شتاين وإزرا پاوند. لكنه عاش أيضا في ما بعد في كي وست، في ولاية فلوريدا، وإسبانيا، وكوبا.
- بالإضافة إلى الحرب العالمية الأولى، شهد همنغواي أيضا الحرب اليونانية - التركية، والحرب الأهلية الإسبانية، ثم الحرب العالمية الثانية. وقد استقى موضوعات عددٍ من قصصه ورواياته من هذه التجارب التي عاينها بصفة مراسل حربي.
- نشر عددا كبيرا من الروايات والمجموعات القصصية، وله مسرحية واحدة.
- نال جائزة پولتسر، وهي أرفع جائزة أمريكية أدبية سنة ١٩٥٣، كما منحته الأكاديمية الأمريكية للآداب ميدالية الاستحقاق للرواية. وفي سنة ١٩٥٤ نال جائزة نوبل للآداب.
- كان أسلوبه في السرد الأدبي من نوع السهل الممتنع، حيث يترك شخوصه يعيشون حياتهم ولا يقول عنهم شيئا، بل يجعل أفعالهم هي التي تشي عن دواخلهم. وقد تأثر عدد كبير من الكتاب بهذا الأسلوب.
- تزوج أربع مرات، وكان يعشق الصيد بأنواعه والحياة البرية، ويهوى الملاكمة ومصارعة الثيران. لكنه في السنوات الأخيرة من حياته تكالبت عليه الأمراض، فمات منتحرا سنة ١٩٦١.

المترجم في سطور

د. موسى الحالول

● من مواليد ١٩٦٥، الرقة، الجمهورية العربية السورية.

● درس الأدب الإنجليزي في جامعة حلب، وتخرج فيها سنة ١٩٨٧.

● حصل على الماجستير والدكتوراه في الأدب المقارن من جامعة بنسلفانيا الحكومية، الولايات المتحدة الأمريكية، وتخرج سنة ١٩٩٥.

● درس الأدب الإنجليزي في جامعة تشرين بسورية، ثم في جامعتي جرش والعلوم التطبيقية بالأردن. وهو الآن أستاذ مشارك في جامعة الطائف بالمملكة العربية السعودية.

● نشر عددا من الكتب المترجمة عن الإنجليزية هي: «النبوءة والرونيات: من الأدب الإسكندنافي»، «خفايا ما بعد الحداثة»، «هكذا تكلم الثايكنغ»، «حكايات الهنود الأمريكيين وأساطيرهم»، «حكايات إيسوب» (وهذا الأخير بالاشتراك مع سمر رزق).

● كما ترجم إلى الإنجليزية رواية فخري قعوار، «عنبر الطرشان»، وجزءا من رواية رشيد بوجدرة، «ليليات امرأةٍ آرِق».

● له مجموعة قصائد وقصص قصيرة منشورة بالإنجليزية بعنوان: «قواعد جديدة للنظام العالمي الجديد»، وآخر إصداراته كتاب نقدي عن الأدب العربي بعنوان «العربية المعذبة».

المراجع في سطور

د. إسماعيل صافية

● من مواليد سورية ١٩٦١.

● حاصل على الإجازة الجامعية في اللغة الإنجليزية وآدابها، من جامعة دمشق العام ١٩٨٣.

● ماجستير في علم اللغة، وعلم اللغة التطبيقي من جامعة إلينوي - شامبي - بالولايات المتحدة الأمريكية العام ١٩٨٩، ودكتوراه في علم اللغة من الجامعة نفسها العام ١٩٩٢.

● يعمل أستاذا مساعدا في اللغة الإنجليزية، بالجامعة العربية المفتوحة.

● ناشط ومهتم جدا بالبحث العلمي في اللغويات وطرق تدريس اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية وكلغة ثانية.

● له عدد من الترجمات والمراجعات مع سلسلة «إبداعات عالمية»، ومجلة «الثقافة العالمية».

الفهرس

مقدمة 5
القاتلان 11
ماذا يقول لك الوطن؟ 27
خمسون ألف دولار 44
تحقيق بسيط 84
عشرة هنود 88
كناري پاليرمو 97
أنشودة من جبال الألب 104
سباق التتابع 114
اليوم هو الجمعة 122
قصة عادية 129
حكاية رجل أرِق 133
بعد العاصفة 146
مصباح لعتمة الليل 155
منارة للدنيا 162
كل عام وأنتم بخير 173
البحر سلطان 181
دربك محال، محال 188
أم المخنَّث 207
كتبت إحدى القارئات 213
بطاقة ثناء إلى سويسرا 215
يوم من الانتظار 236
التاريخ الطبيعي للأموات 241
لاعب القمار والراهبة والمذياع 255
آباء وأبناء 284

إبداعات عالمية

المجموعة القصصية الكاملة لإرنست همنغواي
(الجزء الثاني)

في هذا العدد من سلسلة «إبداعات عالمية» نقدم للقارئ الكريم الجزء الثاني من المجموعة القصصية الكاملة للكاتب المبدع إيرنست همنغواي، ويضم ٢٤ قصة، وقد جمع همنغواي هذه القصص كلها ونشرها في العام ١٩٣٨.

لقد تميزت معظم قصص هذا الجزء تقريبا بالأسلوب والطابع الدرامي الزاخر بالحوار، إضافة إلى بعض القصص ذات الطبيعة الفلسفية الخاصة.

يستمد الكاتب موضوعات قصصه - كما في كل كتاباته - من مشاهداته وأسفاره الكثيرة وقراءاته، إضافة إلى التجارب الشخصية التي مر بها بنفسه، لذلك نلاحظ تنوع الأمكنة والأزمنة في هذه القصص.

كما أنه من الملاحظ أنه ليس في قصص همنغواي أبطال بالمعنى التقليدي، بل هم أناس عاديون فيهم من المميزات والعيوب ما يمكن أن يكون في أي شخص.

كما ينظر همنغواي إلى شخوص قصصه على أنهم أنماط بشرية تعيش بيننا، لا يوجد فرق جوهري بينهم مع اختلاف جنسياتهم وطبائعهم.

رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٦٥
ردمك: ٩٩٩٠٦-٠-٣١٠-١